دار الثقافة

شخصيات إنجيلية معاصرة

جون ستوت
فرانسيس شيفر
مارتن لويد جونز
جيمس باكر
بيلى جراهام



كريستوفر كاثروود

شخصيات إنجيلية معاصرة

چون ستوت

فرانسيس شيفر

مارتن لويد چونز

چيمس باكر

بيلي جراهام

تأليف

كرستوفر كاثروود

ترجمة

صبري مسعد غبريال



Five Evangelical Leaders

By : Christopher Catherwood

This book was frist published by Christian Focus Publications Ltd. in 1994

Translated by Permission and printed in Arabic in 1997.

طبعة أولى

شخصيات إنجيلية معاصرة

صدر عن دار الثقافة - ص. ب ١٢٩٨ - القاهرة

١/ ٧٤٣ ط١ / ١-١/ ٩٧ .

رقم الإيداع بدار الكتاب : ٩٧/١٣٥٢٤

ISBN 977-213-404-7

طبع بمطبعة سيوبرس

مقدمة الدار

تقرأ فى هذا الكتاب عن خمسة قادة إنجيليين عظماء، استند كل منهم إلى حق واحد هو الإنجيل، وتبعوا قائداً واحداً هو يسوع المسيح الذى يقودهم نحو هدف واحد هو خلاص البشرية.

فى عصر فقد فيه البشر سلامهم ورجاءهم، أكّد هؤلاء القادة على أن الرجاء الحقيقى الثابت هو في شخص المسيح يسوع الفادى المقام من الأموات، قدم هؤلاء القادة الحب والرعاية للشباب الحائر الذى يصارع ضد نفسه والعالم، كما كرزوا بجرأة وسلطان واستطاعوا أن يخاطبوا البسطاء والمتعلمين فى نفس الوقت، ولأن هدفهم كان توصيل رسالة الخلاص بكل جهد، فقد كرزوا فى الورش والمصانع والمدارس والجامعات، واستخدموا كل وسائل الاتصال والأسفار لتوصيل الرسالة.وهذا الكتاب يقدم لك خلفية هؤلاء القادة الكبار وبمن تأثروا ومن هم أساتذتهم.

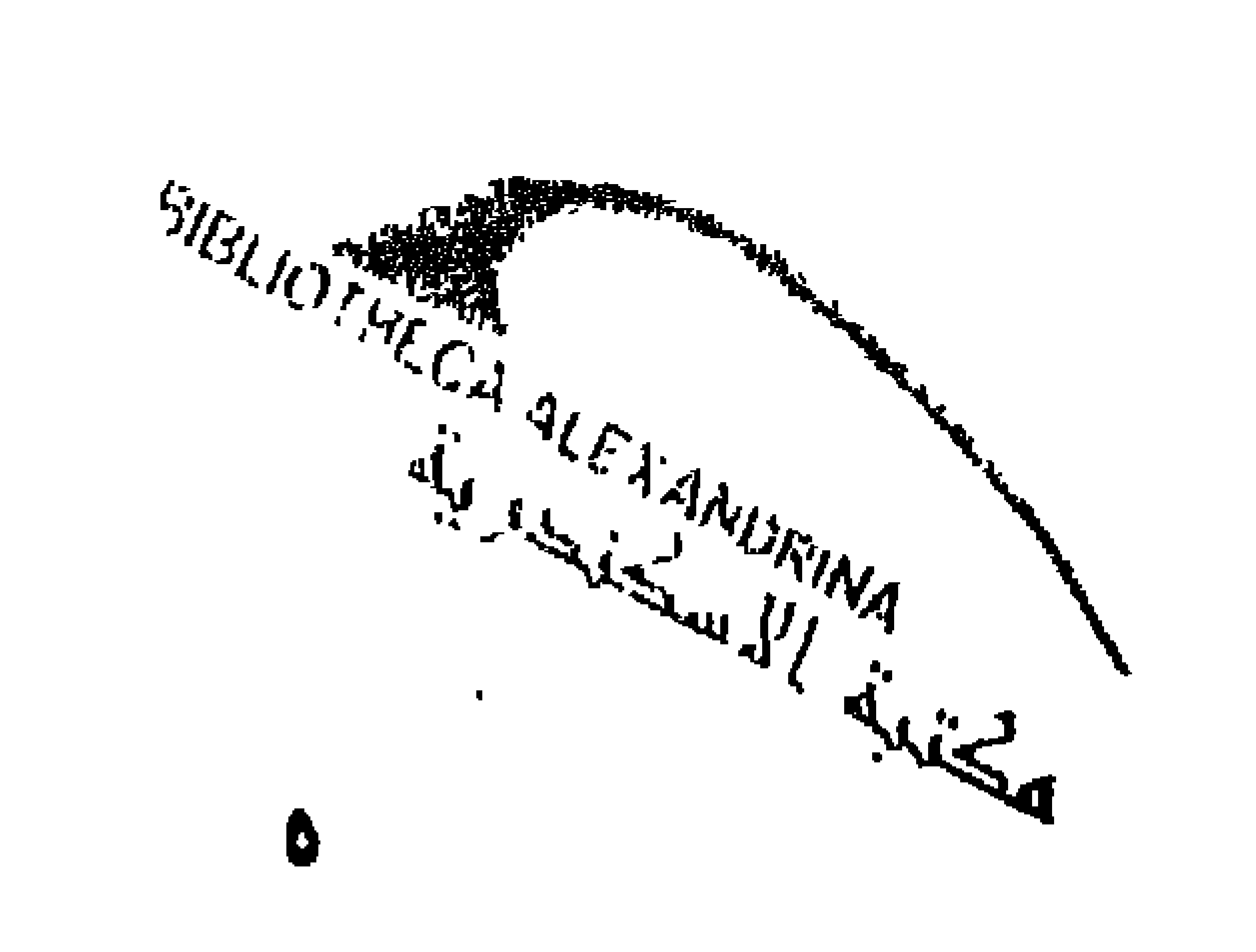
هؤلاء القادة استطاعوا أن يخرجوا من الآكل أكلاً فلم ينهزموا تحت وطأة الصعوبات.. بل حتى عوامل الطبيعية استثمروها للخدمة.

إن السيرة الذاتية لهؤلاء القادة الكبار مدرسة يتدرب فيها كل من يريد أن يعمل فى الحقل الكرازى.

دار الثقافة

المحتويات

صفحة



مقدمة

انتعشت الحركة الإنجيلية فى بريطانيا ـ وأمريكا الشمالية وأخذت قوة جديدة بعد الحرب العالمية الثانية.. حيث خرج الانجيليون من بوتقة نطاق الفكر المحدود والذى بدأ منذ القرن التاسع.. واتجهت الكنيسة الإنجيلية بخطوات واسعة نحو معرفة الحق الكتابى والنمو الروحى.

وكما نعلم من الكتاب المقدس ومن سير المسيحيين الأوائل وتاريخ الكنيسة.. فإن الله دائماً يختار له أشخاص أمناء يوليهم ثقته ويحملهم بدعوته لتحقيق إرادته العادلة على الأرض.. وقد شبه بولس الرسول الحياة الروحية بميدان المعركة.. حيث كل جندى له دور وموقع ومهمة خاصة عليه إنجازها.. فالبعض مشاة والبعض يعمل فى سلاح المدفعية الثقيلة وهناك من يعمل فى سلاح الفرسان، وهكذا.. ولكلٍ دوره المختلف لكن الجميع معاً ـ بنفس الروح ـ يقودهم قائد واحد ـ نحو هدف واضح محدد..

عزيزى القارئ : هذا الكتاب الذى بين يديك الآن ـ يقدم لك خمسة رواد إنجيليين اختارهم الله ليكونوا فرسان معركة القرن العشرين.. هؤلاء القادة هم **چون ستوت، فرانسيس شيفر، مارتن لويد چونز، چيمس پاكر، بيلى جراهام..** كل منهم شخصية منفردة تماماً.. لكنهم

استندوا إلى حق واحد هو الإنجيل وقائدهم الوحيد هو يسوع المسيح صوب هدف واحد هو خلاص البشرية.

فمارتن لويد چونز .. واعظ مشتعل - حار فى الروح - منطقى.. فصيح اللسان.. كانت عظاته ثورة كرازية هدفها خلاص كل البشر.. الطالب والموظف، أصحاب العقول الفذة وصاحب العقل البسيط، الغنى والفقير.. فالجميع لديه أسوياء.

استنهض چونز العديد من المبادئ الهامة فى المسيحية وبخاصة ما يخص العقيدة اللاهوتية المبنية على الحق الكتابي.. كان له دور عظيم فى تأسيس منظمة **IFES** للطلاب الإنجيليين والتى تعد واحدة من أفضل المؤسسات الدولية المسيحية التي تخدم الطالب فى كل أنحاء العالم.. يعده البعض بحق.. راعياً قديراً.. وواحداً من أعظم واعظى القرن العشرين فى بريطانيا..

أما **بيلى جراهام** .. فقد غير مفهوم الكرازة فى العالم كله.. وأكد جراهام على حقيقة أن الإنجيل حى ومُعاش.. قدم جراهام رسالة الخلاص فى كل أنحاء أمريكا، معسكرات لإيواء اللاجئين فى آسيا وكانت كرازته التى قبل بها كثيرون المسيح كمخلص شخصى لهم.. هى أحد السبل التى مهدت للقضاء على العنصرية والتى فتحت الطريق بعد ذلك

لانتشار الكرازة بالإنجيل فى كل البلاد.

فرانسيس شيفر.. ذلك المفكر القدير والذى أثبت للعالم كله أنه فى الزمن الذى ضاعت فيه الحقيقة فإن رسالة الخلاص بيسوع المسيح مازالت هى الحقيقة الوحيدة الثابتة إلى الأبد.. لقد قدم شيفر الإنجيل بلغة يفهمها هؤلاء الذين تشوهت المبادئ لهم بفضل الإنسانية والتفكير النسبى.. والذى خلا من أية إشارة لوجود الله.

كوّن شيفر "اللابرى" أو "الملجأ" Shellter ليستقبل فيه الشباب الحائر.. التائه، والذى يصارع ضد نفسه والعالم، الشباب الذى رفضته الكنيسة ورفضه مجتمعه.. وأصبح فاقد النور والبصيرة.. لهؤلاء قدم لهم شيفر العلاج والدواء ـ الحب والرعاية ـ القيمة والجوهر.. عن طريق واحد هو الإيمان بيسوع المسيح..

چيمس پاكر.. خدم الكنيسة بتقديم كثير من التعليم المسيحى بشأن اللاهوت وبين پاكر أن الفكر المتحرر ـ فكر عقيم.. وأن اللاهوت ليس فقط موضوع حيوى.. بل أنه أمر هام جداً لكل مسيحى..

وأخيراً .. **چون ستوت** .. فقد وضح أن أهمية الوعظ التفسيرى للكتاب المقدس لا تكمن فقط فى الحفاظ على الفكر والأساس اللاهوتى

السليم وفى تطبيقه بأسلوب صحيح ـ إنما أيضاً ليكونوا فعالين قادرين على تقديم رسالة الخلاص للعالم من حولهم.

لكن لماذا هؤلاء الخمسة بالذات ؟ ..

فى الحقيقة كل واحد منهم قد طبع أمراً فريداً فى حياتى.. فمارتن لويد چونز ـ جدى بالجسد ـ استمتعت معه بأحن وأدفأ العلاقات فى كل حياتى.. فرانسيس، أيضاً.. ساعد كثيراً فى تشكيل تصورى للعالم.. كليهما شكل اكثر اتجاهاتى الفكرية..

أ ما ستوت وپاكر فقد أثرا فى مستقبلى التعليمى أو عن طريق كتبهم.

وفى عام ١٩٧١ .. حينما كنت ضمن فريق الكرازة الدولى **Overseas Student Outreach Team at Cambridge** اصطحبت بعض الشباب لسماع خدمات بيلى جراهام فى ciccv Mission .. لهذا كله.. فقد أعجبت بشدة بكل شخصية على حدة الأمر الذى شجعنى على كتابة قصة كل منهم..

ومن جهة أخرى.. فإن تطور الفكر الإنجيلى ونمو المسيحية الإنجيلية فى كل من بريطانيا وأمريكا الشمالية لم يكن ليتم أبداً بدون هؤلاء

القادة الخمسة.. كانوا عصب النهضة.. بتأثيراتهم العميقة فى توجيه الكنيسة فى القرن العشرين.

قام منهجهم فى الخدمة على غيرة مشتعلة للكرازة عن المسيح وإدراك عميق بالإنجيل الذى هو كلمة الله الحية والفعّالة.

وفى عصر.. فقد البشر فيه سلامه ورجاءه.. أكد هؤلاء على أن الرجاء الحقيقى الثابت والغير متغير هو فى شخص المسيح يسوع - الفادى المقام من الأموات.

هؤلاء ساهموا فى حصر المادية الإنسانية والعلم.. وكرزوا بالبشارة بجرأة وثقة وسلطان..

كل منهم قدم رسالته بطريقة وأسلوب متباين جداً.. وكل منهم تعامل مع فئة مختلفة عن غيرها من البشر.. إلا أن الهدف الذى جمعهم كان جلياً وهو إعلان الخبر السار للعالم كله.

من الواضح عزيزى القارئ عندما تقرأ هذا الكتاب.. أن كل خادم من هؤلاء الروّاد له أسلوبه ومنهجه الخاص.. ولو لم يوجد هذا التباين.. لما استطعت كتابة هذا الكتاب بنجاح..

لقد دونت دور وتأثير كل منهم ومساهماتهم لصالح الكنيسة

والعقيدة المسيحية بأسلوبى.. فعلى سبيل المثال : هناك ٤ منهم يتبعون نظريات كلڤن وممارساته الدينية.. بينما واحد فقط منهم له نظريته الخاصة به..

اثنان منهم إنجيليون اسقفيون، واثنان آخران من الكنيسة المستقلة، وواحد فقط مختلف.. ثلاثة منهم فقط.. كان عملهم لصالح مسيحيى العالم الثالث بينما الاثنان الآخران ليس لهما دور مماثل فى هذا الصدد.

لكنهم جميعاً كانوا إنجيليين - أثبتوا قوة وفعالية كلمة الله - الإنجيل - حتى فى يومنا هذا..

وكما اعتاد مارتن چونز أن يقول دائماً "أستطيع أن أغفر لأحدهم وعظه الضعيف إذا جعلنى فقط أشعر بحضور الله الحى" ..لذا فإن رجائى أن تشعر بحضور الله من خلال عمله الرائع فى حياة خمسة من أبنائه...

كريستوفر كاثروود
(كامبريدج - أغسطس ١٩٩٣)

الفصل الأول

چون ستوت John Stott

چون ستوت فى كلمات :

فى عام (١٩٢١)... ولد فى ٢٧ أبريل

(١٩٣٩)... ذهب للدراسة فى جامعة كامبريدچ

(١٩٤٥)... أصبح عضواً فى كنيسة جميع النفوس "All Souls" لننجهام - لندن

(١٩٥٠)... أصبح قسيساً

(١٩٧٤)... مؤتمر لوزان

(١٩٨٢)... أسس معهد لندن للمسيحية المعاصرة

- ولد چون أرنولد ستوت فى ٢٧ أبريل من عام ١٩٢١ - كابن وحيد لطبيب مشهور فى شارع هارلى ستريت وهو سير أرنولد ستوت Arnold Stott - أما أمه فهى من أصل ألمانى وتدعى Emily ..

كان والده غير مؤمن بوجود الله وعلى العكس فكان يؤمن بالأمور المادية وأن العلم والمنطق هما التفسير لكل الخليقة، وقد عرف عنه بأنه شخصية ثورية.. تخرج سير أرنولد ستوت - مثل مارتن ليود چونز Martyn Liyod Jones - من كلية بارت Bart - وبعدها أصبح

مستشاراً في مستشفى ويستمنستر Westminster ثم التحق بعدها بالجيش. كان التنوع الكبير في عائلة چون ستوت له أثره الكبير فالأب كان غير مسيحي ـ والأم زوجة هادئة عرفت بعطفها ودفء مشاعرها ـ مما جعل من عائلة چون عائلة متناغمة جداً.

نشأ چون ستوت وترعرع في كنيسة "كل النفوس" في لننجهام بلندن ـ وهي قريبة جداً من شارع هارلي ستريت الشهير في لندن.. كان چون الصغير يحمل لديه شعوراً عميقاً من الإدراك لاحتياج الطبقة الفقيرة في المجتمع، وقد عرف عنه تمسكه الشديد بالعدل الاجتماعي والمساواة. ويُحكى عنه أنه في إحدى الإجازات الصيفية ـ بالقرب من جزيرة تسمى كالدي Caldy ـ كان هناك دير للرهبان وكان الرهبان يتسلمون رسائلهم عن طريق صيادي الجزيرة.. وذات مرة شاهد ستوت أحد الصيادين وهو يفتح أحد الخطابات ويقرأها.. فثارت ثورته وغضب بشدة حتى أنه ظل مستاء لمدة ثلاثين يوماً.. وكما عبر مؤخراً.. قال إنه كان يشعر بحس روحاني تجاه العدل..

ـ في الثالثة عشر من عمره ـ التحق ستوت بنفس المدرسة التي تخرج منها والده ـ وهي مدرسة شهيرة اسمها Rugby ـ حيث اشتهرت بلعبة الرجبي المعروفة في أمريكا.. فضلاً عن ما عرف عن اتجاهها باحتقار

المشاعر والدعوة لتهذيب النظرة الراقية التى تميزت بها الطبقة العالية والوسطى فى المجتمع البريطانى فى ذلك الوقت.. وكما نرى فقد كانت هذه المبادئ التى تنادى بها مدرسة رجبى مناقضة تماماً للتعاليم المسيحية..

أما چون فلم ينشأ هكذا... فقد حرصت أمه على توجيهه للكنيسة وزرعت فيه أصول الإيمان المسيحى وأن يقرأ الإنجيل ويصلى مع إخوته ـ أما هو فكان يقول : (كنت أفعل ذلك من أجل إرضاء أمى وبطريقة روتينية وليس بحب ودافع شخصى).

ـ شب چون ستوت كمراهق صاحب مثل عليا ومبادئ أخلاقية ـ وفى الخامسة عشر من عمره أسس اتحاد طلابى أسماه **ABC** وهى كانت تشير إلى جملة "كن مسيحياً دائماً" ـ إلا أن چون اعترف بعد ذلك أنه كان ضعيف الإرادة ويجهل أموراً كثيرة عن المسيحية حتى إنه عزم على التسلل للكنيسة واختلاس بعض الوقت لقراءة الكتب الروحية التى كان يستمتع بقراءتها ويبحث فيها عن الله.

بعد ذلك ذهب ستوت إلى مدرسة الاتحاد المسيحى Christian Unity لم تكن مدرسة معروفة كثيراً نظراً للاتجاه الاعتراضى الذى أخذته سلطات المدرسة ـ وقد جذبت هذه المدرسة نظر كثير من الشباب ومن

بينهم ستوت نفسه.

وبعد عدة شهور من التحاقه بهذه المدرسة ـ جاء قس معروف لدى طلبة المدارس اسمه "**ناش**" Eric Nash إلا أن الطلبة كانوا ينادونه "**باش**" ـ وعلى الرغم من أخطائه العديدة فقد عرف ناش بأنه كارز فعَّال وله حساسية شديدة تجاه النفوس الغير مخلصة.

جاء ناش هذا لزيارة المدرسة وأقام معسكراً روحياً باسم "معسكر باش" وكان يعاونه فى الخدمة شباب مدرب على الكرازة لطلبة المدارس العامة وكانت أعداد غير قليلة منهم تقبل الخلاص كل عام.

ـ وفى إحدى الاجتماعات التى حضرها چون ستوت ـ كان ناش يتكلم عن السؤال الذى سأله بيلاطس : (ماذا أفعل مع يسوع الذى يدعى المسيح؟) وقد أثرت هذه العظة جداً فى ستوت ذلك الشاب الإنجليزى الذى تعلم فى مدرسة الرجبى التى كانت تعلم عن (مسيحية العضلات) بمعنى أن تكون مسيحياً هو أن تقوم بأعمال صالحة أكثر من أن يكون لك علاقة حقيقية بالمسيح المخلص. أما الكلمات التى سمعها ستوت من ناش فقد جعلته يشعر بأنه غير مسيحى على الإطلاق وأن كل التعليم الذى أخذه كلا شئ !! وبدأ ستوت يدرك لأول مرة أن ليس هناك ما يمكن أن يفعله مع المسيح إذ قام المسيح نفسه بكل شئ من أجله!

أما ناش فقد أوضح للشباب أنه من المستحيل أن تقف موقف المتفرج.. غير قادر أن تأخذ قراراً.. فإما تأخذ موقف بيلاطس وترفض المسيح كملك.. أو أن تقبله كمخلص شخصى لحياتك!! ولم يكن ناش يستعمل أسلوب الضغط فى كلامه لكنه لاحظ أن ستوت ـ ذلك الفتى صاحب الـ ١٧ عاماً ـ كان يبحث عن هذا الخلاص فى أعماقه لكن السبب فى عدم بدايته مع المسيح هو حاجته إلى من يشجعه.. وبعد العظة اصطحب ناش ستوت معه فى نزهة بالسيارة وبدأ يفسر له طريق الخلاص بالمسيح إلا أن ستوت تأثر بناش نفسه الذى كان يحمل قوة حضور المسيح فى كلامه وحياته.. وهذه الحساسية المرهفة والحكمة التى كانت لناش هى التى دفعت ستوت أن يأخذ قرار خلاصه بنفسه وهذا هو ما حدث بالفعل.. فبعد عودة ستوت لمنزله فى تلك الليلة.. صعد لغرفته وبكى تائباً..

ثم تحول ستوت هو أيضاً ـ مثل ناش ـ إلى كارز وكان يتحدث لرفقائه فى الدراسة عن المسيح والخلاص وقاد الكثيرين منهم للتوبة والتجديد.

فى عام ١٩٣٩ اندلعت الحرب.. فقامت مجموعة من المسيحيين بتسجيل أسمائهم أمام دار القضاء احتجاجاً على فكرة الحرب وكنتيجة لذلك اتجه الكثيرون إلى حياة التكريس مثلهم مثل القسوس.. أما

ستوت فبالرغم من رفضه لفكرة الحرب وإيمانه بأ نها ضد تعاليم الموعظة على الجبل.. إلا أن السبب فى تكريسه كان رغبة صادقة منه وليس احتجاجاً فقط على فكرة الحرب وقد التحق ستوت فعلاً بالخدمة والتكريس قبل الحرب أى فى عام ١٩٣٨ .. وقد لاقت هذه الرغبة رفضاً شديداً من والده سير أرنولد ستوت الذى كان فى منصب مستشار طبى فى الجيش، وكان يعترض على السلوك الذى انتجهه ستوت وساءت علاقتهما مدة طويلة بسبب ذلك.

وفى ١٩٣٩ التحق ستوت بجامعة كامبريدج - كلية ترينتى حيث درس اللغات الحديثة وتطلب الأمر منه تلمذة حقيقية وانضباطاً شديداً.. وهى الصفات التى ميزت أسلوب وعظه فيما بعد.

رافق ستوت ناش فى كثير من معسكراته بعد ذلك واستفاد منه كثيراً خلال ذلك حتى أصبح ستوت سكرتيراً عاماً لمؤتمرات ناش الطلابية.. وكان ناش يعلم ستوت ويفسر له كثيراً الأمور الروحية واللاهوتية ويقدم له نصائح رعوية وكان يكتب له خطابات أسبوعية تعلمه عن كيفية الصلاة وقراءة الكتاب المقدس وكيف يمارس حضور الله فى حياته كل يوم.. ويعترف ستوت أن رسائل ناش كانت تحمل كثيراً من التعنيف والتوبيخ له حتى إنه كان يصلى قبل قراءتها حتى يكون

مستعداً لاستيعابها.

لكن ستوت بقى فترة طويلة يعانى من الشك تجاه اللاهوت والعقل حيث كان يرى بعض أصدقائه القدامى الذين دخلوا الخدمة الكهنوتية غير قادرين على تطبيق اللاهوت المسيحى بطريقة عملية فى حياتهم فكانوا يحضرون المحاضرات وأقدامهم مرفوعة لأعلى وفى أيديهم مجلات التايمز وهذا ما كان عليه الوضع فعلاً فى كامبريدج حينذاك! لكن هذا الوضع تغير بعد ذلك على يد مدير الكلية الجديد **ديريك كندر** Derek Kinder

ومن الشخصيات الأخرى التى كان لها تأثير واضح فى حياة چون ستوت - زميل دراسته - العالم (**أوليفر باركلى**) Oliver Barclay الذى كانت تربطه بچون علاقة حميمة جداً وخاصة. وأيضاً مارتن چونز الذى لعب دوراً هاماً فى تحويل Inter Varsity Fellowship - إلى مؤسسة تقدم العقل والعاطفة فى الحياة المسيحية وهو الأمر الذى كان مخالفاً للتعليم الذى كان يقدمه ناش فى معسكراته الكرازية.

بعد ذلك تحول ستوت لقراءة اللاهوت المسيحى بجدية. وكان هدفه هو تقريب الفجوة التى كان يشعر بها بين اللاهوت المسيحى وبين الفكر ومشبعاً أيضاً رغبته فى دراسة الإنجيل وأمانته فى حياة مسيحية عملية.

ويحكى أوليـفـر باركلى أن مـجئ سـتـوت لكليـة ترينتى فى كامبريدج قلب الموازين رأساً على عقب، فى إحدى محاضرات ريدلى هـول Ridelly Hall ذكر الأخير أن لا توجد إشارة واضحة فى الكتاب المقدس لوجود لاهوت محدد.. فأعقبه ستوت بسؤال فى بعض الأجزاء الكتابية والتى تشير بوضوح تام لوجود لاهوت بالفعل، وكان من ريدلى أن اعترف لستوت بأنه على دراية بالإنجيل أكثر منه !! كان ستوت لذلك طالب يجمع بين الإبداع الفكرى مع الحفاظ على جوهر اللاهوت ـ الأمر الذى جعله قادراً على خلق ثورة فكرية فى جامعة كامبريدج.

ويحكى ستوت عن ناش أنه خلق داخله حباً عميقاً لدراسة الكتاب المقدس إلا أن المسيحية التى قدمها ناش ابتعدت كثيراً عن الواقعية ولم تعترف كثيراً بالفكر.. لكنه على كل حال عرف بأمانته الشديدة فى علاقته بالرب ـ واهتمامه وشغفه الكبير بالوعظ ـ طاعته وتكريسه ـ خضوعه ـ للكلمة المقدسة ـ وأن وعظه كان بسيطاً ومباشراً. وهذا ما طبعه ناش على شخصية ستوت وغيره من القادة الإنجيليين الذين قادوا الكنيسة فى إنجلترا فيما بعد.

وكان ناش يؤمن بأن له دعوة خاصة للكرازة وسط طلبة المدارس، وكان هدفه الأول هو إعداد قادة أكفاء وأمناء للإنجيل وللكنيسة والخدمة

بعد ذلك ـ واختار ناش أن يركز على قلة من الطلبة لاسيما هؤلاء الذين أتوا من ثقافات متميزة.

وقد نجح ناش بالفعل في هدفه. إذ تتلمذ على يديه كثير من المصلحين المسيحيين أمثال ستوت Stott ، مايكل جرين Micheel Green من اكسفورد ، مارك رستون Mark Ruston من كامبريدج، وديك لوكاس Dick Lucas من لندن. بالإضافة لبعض العلمانيين الغير أنجيلكان نذكر منهم على سبيل المثال : فريد كاثروود Fred Cattrerwood ـ الذي نجح في إدارة الـ IVF الذي تحول للـ UCCF حالياً، وهو صناعي وسياسي شهير، بالإضافة إلى چون مارش ـ الجراح المعروف ـ وكلاهما قد تخرج أيضاً من جامعة كامبريدج وكانا زميلا ستوت في الدراسة.

ـ نقل ستوت عن ناش نفس فكرته عن الزواج ـ فاعتقد كليهما أن خدمة العلماني تتطلب حياة مسيحية وتكريساً كاملاً لله ـ بعيدة عن الالتزام بعائلة ـ الأمر الذي جعل ستوت يرفض الزواج مثله مثل ناش.

هذه الفكره خلقت ثورة كبيرة في ذلك الوقت حتى أن بعض السيدات هاجمن ستوت لسلوكه وقامت ابنة مارتن چونز بمظاهرة ضد هذه الفكرة التي نشرها ستوت في كامبريدج، ومن المفارقات الغريبة التي حدثت

بعد ذلك أنها تزوجت من فريد كاثروود أحد معاصرى ستوت فى الجامعة وواحد من القادة القليلين من زمرة ناش الذين قرروا أن لا يدخلوا الكنيسة احتجاجاً على فكرة عدم الزواج!

إلا أنه ليس كل من بقى أعزب استطاع أن يتكرس فعلاً للخدمة والكنيسة، فقد ترك أحد القسوس المجال الروحى تماماً واتجه للاشتغال بالفن فى الولايات المتحدة لعدم قدرته على التأقلم مع هذه الشروط.

وبعكس مارتن چونز الذى كان يشجع فكرة الزواج بشدة فقد اختار ستوت أن يبقى بدون زواج وشعر أن ذلك الأمر دعوة شخصية من الله لحياته إذ أعطاه القدرة على أن يبقى كذلك. ويعترف ستوت أن بقاءه بدون زواج أثر فى حياته وخدمته بدرجة كبيرة إذ أتاح له فرصة التكريس بالكامل للرب وللخدمة وخاصة فى المجال الرعوى - وأتاح له أيضاً القدرة على السفر بحرية لكثير من بلدان العالم ولاسيما دول العالم الثالث بدون معاناة من فراق زوجة أو أولاد. فى حين أن البعض أشار إلى أهمية وجود زوجة كعامل معاون ومساعد لخدمة القسيس. وعلى حد قول مارك لابرتون Mark Labberton بأن آلام الوحدة والشعور الصعب بأنك بمعزل عن الآخرين (بمفردك) فى المعركة.. وضغط المشاعر التى تفرض عليك أن تستمر فى اختيارك.. كل هذا ساعد

ستوت على تطوير خدمته الرعوية ببقائه بلا زواج.

أما والد ستوت ـ السير أرنولد ستوت ـ فكان دائماً يبغى لابنه أن يدخل السلك الدبلوماسى نظراً لمقومات شخصية چون. وقد أثبت چون فعلاً براعته فى ذلك حينما لعب دوراً دبلوماسياً كبيراً فى العدد من التجمعات المسيحية مثل مؤتمر لوزان عام ١٩٧٤ والذى سيأتى ذكره مفصلاً فيما بعد! لكن ستوت قد عزم على تكريس نفسه للكنيسة فى إنجلترا وخاصة لكنيسة جميع النفوس All Souls فى لننجهام حيث ظل هناك منذ ذلك الحين.

وقد عرفت كنيسة جميع النفوس بأن طلابها ومعلميها هم فئة متميزة ومختلفة ـ وتقع هذه الكنيسة فى موقع متميز بالقرب من جامعة لندن وعدد من المستشفيات الكبيرة وإذاعة BBC فكانت لذلك جزئية منفردة ومستقلة عن المجتمع البريطانى العام. وبالرغم من هذه الانتقادات إلا أنها كانت نفس العوامل المحفزة التى أكسبتها أهم الخصائص التى ميزتها ككنيسة وكجماعة محلية فى بريطانيا.

وقد كان لهذه الكنيسة أكبر الأثر فى توصيل رسالة الخلاص، فقد قام ستوت مع جماعة من زملائه بتوصيل رسالة المسيح لبعض الورش المجاورة، ثم بعد ذلك للنوادى وعدد كبير من المحلات حيث كانوا يعطون

الشهادة بجرأة عن المسيح هناك.

- أولى ستوت اهتمامه الأكبر لخدمة الوعظ وساعده على ذلك شغفه القوى بقراءة الكتاب المقدس وهو مازال فى التاسعة عشر من عمره. وشجعه على ذلك أيضاً ناش. ويعلق أوليڤر باركلى أن خدمة الوعظ فى كنيسة كل النفوس قد تغير كثيراً بحلول ستوت فيها حيث كان الوعظ هو العامل الأقوى الذى جذب النفوس للكنيسة حتى إنها ظلت تعد أكبر مركز لخدمة الكلمة فى بريطانيا كلها لفترة طويلة من الزمن.. إلا أن هذا النوع من الوعظ الذى قدمه ستوت كانت تعتبره الكنيسة الأسقفية ظاهرة جديدة عليها حيث تعود المسيحيون على الخط الحزين من الوعظ والذى استمر ابتداءً من القرن التاسع عشر.

- وفى عام ١٩٤٦ أصيب "ايرنشو سميث" راعى الكنيسة بأزمة قلبية وكان ذلك بعد وصوله إلى جميع النفوس بستة شهور. وتدهورت صحته بعد ذلك، لذلك رفض ستوت نقله إلى مكان آخر، وبعد الأزمة القلبية الثالثة توفى ايرنو سميث على إثرها.. قام المجلس بتقديم التماس للملك چورچ السادس والذى كان المسئول الأول فى ذلك الوقت عن تعيين القساوسة فى الكنيسة ومنحهم منصب قيادة الكنيسة، وقد حصل ستوت بالفعل على هذا المنصب وكان فى ذلك الوقت عمره لم

يتجاوز بعد ٢٩عاماً.

أدخل ستوت بعض التجديدات فى الكنيسة فارتفع عدد الخدمات الكرازية حيث خصصت واحدة فى بداية كل شهر وبالتالى زاد عدد المخلصين بعد انتهاء كل خدمة - بعد ذلك وفى ١٩٦١ - عقد مؤتمراً لتدريب الشباب المسيحى مما ساعد على زيادة الخدمة فى الكنيسة بفضل هؤلاء الشباب. وأكثر من ذلك فقد كان للكرازة عظيم الأثر فى نمو الكنيسة، كما علق ستوت بنفسه على ذلك : "إن الكرازة ليست أسلوب للخدمة - إنها عمل الله فى الكنيسة أن يضم هؤلاء الذين يخلصون كل يوم.. لذا علينا أن نتضع أمام الله ونطلب وجهه وحده.. لذا ونحن متوقعون بالإيمان فإن الله سوف يعمل.. ليس فقط فى خدمة أول كل شهر.. بل فى كل يوم سوف ينضم مخلصون جدد للكنيسة".

إلا أن ستوت لم يجد نفسه فى إطار أنشطة الكنيسة فقط - حتى إنه وهو فى سن صغيرة - تجند مع مارتن چونز - بعد الحرب - فى الجامعة لخدمة طلابها العلمانيين محدداً أسلوب الوعظ فيها حتى يكون أكثر تأثيراً فى الطالب العادى - ومن ذلك الحين اعتبرته الكنيسة الأسقفية ظاهرة جديدة بالفعل. لكن هذا الأمر أعطى قلباً جديداً تماماً فى كثير من الاتجاهات المسيحية - مثال على ذلك ما قدمه ستوت بأن المسيحى ليس

بالضرورة أن يلزم نفسه بالخدمة الكهنوتية (الأسقفية) حتى يثبت ولاءه وخضوعه لله.. كما أن العقل والمنطق لا يتعارضان مع المسيحية، وقد فتح هذا الاتجاه التعليمي الجديد الباب أمام غير المسيحيين أن يقبلوا الخلاص وأدى لانتشار القيم المسيحية في وسط المجتمع العادي أيضاً.

وانعكاساً لذلك.. تأثر كثير من الشباب الصغير بوعظ ستوت وجونز حتى أن بعضهم اتجه طوعاً للخدمة بعدما رأوا اتجاهاً جديداً في المسيحية يتناسب والحياة العلمية والفكرية ـ وسلكوا نفس اتجاه ستوت في الوعظ والكرازة.. مثال على ذلك كنيسة سانت هيلين في لندن التي يعظ فيها الإصلاحي "ديك لوكاس" ويحضرها حوالي ١٢٠٠ شخص ويقبل المئات منهم رسالة الخلاص في كل مرة..

وديك لوكاس Dick Lucas هذا هو واحد من الذين تأثروا بأسلوب ستوت في الخمسينات حيث بدأ ستوت ما يعرف باسم Eclectric Society مجتمع متعدد المصادر والعناصر ـ والذي كان مؤسساً على معرفة عامة بالحق الكتابي ومسموحاً فقط للإنجيليين المحافظين تحت سن ٤٠ سنة ـ وكان الهدف منه تبادل الآراء بشأن بعض المقاطع اللاهوتية الأساسية (الرئيسية) في الكتاب المقدس.

وكانت مشكلة الكثيرين في ذلك الوقت هي مسألة الإيمان والعلاقة

بين الإيمان الروحى والعقل والشكوك حول إمكانية تحرير الكنيسة الإنجيلية من الفكر التقليدى الذى يقف ضد مبدأ الفكر. لذا فقد كانت هذه المجموعة التى كونها ستوت لها أثر كبير فى تحديد الهوية ومساعدة الشباب من الجيل الجديد فى إيجاد مسيحية عملية معاصرة، وأنه ليس هناك تعارض بين المسيحية والإنجيل وبين الفكر والتحليل. وهما الصفتان اللتان اشتهرت بهما "جميع النفوس" بقيادة چون ستوت بالإضافة إلى التصاقها الشديد بحياة الصلاة وبأنها كنيسة معاصرة لزمنها ، فى حين ادعى القسس المتحررون فى بريطانيا بأن الإنجيلى هو أسقفى مشكوك فيه. بينما أكدت "جميع النفوس" على عكس ذلك بأن الانجيلى هو مسيحى أمين على المبادئ التى أرستها الكنيسة الأولى فى بريطانيا.

كما أسس ستوت أيضاً اتحاد Nefac والذى أقامه فى داخل الكنيسة المسيحية الأسقفية ثم أسنده بعد ذلك إلى المجلس الكنسى الإنجيلى البريطانى - وقد ساعد هذا الاتحاد على تدريب كثير من الأسقفيين فى دول العالم الثالث فى مجال الخدمة المسيحية الأمر الذى لم يكن متاحاً من قبل.

وقد قام ستوت أيضاً بتجميع بعض المسيحيين المتخصصين والذين لم

يكونوا على وفاق مع الكنيسة الأسقفية وأتاح لهم فرصة التفكير بطريقة تفاعلية لكن على أسس كتابية سليمة. وهذه المجموعة بالذات ساعدت ستوت على تكوين نظرة شاملة فى المجادلات والمناقشات اللاهوتية لأى مجموعة ذات أفكار متباينة. ومن هؤلاء المسيحيين المتخصصين كان فريد كاثروود، والكاتب المعروف أوز چينيس Os Guiness ـ زملاء ستوت فى كامبريدچ.

لكننا سنتوقف هنا قليلاً عند أمرين مهمين فى حياة ستوت.. الأمر **الأول:** هو الواجهة العريضة من حياته. **والثانى:** هو نشاطه الحالى ـ ونقصد بالواجهة العريضة هو عمله الدولى فى زمالة "جميع النفوس"، والثانى قيادته لمعهد لندن للمسيحية المعاصرة والذى تنعقد اجتماعاته فى كنيسة القديس بطرس.

بدأت فكرة الزمالة فى "جميع النفوس" الدولية الـ Asif فى ١٩٦١ وكانت انعكاساً لنفس فكرة ناش واهتمامه بخلق قادة دوليين ولاسيما من طلاب دول العالم الثالث الذين يأتون للدراسة فى جامعات انجلترا.. ففى الستينات كان هناك حوالى ٥٠ ألف طالب غير إنجليزى يدرس بالجامعات البريطانية ـ منهم ٣٥ ألف فقط فى لندن ـ أى ربع تعداد الطلبة فى لندن.. وكان منهم أيضاً ٥٠٠٠ طالب أتوا للدراسة فى

المجلس البريطانى التعليمى فى بورتلاند - بالقرب من "جميع النفوس".. ومن هنا بدأت الفكرة تراود ستوت إلا أنه لم يكن قد استقر بعد على تأسيس الـ Asif. وفى ١٩٦٣ ذهب ستوت فى زيارة للكلية الملكية فى نيروبى (جامعة نيروبى حالياً) لتقديم إحدى خدماته. وهناك تعرف على روبرت هوارث (يعمل الأخير فى منظمة الـ Navigators فى نيروبى وأحد طلبة "جميع النفوس" سابقاً) ..وأقنعه ستوت بفكرة تأسيس مؤسسة تعليمية دولية لكل الطلبة من جميع البلدان.. وفعلاً لاقت الفكرة قبولاً، وبدأ العمل هو وزوجته مع ستوت فى الـ Asif الذى بدأ فى أغسطس ١٩٦٣ .

كان ستوت يهدف من تكوين الـ Asif إلى :

١) مساعدة وتشجيع الطلاب المغتربين (الذين يأتون من خارج بريطانيا للدراسة بجامعاتها) وتقديم الحب والايواء لهم.

٢) الهدف الثانى وهو الأهم... انتشار مجال الكرازة عبر المحيطات من خلال هؤلاء الوافدين من خارج البلاد.

بالإضافة لذلك.. أن بعض هؤلاء الطلبة كانوا يرون فى بريطانيا مثالاً على البلد المسيحى، لذا فقد رأى ستوت مدى أهمية هذا الأمر،

بل واستغلاله فى تقوية الإيمان المسيحى لهؤلاء الطلبة وتقوية الناحية الروحية فى حياتهم أيضاً. كما أن بعض الطلبة خاصة الذين أتوا من دول غير مسيحية كانوا يجدون صعوبة شديدة فى محاولة فهم ومعرفة المسيحية بطريقة صحيحة نظراً لصعوبة التبشير فى هذه البلاد..

من هنا بدا لستوت اهمية استغلال هذا الوضع فى إقامة وإعداد قادة مسيحيين من خلال هؤلاء الطلبة وبدون الحاجة لاجتياز البحار والمحيطات إذ هم يأتون لبريطانيا بطريقة طبيعية بهدف الدراسة. وفى خلال السنوات العشرة التالية التى قضاها ستوت كرئيس عام للـ Asif ـ تزايد عدد الطلاب الذين أتوا من كل صوب وجهة وجنس ولون ـ وكان الجميع يتعاملون معاً كإخوة وبدون أى تمييز لونى أو عرقى.. وبنهاية السنة الأولى للأسيف كان عدد المتقدمين للتسجيل حوالى ٤٠٠ طالب يمثلون ٥٠ دولة ـ قام ٣٧ طالباً منهم بقبول الخلاص فى فترة الشهور العشر الأولى. وكان ستوت يهتم بالطلبة الغير بريطانيين اهتماماً خاصاً، بل وكان يشجع الطلبة البريطانيين والأمريكيين أن يحُذوا حُذوه ويشجعهم لإقامة علاقات طيبة معهم، وكانت لقاءات شهرية تنظم فى هذا المعهد بالإضافة لحفلات الكورال والكريسماس حيث كان يلقى ستوت فيها عظاته من الإنجيل.

قام ستوت بزيارات عديدة لأفريقيا واشترك فى كثير من خدمات الجامعة هناك. وكان لوجود ستوت أكبر الأثر فى الحفاظ على أهمية الاتزان فى الحياة المسيحية والتمسك بالحق الكتابى وعدم الانجراف فى الاتجاه الحماسى وبخاصة أن الحركة الكاريزماتية كانت تجتاح شرق أفريقيا فى ذلك الوقت وانجرف معها كثيرون فى اتجاهات روحية خاطئة وبخاصة فى غياب أو ضعف المعرفة الروحية السليمة بالكتاب المقدس.

- تم تجميع خطب ستوت فى بريطانيا وخارجها فى كتابه (مبادئ المسيحية Basic Christianity)، وهو يُعد أفضل كتاباته حتى الآن. وتميز بأسلوب فريد فى الكتابة يرجعه البعض لعدم زواجه.

- أما عن صداقات ستوت فهى غير محدودة نظراً لكونه مراسل بارع.. ويذكر القس چيتارى (من كينيا) أن خطابات ستوت كانت ذات تشجيع عظيم له كما يصف ستوت بأنه كان شخصاً اجتماعياً ومسيحياً منفتحاً، الأمران اللذان من أجلهما وافق ستوت على التدريس خارج بريطانيا أيضاً.

وقد تأثر بستوت عدد كبير من الشباب فى أمريكا وكندا من خلال زياراته المتكررة للولايات المتحدة وكندا حتى وصل عددهم إلى ١٧٠٠٠ طالب أو أكثر..

وبرغم كل الصيت الذى حظى به ستوت إلا أنه كان دائماً يقول : "ينبغى أن يكون الله وحده فى المشهد وليس أى إنسان آخر" ..وقد اتفق ستوت مع مارتن چونز فى عدم كتابة أي سيرة ذاتية له بل أن ينشر فقط المعلومات التى تساعد القارئ على فهم أسلوب عمله وتفكيره..

أما الحدث الذى سنذكره عن حياة ستوت فهو معهد لندن للمسيحية المعاصرة London Institute of Contemporary وبدأت فكرته عندما دعى چيم هيو ستون ـ ستوت ـ أن يعظ فى جامعة ريچينت بڤانكوڤر بكندا عن "مشكلات العصر وموقف المسيحية منها" ـ بعدها أصبح ستوت زائراً متردداً لجامعة ڤانكوڤر وكان معجباً بفكرة هيو ستون عن توصيف الفكر المسيحى لخدمة العالم المعاصر.. وقد قرأ ستوت كتاب بالمير الشهير "الفكر المسيحى" والذى لاقى قبولاً كبيراً لدى كثير من المسيحيين.

فى عام ١٩٧٤ بدأ ستوت سلسلة من المحاضرات السنوية لأساتذة مسيحيين متخصصين حول بعض المواضيع المختارة بعناية ثم شملت مدى واسع من الموضوعات بعد ذلك.

ومن خلال هذه المجموعة تأسس معهد لندن للمسيحية المعاصرة والذى بدأ عمله بالتحديد فى ١٩٨٢/١٩٨٣ ورأسه ستوت ـ وكان

الهدف الرئيسى من هذا العمل حث الطلبة على التفكير من منطلق مسيحى مؤسس على الكتاب المقدس تجاه العالم من حولهم ولتشجيع الاتجاه الفكرى لديهم ومساعدتهم أن يسلكوا ـ كما يقول الكتاب ـ ملح فى الأرض ونور للعالم فى المجتمعات التى يعيشون فيها.. حيث كانت هذه المحاضرات تلقى من أساتذة ذوى خلفيات متنوعة لكنها كلها ارتكزت على أساس كتابى واحد وهو الكتاب المقدس.

وقد امتاز ستوت بصفتين عظيمتين ميزتاه كقائد فكرى مسيحى وخادم إنجيلى هما :

١ ـ الأولوية العظمى التى أعطاها ستوت للوعظ ودراسة الكلمة.

٢ ـ عدم تعارض الفكر المسيحى مع النشاط الاجتماعى.. وكانت الصفة الأخيرة قد انتشرت حديثاً وقلبت بعض الدوائر الإنجيلية على عقبها.

وقد عقب على ذلك أحد القادة المسيحيين الأفارقة بأن چون ستوت لكونه قائد دولى معروف فإن معتقداته اللاهوتية والتى عبر عنها بأسلوب فكرى اجتماعى كانت مدعاة لأن ينتبه إليها المرء ويوليها أذنيه بتركيز شديد.. ولهذا السبب عينه كان ستوت ذا عون كبير لبعض

المسيحيين الذين انتهجوا نفس منهجه فى التفكير داخل إطار إنجيلى سليم.

وفوق كل هذا.. فإن چون ستوت هو فى الأصل - الخادم الواعظ - خادم الكلمة - وهذا الأمر لا يمكن إخفاؤه بأي صورة - وفى ذلك كتب ستوت كتابه "أنا أؤمن بالوعظ" I believe in Preaching الأمر الذى أعطى ستوت مكانة خاصة فى قيادة الكنيسة بعد أن قرأه كثير من المسيحيين.

وفى ذلك يقول ستوت : "أرى أن الوعظ هو أمر هام فى المسيحية - وبدونه تفقد المسيحية ركناً رئيسياً من أصلها لأن المسيحية فى جوهرها ما هى إلا كلمة الله وأن يسوع المسيح نفسه هو الكلمة المتجسدة.. وقد استمر التلاميذ من بعده يعظون، بل أن الله نفسه يتكلم إلينا اليوم من خلال الوعظ".

عندما جاء عصر الإصلاح.. أعطى مركزية لخدمة الكلمة وبزغ قادة مسيحيون عظماء منذ ذلك الحين إلا أنه فى القرن العشرين انحدر الوعظ لمرتبة ضعيفة جداً.. ويعلق ستوت على ذلك بأن تدهور الكنيسة فى الغرب لهو مؤشر أكيد لضعف الوعظ فيها. لقد جعل المسيح للوعظ أهمية عظيمة فلماذا لا نوليه نحن اهتماماً خاصاً أيضاً. ويرجع ستوت

بعض الأسباب لذلك إلى وجود تمرد ضد السلطة وخاصة فى بعض المراحل العمرية التى يتمرد فيها الشباب ويأخذون الأمور من منظور نسبى - لذلك يؤكد على حقيقة أن المسيحيين عليهم أن يتمسكوا بأصول تاريخ الكنيسة. فالمسيحية هى إيمان معلن والوعاظ هم خدام السر الإلهى حيث يستمدون سلطان كلماتهم من الله لأنها ليست كلماتهم من ذاتهم بل هى كلمات الله السامية والمملوءة كل حق.

إن خبر البشارة لهو أمر هام يحتاجه العالم فى يومنا هذا أشد احتياج.. وعندما ننظر لما أحدثته الثورة الصناعية نجد مثلاً أن اختراع التليفزيون قد قلل من قدرة البشر على التركيز والاستيعاب لأنه يقدم الموضوع جاهزاً للمشاهدة والاستمتاع. لذا كان على الواعظ فى يومنا هذا أن يصارع من أجل جذب انتباه المشاهد. وتدريبه على أن يحيا بالحق ويتمسك به. لذا فإن الوعظ أمر ضرورى جداً ولا يمكن استبداله بخدمة أخرى بديلة، فالله عندما تكلم على لسان يسوع المسيح فى الموعظة على الجبل وبقوة الروح القدس استطاع أن يشبع الجموع الفقيرة المحتاجة.

ويضيف ستوت بأكثر، من الصعب أن تكون العبادة مقبولة حتى إذا كانت فى جو تسبيح لائق ومقبول لأنها تخلو من الوعظ.. ذلك لأن

تقديم معرفة الحق يرفع التسبيح والعبادة ذاتها لدرجة أعلى من القوة.

لقد نسى الكثيرون ما هى أصول الوعظ ـ وتجاهلوا كثيراً من مبادئه حتى أصبح الوعظ يقدم على صورة حوار بدلاً من تقديمه بكل مجاهرة وسلطان. نحتاج لتجديد الروح المسيحية لتكون أكيدة وحاسمة بمؤازرة كل من الصلاة والوعظ بالعهد الجديد الذى بيسوع المسيح. أما الشك وعدم التأكيد إنما يشير لوجود خلل روحى فى عصرنا، وعلينا أن نجاهد ونتوقع فى الصلاة من أجل نعمة روح الحق من خلال الكلمة.

ويؤمن ستوت بأن فى هذا الوقت سيدفع الله بكل قوات الضلال ليعود ميزان الحق فى اتجاه الإيمان مرة أخرى ولكى تمارس الكنيسة بجراءة دعوة رسالتها الواحدة الثابتة منذ الأزل. لذا علينا أن نرفع الوعظ للمكانة التى يريدها الله فى كنيسة اليوم.

ثم ينقلنا ستوت إلى نقطة هامة أخرى وهى ـ كيف يكون الوعظ مؤثراً بحق؟ يقول ستوت إن الأمر لا يتوقف على الأسلوب بل على قوة الحجة والبرهان الذى تستند إليه العظة.

البرهان الأول هو الله نفسه ـ فالله نور وقد أعلن هذه الحقيقة فى ابنه يسوع.. "أنا هو نور العالم" ـ إن هذا هو سلطان الواعظ وهو يقودنا

للبرهان الثانى.

البرهان الثانى وهو كلمة الله فى الإنجيل - لأن مسئولية الواعظ الأولى هى تقديم الحق الذى هو الخلاص الوحيد لزمننا المعاصر وليس العكس.

وأكثر ما يحزن ستوت هو أن كثيراً من الإنجيليين ليسوا خداماً للكلمة كما هو منتظر منهم. فالواعظ كما يراه ستوت هو رسول قلبه مشتعل لبناء الملكوت - لتقديم كلمة حية معاشة من الإله الحى - كلمة مقروءة يراها البشر.. وكلمة الله عندما تقدم بسلطان وبقوة الروح القدس قادرة أن تتكلم لكل جيل بل وتغير حياتهم.

- **البرهان الثالث** الذى يعتمد عليه الواعظ هو "أن الكنيسة هى الخليقة الجديدة التى يصنعها الله بكلمته" وكلمته هذه هى العصا التى يحكم الله بها كنيسته وهى الغذاء التى ينميها به. وكلما كان الإنجيل يقدم بطريقة حية ومعاشة (عملية) كلما استخدمه الله فى إرشاد كنيسته فى الحق وحفظها من الفناء.

- **البرهان الرابع** هو.. الخادم ليس كاهناً لكنه بالأولى (راعى) - يقود الرعية بسلطان الكلمة ولذلك فهو بالضرورة - أيضاً يكون معلماً.

ـ **البـرهـان الخــامـس** فـهـو.. "الوعظ المسيـحى المبنى على الحق" ويقـول ستـوت فى ذلك.. إن الكتـاب المقدس ليس مـجـرد وسيلة تسـاعـد الخادم على تقديم فكرته، إنما هو الأساس نفسـه، وخدمـة الوعظ تتطلب وجود إطار وقـدرة على تقديم المعنى الأصلى الأكيـد بوضـوح ومنطقيـة وبدون خداع أو تلاعب بالألفاظ.. ولا شك أن براعة چون ستوت ومارتن چونز فى خدمـة الكلمـة ووصفها بأنهـا أكثر الوعـاظ تأثيراً فى عـصـرنا الحـالى ـ يرجع سـببـه إلى ـ إيمانهـمـا العـمـيق وتمسكهـمـا الشديد بأولوية الكلمة كبرهان الروح القدس وقوة عمل الله فى الحق الموعوظ به.

ومن ثم فـإن الواعظ هو رسـول، خـادم الإنجيـل، سـفـيـر لحضـور الله ـ وأخيراً كمايراه ستوت ـ أنه وصلة الحق من الله للبشر.

وقد اتهم البعض سـتـوت بأن كلامـه غـيـر مـعـاصـر بينمـا افـتـقـد هؤلاء غـالبـاً إلى الحق الكتـابى. ومن ذلـك يظهـر الحـاجـة الشـديدة للجـمـع بين الكتـاب المقدس والعـصـرية (روح العـصـر) ـ إذ بتـجـسـد المسـيـح ابن الله ـ أخذ صورة جسـدنا البشرى ـ لكنه لم يفقد لاهوته أبداً.. وبنفس الطريقـة فإن الوعظ المسـيـحى عليـه أن يتعـامـل مع زمـننا المعـاصـر وبدون أن يفقـد أصل جوهره ـ ولا أن يفـقـد الهـدف الرئيـسى الذى هو إطلاق كلمــة الله الثابتة للأبد بأن تعمل فى العالم الدائم التغيير.

ويضيف ستوت أن الوعظ يجب أن يكون مفهوماً - متفقاً مع مارتن ليود چونز فى قوله - "إن عمل الوعظ هو ربط التعليم الكتابى بأحداث يومنا المعاصر" - وقد كتب ستوت أيضاً عن الوعظ أنه لابد وأن يظهر - يقدم - المسيح يسوع الذى عاش ثم مات - والذى هو حى أيضاً - وقادر على تسديد احتياجاتنا على اختلافها وتنوعها. وهذا فى الحقيقة يقودنا لمسئولية عظيمة يضعها الله أمامنا وهى إظهار الحق للمجتمع المعاصر من خلال تقديم كلمة الإنجيل. هذا الإنجيل الذى يقدم مبادئ العدل، وكرامة الإنسان وغيرها من المواضيع المعاصرة الأخرى التى يحتاجها العالم فى يومنا هذا.. إلا أن ستوت يرى أنه من الصعب أن يؤثر المسيحى مباشرة فى المجتمع بغرض إصلاحه لأن ملكوت الله ليس تنظيماً سياسياً إنما هو جسده الذى يشمل كل المؤمنين. وقد رأى ستوت من واقع عمله مع بعض المسيحيين الذين أرادوا بشدة أن يجمعوا بين دعوة الإنجيل ومراكز اجتماعية فى المجتمع أو السياسة أنه من الصعب جداً على الواعظ أن يوفق بين الاثنين.. فالواعظ لا يحتاج أن يوجه ويعمل بالسياسة، بل أن يضع المبادئ المسيحية بكل وضوح لينتهج عليها الآخرون فى حياتهم السياسية كانت أم اجتماعية.. فالواعظ إذاً مهمته أن يساعد على تطوير الفكر المسيحى وأن يقدم الإنجيل بروح العصر معطياً لهم كل الحق، مشورة الله التى هى صالحة وكاملة..

والواعظ يجب ألاّ يكون متحزباً ـ بل قادراً على تقييم النتائج التى قدمها المسيحيون الآخرون فى ضوء مبادئ كتابية سليمة ومستخلصاً منها موقفه الشخصى على أن يترك الفرصة للآخرين للقبول أو الرفض.

إلا أن البعض يتساءل هل يحق للواعظ أن يتكلم فى موضوعات عامة مثل البطالة، الأسلحة النووية، كما فعل چون ستوت فى "جميع النفوس" ـ بعدها ـ تحولت عظته تلك لواحدة من أكثر الكتب شهرة. لكن الرأى المعارض كان يرى أن الواعظ عليه أن يلتزم فقط بالحقائق المسيحية الرئيسية ومن ثم فإن دوره قاصر على إعطاء الهيكل العام فى حين العلمانى يختص بالجزء العملى منه!.

وقد شجع تيد سكرودر ستوت على رأيه خاصة بعد اهتمام ستوت بموضوع العمالة، فى حين رأى البعض أن ستوت أصبح مجادلاً لمصالح خاطئة ـ أما ستوت نفسه فكان يرى أن الخادم الذى يتجنب الجدال لمجرد الخوف ـ هو شخص غير جدير بالمسئولية.

ومن زاوية أخرى ـ رأى ستوت أن ميكانيكية عدم التسلح ـ هو أمر خارج اختصاص الكنيسة ـ لأنه مبنى على سياسة معينة ـ علينا أن نتركه للمختصين فى هذه المجالات السياسية والتكتيكية.. من ثم فإن المبدأ واضح أما النظام فهو مفتوح للمناقشة. والدور هنا فى يد

المسيحيين العلمانيين لأن ينشطوا أكثر مما هم عليه.. فأن ذلك سوف يوفر على قسوس الكنيسة مشكلة الوقوع فى مجادلات بشأن هذه المشاكل السياسية أو الاجتماعية ـ لأن هؤلاء العلمانيين لديهم السلطة بحكم مكانتهم فى الوسط الاجتماعى أن يتحكموا فى بعض المواضيع الشائكة مثال ما عرضناه من قبل فى موضوع (مشكلة) البطالة، والتسليح النووى، بل ويستطيعون أن يفرضوا الحق الكتابى من خلال تواجدهم الطبيعى فى المجتمع إذ أن حق النقد الاجتماعى والسياسى مكفول لهم.

جوهر الوعظ :

يقول ستوت "إن أفضل المعلمين هو ذلك الخادم الذى يعتبر نفسه تلميذاً دائماً". إن دراسة الكتاب المقدس هى أكبر مسئولية بالنسبة للواعظ ـ لذا فعليه أن يكون دارساً جامعاً وشاملاً للكتاب. وعن ستوت نفسه.. فهو يقرأ الكتاب المقدس كله مرة كل عام حسب قراءات "موراى مكينى" التى نصحه بها مارتن چونز.

والدراسة يجب أن تكون بذهن صاف ومفتوح ـ يضع الدارس منها نفسه بروح الصلاة أمام الله وبروح الإيمان لتعاملاته المتغيرة.

والواعظ هو شخص اجتماعى مقبول وغالباً ما يكون راعياً نشيطاً، الواعظ دائماً يستمع لاحتياجات الرعية ويحافظ على اندماجهم بطريقة متوازنة وسط المجتمع لكى يتعرفوا على فكر العالم من خلال الناس حولهم ومحتفظين بروح الحق داخلهم دون الانسياق لروح هذا العالم.

وقد كون ستوت بالفعل مجموعة لقراءة ودراسة وامتحان الأحداث الزمنية الهامة.. وكان يستشهد بأهل الخبرة فى التخصصات التى ترتبط بموضوعات عظاته التى يقدمها حتى يستطيع تغطية الموضوع من كل جوانبه.. ومن المعروف عن ستوت أنه يحتفظ بسجلات لكل هذه المواضيع والدراسات فى ملفات مرتبة بترتيب معين فى مكتبة.. ويخصص ستوت وقتاً محدداً للدراسة والتأمل فى كوخه الذى اشتراه منذ أربعين سنة فى مقاطعة ويلز الشهيرة وهو يذهب هناك كل عام للقراءة والكتابة والاستمتاع بهواياته فى دراسة علم الطيور، التصوير،..

ويضيف ستوت فى كتابه "أنا أومن بالوعظ" ـ إن الواعظ عليه أن يعد نفسه قبل الوعظ (الخدمة). أما ستوت فكان يركع على ركبتيه أمام الإنجيل وهو فى روح الصلاة ـ يصلى ويدرس فى كلمة الله.

وبعد ذلك يتأمل الواعظ فى المقطع الكتابى ومعناه وإمكانية أن

يعيشه ويطبقه فى يومنا المعاصر. ثم ينتقل بعد ذلك للفكرة المحورية فى النص؟ وعلى عكس المحاضرات فالعظة تهدف دائماً لتوصيل فكرة واحدة رئيسية. كما أن بناء إطار للعظة يعد أمراً ضرورياً لكن أهم ما فى الأمر هو أن يكون الواعظ الذى يقدم المسيح هو فعلاً يعرفه جيداً. بل وأن تكون حياته وسلوكه خير شاهد عملى على ما يعظ به. فالحياة المسيحية المتكاملة وبقلب خاضع للمسيح لهو أكبر مسئولية على الواعظ. كما أن الواعظ شخص أمين وصادق.

والوعظ يجب أن يكون محسوساً يشعر به المستمع ويستقبله عقله وقلبه معاً، يقدم بطريقة منطقية، حقيقية، نابعاً من مصدر حى.. وكما يقول نيوتن "فالوعظ عليه أن يخترق القلب القاسى ويشفى القلب المكسور". والواعظ هو شخص متواضع معتمد بالكامل على قوة الروح القدوس، فيسوع المسيح هو الوحيد القادر بروحه القدوس على فتح أعين العمى وأن يعطى حياة للموتى وفك قيود المستعبدين والمقيدين. وعندما تعظ يجب أن تترك للرب أن يتعامل مع النفوس حتى وقت ضعفك! وقد اختبر ستوت ذلك فى استراليا سنة ١٩٥٨ عندما مرض قبل تقديمه إحدى العظات، وكان يشعر بضعف شديد فى جسده إلا أنه قد رأى يد الرب تتحرك وتعمل فى النفوس لنوال الخلاص.

ويلخص ستوت كلامه... "لا شئ على الإطلاق يمكنه أن يحافظ على حيوية الكنيسة ونموها فى النعمة وبلوغها الكمال أكثر من التعليم الكتابى النقى والمعاصر.."

إن هدف الواعظ في الحقيقة هو إعلان مجد الله. ويصف ستوت مشاعره عن ذلك بقوله: "إن أعظم اختبار يمكن أن يحسه الواعظ عندما يخيم سكوت غريب على الحاضرين. حيث تجد الناس فى انتباه والكل ساكن في مكانه والعيون والعقل شاخصة في سكينة وهدوء.. الكل حاضر.. ليس في الحقيقة بسبب الواعظ.. إذ الواعظ مختفى.. والجميع وجهاً لوجه مع الإله الحى.."

لقد كان المسيح يسوع نفسه واعظاً، والرسل أيضاً، وبالمثل كان الإصلاحيون الأوائل.. وفى الواقع أينما كانت هناك نهضة حقيقية.. تجد الوعظ فى المركز.. أما الآن فقد أصبح الوعظ بكل أسف خدمة مهملة على حد قول هؤلاء الذين يدعون فرح الامتلاء بالروح القدس وحضوره فى وسطهم. أما إذا قلنا حقاً يسوع فى الوسط فإن هذا يعنى فعالية الوعظ فى الكنيسة.

والواعظ كما يراه ستوت هو خادم لا يخترع عقائد روحية جديدة بحسب أهوائه أو أنه يقوم بحذف عقائد قديمة لأنها لا توافقه. إنما خادم

الله الأمين، هو يقدم كلمة الحق بأمانة مطلقة وكما هى مدونة بالإنجيل - لا أقل ولا أكثر - ولا شئ مختلف عن ذلك.

إن الوعظ هو بحق احتياج كنيسة اليوم التى فقدت صواب الاتجاه وهو الحاجة للخلاص الذى يفتقده العالم بشدة.

الكرازة والوعى الاجتماعى :

إن واحدة من أروع التطورات التى طرأت على كنيسة اليوم هو جانب الاهتمام بالفقير والمحروم والاعتراف به فى جسد المسيح كعضو مسيحى مقبول على حسب عمل النعمة.. على عكس الأيام الشريرة الماضية التى كان المسيحيون يعيشون بانعزالية عن هدف الطبقة الفقيرة غير مولينها أى عاطفة أو اهتمام. أما الآن.. فالإيمان والأعمال هما وجها العملة المسيحية! والسبب فى ذلك يرجع لأمرين :

أولهما : أن الغرب أعاد اكتشاف التعليم الكتابى الحق وأن بعض ميراث المؤمن معناه نواله رعاية واهتمام اجتماعيين.

والأمر الثانى : هو أن مؤمنى العالم الثالث أصبح دورهم اليوم فعالاً وحيوياً فى جسد المسيح، بل ويتزايد عددهم بشكل ملحوظ من خلال مؤتمر لوزان فى عام ١٩٧٤ . وفى الحقيقة أن چون ستوت كان له دور

هام فى هذا المؤتمر وما تلاه من مؤتمرات عقدت بعد ذلك فى برلين ثم فى أمستردام. ويعد مؤتمر لوزان هذا نقطة تحول فى تاريخ الكنيسة الإنجيلية:

أولاً : لتأكيده على أهمية تقديم التعضيد والمساعدة الاجتماعية بجانب نشر الخلاص.

وثانياً : للاهتمام الخاص الذى أولاه المؤتمر لكنيسة العالم الثالث فى السنوات القادمة.

وقد بدأ مؤتمر لوزان برفع الشكر للإله الحى على نشره الخلاص فى كل أنحاء العالم ـ وقدمت الكنيسة توبة على كل تقصير منها وأعلن الجميع بإيمان وثقة شديدة وبموافقة الأغلبية أن الغاية والهدف هو تلمذة جميع الأمم.

وقد أعلن المجتمع (المجلس) نفسه ماهية وغرض الله كما تراه الكنيسة الإنجيلية وتؤمن به فى قوة وسلطان وهو كلمة الحق التى ليس فيها غش. لأن كلمة الإنجيل هى حق لكل البشر كما أن إعلان الله بالمسيح يسوع والإنجيل هو حق ثابت لا يتغير.

وقد اجتمع فى مؤتمر لوزان حوالى ٢٧٠٠ شخص يمثلون ١٥٠ دولة ـ

اكدوا بكل يقين إيمانهم بالإنجيل وأنه يوجد مخلص واحد وإنجيل واحد.. فالمسيح يسوع الله والإنسان قد قدم ذاته على الصليب فدية كاملة عن كل الخطاة لذا فهو الشفيع الوحيد بين الله والناس.

من هنا كانت الكرازة أمرا حيوياً جداً لأنها تعلن عن المسيح المخلص عبر الزمن والتاريخ وأنه الكلمة المتجسد فى الكتاب المقدس.

ومن الإحصائيات التي أذاعها المؤتمر أن هناك حوالى ٢٧٠٠ مليون شخص لم يسمعوا بشارة الخلاص بعد (أى ما يزيد عن ثلثى العالم) ..وبالرغم من هذا الرقم الضخم فإن كثيراً من المسيحيين لا يولون أى اهتمام أو وعى اجتماعى لهذا الأمر معتقدين أن هذا غير مرتبط بالكرازة! وبالرغم من أن مصالحة الإنسان مع أخيه الإنسان لا تكمل المصالحة بين الله والإنسان ـ ولا أن المسيحية فقط عمل كرازى اجتماعى أو حرية سياسية.. إلا أن لجنة المؤتمر قد أقرت بأن العقيدة المسيحية فى موضوع العلاقة بين الله والإنسان تتلخص فى محبتنا للآخرين وطاعتنا للرب يسوع وهما أمران فى غاية الأهمية.

بل وأكثر...

إن الكرازة تحمل فى طياتها رسالة العدل ضد كل تحزب وتفرقة وظلم

واستعباد.. ونحن المسيحيون علينا أن ندين كل شر وظلم أينما وجد. إن الغاية من التجديد ليس فقط أن نزداد في التعمق الروحي إينما في أن تتسع الكنيسة أيضاً وتمتد في وسط عالم شرير فاسق. إن خلاصنا يلزمنا بمسئولية تجاه مجتمعنا.. فالإيمان بدون أعمال ميت.

كما أقر مجلس لوزان بضرورة خروج المؤمنين من الدائرة المغلقة بل وأن نخترق المجتمعات الأخرى الغير مسيحية.. فكلما نكرز بالصليب علينا أيضاً أن نعلنه في حياتنا ـ ربما يعني هذا وجود بعض الخطر ـ لكنه أمر حتمي ـ كما أشار ستوت في تعليقه.

وقد عالج مؤتمر لوزان أيضاً موضوع سيطرة الغرب على الكنيسة المسيحية بوجه عام فالحال قد تغير الآن.. وأصبحت الكنيسة اليوم هي جسد المسيح بجميع ألوانه وأجناسه وثقافاته.

والكنيسة الآن متضامنة في كل أنحاء العالم.. كما اعترف مؤتمر لوزان بكنيسة العالم الثالث وبعملها وحيويتها ـ وقد وضع المؤتمر موضوعين لهما أولوية أولى :

أولاً : أن الـ ٢٧٠٠ مليون شخص الذين يحتاجون الخلاص هم من كل الجنسيات، لذا فالمسئولية تقع على الكنائس المحلية ودفعها بصورة

إيجابية للاعتماد الذاتى.

وعلى النقيض أيضاً.. فقد أقر مؤتمر لوزان بأن الكنيسة لا يمكنها أن تكمل دعوتها الكرازية فى العالم دون تقديم أيه تكلفة، فهناك مثلاً المجتمعات التى تعانى من عدم وجود عدالة اجتماعية، ومشكلة الملايين الذين يموتون بسبب الفقر والمرض والجوع - بالإضافة إلى المشكلات الأخرى.. وهنا حدث بعض الانقسام.. فالبعض نادى بأن المؤمن الذى يحيا فى وسط ظروف اجتماعية صعبة عليه أن يطور نفسة بطريقه ما بحيث يجمع بين دوره الكرازى فى المجتمع وبين حياة مريحة وسط المجتمع. أما البعض الآخر فقد رأى أن فكرة البساطة فى حد ذاتها فكرة هدفها عدم التكلفة. وهنا اختلفت المعايير فيما يعتبره الغرب تكلفة بسيطة قد يعنى ألماً شديداً لدول العالم الثالث الفقيرة، والمشكلة هنا هى عدم تفهم الوضع الاجتماعى فى الدول الفقيرة. فمشكلة العالم الثالث هى وجود الخلافات التاريخية وإرتباطها بالعبادات الوثنية.. وقد علق أحد المسيحيين من الهند أن مشكلة الهند مثلاً ليست فى عدم وجود ديانة، فهناك عشرات الديانات لكن الأزمة هى سيطرة الديانة الهندوسية فى غالبية المجتمع - وهو السبب الحقيقى وراء الحالة الفقيرة التى تعانى منها البلاد. وعندما حاول بعض المسيحيين فى الهند أن يكونوا مجتمعاً خاصاً بهم لا يوجد فيه فقر - كانت النتيجة تعرضهم للضرب المبرح من

الهندوس وباءت محاولتهم بفشل ذريع.

ثم مشكلة المجتمعات الحضارية كما هو الحال فى أمريكا الشمالية. فالمسيحيون هناك وقفوا ضد فكرة إصلاح المجتمع لأن اشتراك المسيحى فى المجتمع معناه أنه غير ملتزم بأصول المسيحية.. إلا أن مؤتمر لوزان لم يتوقف على التأكيد على أهمية الكرازة فى وسط المجتمع.

أما الأصوليون الذين أتوا من أمريكا الجنوبية فكان الأمر من وجهة نظرهم مسألة إيمان.. وأن الله بكل تأكيد يقف إلى جانب الفقير والمحتاج والمستعبد، لذا فدور المسيحى هنا هو ليس رفض الظلم وإنكاره بل وإصلاح نظام الحكم المستبد فى البلاد، فالخطية ليست أمراً فردياً بل هى أمر يخص الجماعة ككل أو هى "خطية هيكلية" Structural Sin على حد التعبير. وقد تصاعدت المناقشات حول هذا الموضوع كثيراً.. وبذل عدد من الأفراد القياديين فى مؤتمر لوزان بتقييم هذه المناقشات وفى ضوء الإنجيل. وقد تم استكمالها بعد ذلك فى المؤتمر الذى عقد بالولايات المتحدة فى يونيو ١٩٨٢ والذى تم فيه مناقشة موضوع الكرازة والرعاية الاجتماعية.

وقد اختير چون ستوت ليقوم برئاسة اتحاد التسجيل (الذى كانت مهمته تدوين تقارير اللجان المنعقدة).. وجاء اختيار ستوت لهذا المنصب

بسبب اختلاف الآراء وما عرف به ستوت من إخلاص شديد وأمانة لكلمة الإنجيل من ناحية واهتمامه الواضح برعاية الفقراء من ناحية أخرى.

وقد سمى مؤتمر ١٩٨٢ باسم "استكمال مهام لوزان الغير منتهية" ـ وقد أجمع الكل فيه أن المسيحيين المؤمنين هم كل من يعيش تحت سيادة الله على حياته وتحت سلطان الكلمة وبقيادة الروح القدوس، لذا فمن الواجب ألا نتحزب بسبب اختلاف الآراء. وبفضل هذه الرغبة فى وحدة واحدة ـ تمكن المؤتمر بقيادة ستوت أن يخرج تقريراً شبه موحد برغم أن الاتحاد كان قد علق "أنه كان صراعاً" بسبب وجود نقطة عمياء داخل كل جنس أو شعب، وهو الأمر الذى يساهم فى تدهور البشرية ككل.

وقد أشادت الإحصائيات أيضاً لوجود ٣٠٠٠ مليون مسيحى غير إنجيلى فى العالم، ٨٠٠ مليون شخص غير مسيحى ـ وأقرت اللجنة على اتصال الكرازة بالعمل الاجتماعى.. وقد أوضح ستوت فى حديث له فى احتفال سنوى عام ١٩٨٣ (أشار فيه إلى جمعية Wilberforce التى ناهضت فى سبيل حرية العبيد ، وشافتزبرى Shaftesbury الذى منع استغلال القسوة فى معاملة الأطفال). إلا أن القرن التاسع عشر يتطلب من المؤمن أن يهتم بأخيه الفقير والمحروم.

وفى نفس الوقت فإن نفور بعض الإنجيليين من موضوع الرعاية

الاجتماعية هذا يرجع إلى قيام بعض المسيحيين الغير مؤمنين بعمل برامج وأنشطة اجتماعية ـ والتى لم تكن لها أهداف كتابية واضحة أو كرازية سليمة.. ويعلق ستوت على هذا بأن الكرازة تنبع من العمل الاجتماعى أو تؤدى إليها، أما الأعمال الصالحة فى حد ذاتها فهى ليست دليل قاطع على نوال الخلاص.

ونرى فى رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ـ الاصحاحات ٨، ٩ أن الرسول بولس هنا يشجع المؤمنين الذين نالوا الحرية فى المسيح أن يساعدوا المستعبدين لإبليس وأن يترأفوا أيضاً على الفقير والمسكين والأرملة ، وأن يكون موقفهم عملياً وإيجابياً تجاههم.

بالإضافة إلى كون الأعمال الصالحة مدخل رائع للكرازة.. فالمحتاج اجتماعياً فى حاجة لمن يرعاه أولاً ويهتم به ومن ثم يستطيع أن يرى المسيح كمخلص شخصى له.. والمسيحية قادرة بكل المقاييس على تسديد أى نوع من الاحتياجات ـ فى المسيح ـ الأمر الذى يقود الشخص لمعرفة حقيقية بالرب. والأعمال الصالحة التى يصنعها المؤمن هنا ـ من زاوية مختلفة تماماً عن الأعمال الصالحة التى يقدمها الغير مؤمن ـ لأن الأولى مصدرها وهدفها شخص المسيح يسوع.

وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح فى كتابات لستوت كما فى "المجتمع

الجـديد الذى يـخلقــه الله" "God's New Society" ويشـــيـر فـــيـه للمسيحيين المخلوقين فى المسيح ـ ذلك المجتمع الجديد ـ والذى عليه أن يتحدى المجتمع القديم.. هذه دعوة الإنجيل اليوم أن نكون ملح الأرض ونور العالم.

وقد وافق أغلب المشتركين فى مؤتمر VSA (بجراند رابيدز) ـ ١٩٨٢ ـ أن دور المسيحيين أساسه العمل، البر، والسلام. الا أن المشكلة كمنت فى (لأى مدى يمكن تنفيذ ذلك) فالأمر ليس مقصوراً على مجرد خدمة اجتماعية فحسب بل الأمر هنا متداخل مع عدة اعتبارات واعتقادات بعضها اجتماعى أو سياسى شائك ـ الأمر الذى يجده البعض صعب الاجتياز.

وهناك فئة متعارضة مع الرأى السابق ـ وهؤلاء يرون أن المسيحى ليس جزءاً من المجتمع العالمى لذا فهو غير متداخل مع المجتمع.. والبعض الآخر يقول إن الكنيسة هى عامل فعال فى المجتمع العالمى.

كما كان هناك تباين واضح فى الآراء عن دور المسيحى فى المجتمع بين هؤلاء الذين يعيشون فى مجتمعات ديمقراطية وأولئك الذين يعيشون داخل أنظمة سياسية مغلقة.

أما ستوت فيعتقد أن كل مؤمن من حقه أن يستمتع بكل خليقة طيبة صنعها الله، وأن المجتمع المسيحى المخلوق فى المسيح ليس فيه قصور أو ضعف أو فقر. وأن دور المسيحى فى الأساسيات بشرط أن يتجنب التدخل فى مشاكل المجتمع الكبيرة..

ويذكرنا ستوت بأن الغنى الغبى لم يذهب للجحيم لكونه غنى - بل لأن قلبه كان متحجراً وغير مبال بالفقراء من حوله. والقضية هنا ليست من هو الغنى والفقير أو فى الغنى والصلاح.. إنما القضية فى الاهتمام أو الازدراء بهؤلاء الذين يئنون ويحتاجون من حولنا ونحن لا نصغى ولا نمد يد العون لهم. فالذى يملك الكثير عليه أن يعيد لمن لا يملك شيئاً.. على أن ذلك لا يكون من باب الشعور بالذنب إنما بدافع الحب لأخ ضعيف فى المسيح.

إذا اعتبر المسيحيون هذا الأمر بجدارة.. فسوف يزداد الوعى الاجتماعى فى الكنيسة ككل. وفى كتابة "المسيحية المتوازنة Balanced Christianty" كتب ستوت عن المبادئ التى يؤمن بها بقوة ومن بينها ما يخص استخدام الأسلحة وهل هذا أمر مسيحى مقبول أم مرفوض.. وقد كتب ستوت أن الدولة من حقها اللجوء لاستخدام الأسلحة فى حالة الدفاع عن مواطنيها وبخاصة إذا كانت تقف ضد نظام حكم فاسد أو

مستبد مثلما حدث فى الاتحاد السوفيتى.. إذاً علينا أن ندافع عن العدالة وأن نقاوم كل نظام فاسد حتى لو باستخدام السلاح.

وهناك من يوافق ستوت على رأيه حيث أن من واجب المسيحى أن يقف ضد كل شر حتى لو لجأ للسلاح كما أشار بولس فى رومية ١٣ ـ وعلى رأس هؤلاء فرانسيس شيفر من أمريكا وچيرام بارس من إنجلترا.. ويرى هؤلاء أن التسليح النووى بالرغم من قوته التدميرية إلا أنه استطاع أن يحفظ السلام وأن يجنب العالم من حرب شاملة ـ لكنه من جهة أخرى أبقى على نظم سياسية غير عادلة أيضاً.

وعلى الجانب الآخر.. فهناك من له نظرة سلمية تماماً ـ وهؤلاء يرون أن يسوع لم يستخدم قط أى نوع من الأسلحة.. مما يشير إلى عدم قبول فكرة التسليح من أساسها. وهؤلاء المعارضون لفكرة التسليح يحبذون فكرة التشاور والحوار بين الدول المتحاربة فى محاولة لإيجاد حلول سلمية لمشاكلهم.

أما ستوت فهو يأخذ موقفاً محايداً بين هاتين المجموعتين.. وفى حديث له عام ١٩٥٠ أعلن ستوت رفضه للاختيار السلمى. وبصفة عامة يميل ستوت لفكرة الأسس والقيم الأخلاقية إلا أنه يفضل ترك التفاصيل الشائكة لمن هو ذو خبرة حتى يجنب نفسه الوقوع فى مشكلة

المجتمعات أو مشكلة الجوع، ... إلخ .. ويظهر هذا فى كتابه "نظرتنا الإنجيلية إنجيلية أكثر منها تقليدية".

ونظرية الحرب العادلة تنص على أن مقاومة الشر يجب أن تتناسب مع كمية المعاناة التى حدثت بالفعل وآثارها.. وهذا يعنى عملياً أن الدفاع المسلح له كل الحق فى تدمير قوات الخصم المعادى بدون أن يؤذى المدنيين لأنهم ليسوا جزءاً من الصراع ذاته.

ويرى ستوت أن الحرب النووية لا تعتبر حدا فاصلا كما أنها لا تؤدى إلى تصحيح الموقف بين الدول المعادية (المتنازعة) لأنه فى المقابل سيموت ملايين من الأبرياء.. ومن ثم "فالحرب النووية لا يمكنها أن تكون حرباً عادلة".

ويستند ستوت فى رأيه على أساسين كتابيين :

الأول : أن إهراق الدماء أمر محرم فى العهد القديم.

الثانى : كما جاء فى رومية ١٢ ـ أن تفعل الخير وتبغض الشر "على قدر استطاعتك" وبكل وسيلة ممكنة لديك ـ وفى الواقع فكلا الاعتبارين لا يتحققان فى الحرب النووية. وقد اتهم ستوت من قبل چيرام بارز Jerram Barrs، مينونيتس Mennonites وغيرهما على موقفه.

ويشعر البعض أن مستقبل ستوت قد خبا كثيراً بسبب تركيزه الشديد على الجانب الفكري في المجتمع - على أن هذا الرأي صائب لحد كبير كما سبق وعرضنا أن ستوت قد قضى فترة كبيرة من شبابه في "جميع النفوس" حيث كان منغمساً في الدراسة أو في لقاءات فكرية مع غيره من المفكرين اللاهوتيين.. ويرى البعض أن ستوت قد بنى أفكاره على النظريات وليس على الخبرات المكتسبة.

وهنا يجب أن نشير إلى أمرين بهذا الخصوص :

أولاً : إن المفكرين أنفسهم يحتاجون بشارة الإنجيل في خدمتهم - أي - الوعظ.. إنما الاختلاف في دعوة كل منهم.. فالبعض قد تكون دعوة الله له في حواري كالكتا في الهند بينما يدعو الله آخر للتدريس في الجامعة،... إلخ .. والأمر المشترك لجميعهم هو الخضوع الكامل أمام الله.. والتسليم لمشيئة قصده ودعوته.

ثانياً : إننا نعيش اليوم في عصر تخلى فيه كثير من المسيحيين عن ملكة الفكر / العقل التي خلقها الله في الإنسان كمخلوق راق مفكر.. وأصبح بالتالي كثيرون يعيشون في حيز ضيق جداً وفي جهل عن كلمة الله ودعوته - مما يجعل منهم فئة غير آهلة للمسئولية.

وفى كتابه "عقلك يساوى كثيراً Your Mind Matters" - حارب ستوت من أجل مسيحية مؤسسة على الحق الكتابى وعلى إدراكنا باحتياج العالم من حولنا.. وفى كتاب آخر بعنوان" "حافظ على الكلمة النبوية - Guard the Gospel (IVP)" يبين ستوت أننا يجب أن نكون محافظين فى صورتنا (مظهرنا) وسلوكنا وأن نحفظ بدايات الإيمان التى سلمها الله لنا فى كلمته.

و من الجوانب الأخرى لفكر ستوت هو اعتقاده فى المسيحى المتزن - والمتكامل نفسياً، اجتماعياً، فكرياً، ... وأن يكون فى نفس الوقت أصولياً.. ففى الولايات المتحدة تمرد كثير من المسيحيين وبخاصة الشباب على أصول آبائهم الدينية والاهوتية ووصفوها بأنها أفكار جامدة وغير عصرية، وكنتيجة لذلك فقدوا حبهم وانتماءهم لمجتمعهم، واختفت محبة الفقير ومساعدة المحتاج. وللأسف الشديد أن عدداً كبيراً من هؤلاء الشباب عندما أبدوا رغبتهم فى دراسة تعاليم السيد المسيح فى بعض الموضوعات مثل العدالة الاجتماعية، السلام.. تمادوا فى رفضهم وتمردهم على التقاليد المسيحية التى نشأوا فيها. وحولوا اهتمامهم على ما يخص الملكوت متغاضين عن الإشارات الواضحة للأصولية وأهمية التقليد.. بل ولم يروا يسوع الذى عاش على الأرض وكان صديقاً للخطاة والعشارين.

وبكل أسف.. فان هذا النوع من التعليم غالباً ما يفشل صاحبه فى فهم لحقيقة وماهية الصليب، فعند جيل المؤمنين القدامى.. كان قرار التبعية للمسيح يعنى تقديم توبة شخصية وكانت العلاقة الشخصية بين الانسان والله أمراً شخصياً جداً وإيماناً ثابتاً.. أما التقليديون فقد تجاهلوا أمر التجديد فى حياة الشخص وأثره على الآخرين من حوله..

إن المسيحية ليست موضوع أخلاق صالحة وحسب ـ لكنها كنيسة ـ جماعة المؤمنين ـ مجتمع الله الجديد على الأرض ـ نور العالم ـ هؤلاء الذين فداهم المسيح بدمه ـ فأصبحوا شهود محبته ومستعدين أن يضحوا من أجل الآخرين أيضاً.. أما المتحررون الذين رفضوا أصلهم، فقد قللوا من تكلفة الصليب فى حياة المسيحى..

أما ستوت فهو أصولى يعرف تكلفة الصليب، وفى كتابه "المسيحية الأصلية Basic Christianity" وضح ستوت أننا مخلصون فقط على حساب موت المسيح على الصليب، وفى كتاباته العديدة عن الموعظة على الجبل وكتابة "مجتمع الله الجديد" عن أفسس يؤكد ستوت نتائج وآثار الحياة الجديدة فى المسيح، وأن المسيحية هى أمر فردى وجماعى أيضاً.. صحيح أننا نولد من الله بطريقة شخصية جداً لكن الله يضعنا بعد ذلك وسط شركة جسده حيث يوجد الغنى مع الفقير، الصغير مع

الكبير، الذكي والضعيف.. وأنه كما أن دعوتنا هي للكرازة - علينا التزام في الوعظ بأفكار الله التي هي حق وعادلة - وأن نقف لمساندة الضعيف والفقير، وأن نجاهد لإقامة عدل اجتماعي كما نصلي من أجل المدارس والتعليم،..

وليدرك المسيحيون ذلك - يجب أن تكون الكلمة هي غذاء حياتهم اليومي حتى يظهر يسوع المسيح - رأس الجسد.

علينا إذاً أن نجتهد في الصلاة ونتعمق في دراسة الكلمة بغنى وأن نولي الوعظ مكانته وأهميته في الكنيسة - هذا هو مضمون رسالة ستوت في الحياة. وهذا ما دعاه لكي يهتم بطلاّب ومسيحيي العالم الثالث وأن ينشئ معهد لندن ليساعد المسيحيين في كل مكان على أسلوب التفكير العلمي من منظور مسيحي - تجاه مشكلات العالم المعاصر.

وبرغم تقدمه في العمر فإن ستوت دائم المشغولية ولديه من المسئوليات ما يشغل جدول أعماله اليومي - وهو دائم الانتقال بين الولايات المتحدة ودول العالم الثالث..

استمر ستوت في خدمة معهد لندن بالتدريس وإلقاء المحاضرات

واهتمامه الرعوى بالطلبة ـ وقد كان لهذا أكبر الأثر فقد عينت إحدى الطالبات لترأس هيئة الـ IFES في بلدها بعد انهيار الشيوعية بفترة وجيزة..

ومن المؤسسات الاخرى التى كونها ستوت "المكتب الإنجيلى الأدبى للتوثيق" The Evangelical literature Trust والذى شهد ازدهاراً واضحاً خلال السنوات القليلة الماضية ـ وقد أصبح عمله على درجة عالية من الأهمية خاصة بعد الانفتاح المسيحى فى كثير من البلدان الأوروبية بعد عام ١٩٩٠ ـ وبخاصة على رقابة الكتب المسيحية مختلفة المصادر.. و قد خصص ستوت إيرادات كتبه لتدعيم هذه المكتبة بالذات ولتحقيق رؤيته فى إعداد خدام للدراسات اللاهوتية.

استقال ستوت من منصبه القيادى (الإدارى) للـ EFAC عام ١٩٩٠ بعد خدمة متواصلة لمدة ٣٠ عاماً لكن آثاره ما زالت واضحة حتى يومنا هذا... فقد اشترك ستوت فى اللجنة الدولية الاستشارية التى عقدت فى ١٩٩٣ ـ وكان له دور فعال فى مؤتمر لوزان الثانى فى مانيلا عام ١٩٨٩. وهنا أيضا كان لستوت دور كبير فى إعداد وثيقة المؤتمر النهائية وسميت باسم "نشرة مانيلا".

نال ستوت عدة جوائز طوال سنوات خدمته وعمله.. ففى ١٩٨٣ منح

الدكتوراه الفخرية فى اللاهوت نظراً لمساهماته الضخمة فى الفكر المسيحى اللاهوتى...، وفى ١٩٨٥ منحته هيئة التامبلتون الدولية (التى سبق أن كرمت الأم تريزا، وألسكندر شولزنتزين) - منحته وسام المشروع البريطانى.. إلا أن أفضل الجوائز التى يعتز بها ستوت على الإطلاق هى الهدية التى منحه إياها أصدقاؤه المقربون (كريس سودجن Chris Sug-den، Vinay Samuel، Martyn Eden) فى عيد ميلاده السبعين الذى كان عام ١٩٩١.

وقد وصفه ديڤيد ادواردز - مسيحى غير مشيخى - وصف ستوت بأنه يعد أحد أهم اثنين من الإنجيليين المعاصرين فى القرن العشرين (والتالى هو ويليام تمبل / الحرب العالمية الثانية)...

وتعد كتب ستوت من أفضل الكتب التى نزلت للساحة الدولية خلال العشر سنوات الماضية، وعلى رأس هذه الكتب "صليب المسيح The Cross of Christ" الذى نشر عام ١٩٨٦، وهو يحتل مكانة خاصة فى قلب ستوت لأن الصليب "على حد قوله" هو لب ومغزى ومركز الكرازة.

ويعد ستوت على رأس قائمة المدافعين عن الإيمان الإنجيلى - و قد تحول كتابه "الأساسيات" - (١٩٨٨) إلى أشهر الكتب الإنجيلية

الدفاعية فى هذا الصدد ـ ويدافع فيه ستوت عن تاريخ الكنيسة الإنجيلية وأصالتها فى المسيحية ـ ويرد على اتهامات اللاهوتى الأسقفى ديڤيد إدواردز.. فبرغم اقتناعه بديناميكية الكرازة كعنصر فعال فى الكنيسة المشيخية وهو الأمر الذي أيد فيه ستوت إلا أن إدواردز اعترض على عقيدة ستوت فى الجحيم والعقاب الأبدى حيث عالج ستوت العقيدة التقليدية فى موضوع العقاب الأبدى. واعترض ستوت على أن الذى يرفض المسيح سينال العقوبة بالتدمير الكامل وليس كعقاب أبدى فى الجحيم، ويعلق ستوت بأنه يؤمن بالعقاب الأبدى وأن المسألة بالنسبة له تختص ليس بموضوع الأبدية بل فى طبيعة العقاب نفسه ـ وفى مدى تحمل الإنسان لعذاب الضمير للأبد أم أنه سوف يتعذب للأبد.

وقد وجه لستوت كثير من النقد الساخر واللاذع بهذا الشأن، فالبعض اتهم كرازته بأنها صعبة وقاسية وخاصة فى موضوع العذاب هذا، فهناك كثير من غير المسيحيين يؤمنون أيضاً بموضوع العذاب، وبالرغم من صواب الهدف إلا أنهم فقدوا الموضوعية.. وفى نفس الوقت أهمل هؤلاء النقاد دور ستوت فى الدفاع عن الإيمان الإنجيلى.

وكما سبق وأشرنا فإن كتاب "صليب المسيح" يعبر بقوة عما يؤمن به

ستوت في قلبه وفكره، وقد كتب ستوت في مقدمة الكتاب "لقد جاء هذا الكتاب نتيجة سنوات طويلة من الدراسة والنمو الروحي - وعن تكريس حقيقي مصفي - وعن اعتقاد راسخ داخلي في بقائي لخدمة المسيح المصلوب طالما حييت على الأرض.. فالصليب هو مركز الإيمان الإنجيلي كما أرى".

وتعد أحد أهم كتاباته أيضا - سلسلة "الإنجيل يتحدث اليوم Bible Speaks Today" والذي أسس منها "إدارة تحرير العهد الجديد" وأصدر منها تفسيرين عن رسالة تسالونيكي (١٩٩١) وآخر عن أعمال الرسل (١٩٩٠). ويعرض في الأخير وجهة نظره في موضوع إظهارات مواهب الروح القدس حيث يركز فيه ستوت على أن الله وحده هو سبب نمو الكنيسة وليس الفرد من ذاته.. ويؤمن ستوت بسيادة الله الكاملة على الإنسان، ومع ذلك فهو يتوافق مع حقيقة أن الله يستخدم مؤمنيه وخدامه في إنجاز مهمته العظمى على الأرض. فضلاً عن تفسير رسالة رومية الذي تم إصداره في نفس الوقت. Balanced Christianity.

وأخيراً وكما عرضنا سابقاً فإن ستوت يظل معروفاً بدعوته في موضوع المسيحية المتوازنة، والذي يظهر في كتابين هما "أمور تواجه المسيحية اليوم" Issues Facing Christians Today (١٩٨٤)

والذى تم مراجعته فى ١٩٩٠ ـ والكتاب الثانى هو "المسيحية المعاصرة" The Contemporary Christian والذى صـــدر عـــام ١٩٩٢، وكلاهما يشير إلى موهبته الروحية ورؤيته فى أهمية الحق الكتابى على تشكيل الفكر المسيحى.

يتحدث الكتاب الأول عن استجابة المسيحى للعالم الدنيوى من حوله ـ كيف تكون؟ بينما يعرض الكتاب الثانى ـ موضوع التلمذة المسيحية والخدمة..

وإذ يجد القارئ بعض الصعوبة فى تقبل كل وجهات نظر ستوت التى يعرضها فى كتاباته إلا أن كل كتاب يدفعنا للدفاع عن إيمان نابع من كلمة الإنجيل.. حيث تجد فى كل كتاب ما يعبر عن شخصية ستوت من حرص، إثارة، استناد كامل على كلمة الإنجيل.

إن الإنجيليين كلهم يعرفون أهمية الإنجيل لكن القليل منهم أمناء ـ لذلك فأن ستوت بفضل شهادته الأبدية عن المسيح المصلوب سيبقى علامة مميزة فى تاريخ الكنيسة الإنجيلية وستبقى ذكراه معنا حتى بعد انتقاله للسماء حيث يقابل الرب الإله الذى خدمه سنوات عمره ـ بأمانة.

الفصل الثانى

فرانسيس شيفر Francis Shaeffer

فرانسيس شيفر في كلمات :

في عام (١٩١٢)... ولد في ٣٠ يناير بولاية بنسلفانيا

(١٩٣٥)... تزوج إديث سيفيل وأنجب منها ٣ بنات وولد، والتحق بكلية اللاهوت في ويستمنستر، بنسلفانيا.

(١٩٣٨)... رسم كخادم لكنيسة العهد المشيخية في جروف سيتي Grovecity

(١٩٤٣)... انتقل إلى سانت لويس، ولاية ميسوري Missouri

(١٩٤٧)... زار أوروبا لأول مرة وتقابل مع مارتن ليود جونز

(١٩٤٨)... هاجر مع عائلته لأوروبا

(١٩٥١)... نشأة L'Abri

(١٩٥٤)... بدء عمل L'Abri في سويسرا

(١٩٥٨)... بداية عمل L'Abri في إنجلترا في الستينات. ظهور كتابات شيفر

(١٩٨٤)... توفي في ١٥ مايو.

هو فرانسيس أوجست شيفر السادس ـ راعي الشباب في العصر الحديث..

ولد شيفر في ٣٠ يناير ١٩١٢ في الولايات المتحدة ـ كان والده يعمل كموظف ـ ملاحظ دورية ـ وأمه بيسي Bessie من أصل إنجليزي ـ أما والده فألماني الأصل.

كانت عائلة شيفر متيسرة الحال لكنها كانت "عائلة عاملة" على حد قول سوزان ابنته، وكان بيتهم يخلو من الكتب أو الثقافة، وكانت المتعة تعني لهم القيام بزيارة لمدينة أتلانتا في ولاية نيوچيرسي المجاورة.

تعود فرانسيس شيفر على مساعدة والده في أعمال النجارة الأمر الذي جعله يختار مادة الأعمال الخشبية والرسوم الفنية بعد ذلك في مدرسة روزفلت الثانوية التي دخلها في الحادية عشر من عمره بناء على رغبة والديه.

بعد ذلك انتقل شيفر إلى مدرسة چيرمان تاون الثانوية وبدأ يشعر بعدم الرضا عن حياته ـ وكان شيفر يسير لمسافات طويلة عبر الريف، ولا ينسى شيفر أبداً تلك البقعة المسماة بالـ City dump حيث كان الناس يلقون فيها بالمهملات والنفايات، فكانت منطقة قذرة جداً. أما

شيفر فكان ينظر ويفكر من خلال ذلك لما كان الناس يضعون فيه مالهم الكثير.. ونظراً لبيئته الفقيرة - فقد امتلك شيفر نظرة بسيطة ومستقيمة للحياة بل وكان ذهنه يبحث وينقب ولم تكن لديه تحفظات.

واشتغل شيفر في بيع السمك لبعض الوقت وهو في السابعة عشر من عمره.. وحدث في ذلك الوقت أن تقابل شيفر مع كونت روسى سابق كان يقضى منفاه في الولايات المتحدة.. وطلب هذا الرجل من شيفر أن يساعده في تعلم الإنجليزية.. وكان أحد الكتب الذى اختاره هذا الكونت هو عن الفلسفة اليونانية.. وخلال هذه الفترة التى قضاها شيفر في تعليم الروسى.. عرف شيفر الكثير عن الفلسفة اليونانية وزادت حماسته في القراءة..

لم تكن عائلة شيفر مسيحية - وكانت الكنيسة الوحيدة التى حضرها شيفر - كنيسة متحررة جداً - ولم تكن تقدم له أية إجابات عما يدور بخلده من تساؤلات.. لذلك اتجه شيفر بشغف لقراءة الأدب الكلاسيكى، فقرأ كثيراً لأوفيد Ovid، ..وعندما وجد شيفر أن الثقافة الأمريكية مؤسسة على الفكر المسيحى.. قرر عندئذ أن يدرس الإنجيل. فكان يقرأ بعض فقرات من أوفيد ثم يعقبها بعدة أصحاحات من الإنجيل مبتدئاً بسفر التكوين، وقد لاحظ شيفر أن الإنجيل يرد على تساؤلاته.. وفى

خلال ستة شهور أصبح شيفر مسيحياً ـ وفى ١٩ أغسطس من عام ١٩٣٠ دخل شيفر كنيسة إنجيلية بالمصادفة، حيث سمع الواعظ أنتونى زيولى وتعرف على بعض المسيحيين الإنجيليين فيها ـ وبعدها مباشرة أى فى ٣ سبتمبر من نفس العام ـ بدأ شيفر أولى كتاباته بعنوان "كل الحقيقة هى من الكتاب المقدس All Truth Is From The Bible"

أيام الدراسة :

وفى نفس العام أيضاً تخرج شيفر من المدرسة الثانوية ـ ثم التحق بكلية الهندسة فى دريكل لإرضاء والديه أيضاً.. إلا أنه بدأ يشعر برغبة شديدة وبدعوة من الله أن يدخل سلك الخدمة المسيحية لكى يعلن عن الحق الذى وجده فى الله للآخرين. وكان يشتغل فى توصيل طلبات إحدى المطاعم بجانب دراسته..

فى ١١ ديسمبر ـ قرر شيفر أن مكانه الحقيقى فى أن يكون خادماً للإنجيل.. وفى البداية عنفه والداه بشدة على هذا القرار لأن والده كان يتمنى أن يصبح شيفر مهندساً لكنهم فى النهاية تركوه يختار مصيره بنفسه.

لذا وفى سبتمبر ١٩٣١ ـ التحق شيفر بجامعة هامبدن سيدنى

Hampden - Sydney College - Virginia وكانت الحياة فيها صعبة في البداية بالنسبة له ـ وبصفة عامة للخدام الذين أتوا من الشمال.. لكن شيفر كان مجتهداً في دراسته وحصل على تقديرات عالية كما اكتسب خبرة لا بأس بها من خلال مساعدته في خدمة مدارس الآحد للزنوج ـ حتى إنه أصبح مديراً لاتحاد الطلاب المسيحيين وتخرج شيفر في عام ١٩٣٥.

في نفس صيف هذا العام ـ تزوج إديث سيڤل ـ والتي عرفها لمدة ٤ سنوات ـ وكانت إديث مسيحية مؤمنة ـ والدها كان مرسلاً في الصين ثم عاد للولايات المتحدة الأمريكية. وكانت شخصيتهما ممتزجتان معاً، فكان شيفر مجتهداً ومحباً للعمل وله بصيرة ثاقبة، وإديث كانت شخصية مثقفة ذات نقاء مسيحي. هذا الزواج المتكافئ كان أحد الأسباب التي مهدت بعد ذلك لتأسيس أعظم وأكبر المؤسسات الشبابية "L'Abri". وأنجب شيفر من زوجته ٣ فتيات هن بريسكلا (١٩٣٧)، وسوزان (١٩٤١)، وديبي (١٩٤٥).

ويخرج منها شعبي:

تخرج شيفر من كلية ويستمنستر اللاهوتية في فيلادلفيا برئاسة دكتورها الكبير جريشمان ماشن Dr. Greshman Machen .. وبعد

فترة وجيزة من تعيين شيفر للتدريس بالجامعة اندلعت مجادلات حادة حول الكتاب المقدس الأمر الذى دفع ماشن وغيره أن ينفصلوا عن الكنيسة المشيخية الشمالية حيث كونوا مذهباً جديداً خاصاً بهم. وفى البداية تبع شيفر ماشن لكنه عاد وندم على ذلك القرار الذى أخذه بدون تروى.. وصف شيفر مشاعره بعد ذلك بقوله: "لكى تكون مسيحياً مؤمنا ًبحق.. عليك أن تطبق مبدأين أساسيين جداً فى الكتاب المقدس:

أولهما ـ متمثل ـ فى طهارة الكنيسة ـ ليس نظرياً فقط بل بطريقة عملية أيضا.

وثانيهما: هى المحبة العملية بين كل المسيحيين ..

وهذا الانشقاق الذى حدث نتج عنه فريقان : فريق محايد، فريق آخر معارض، وكان الأخير روحه جامدة وبغضه شديداً.. أما شيفر فرأى أن كلا الفريقين لم يكونا بحسب فكر الكتاب. وكان شيفر مثله مثل مارتن چونز قد فضل الانفصال عن مجموعة ماشن السابقة لأنه على حسب قوله "المسيحى الحقيقى هو على شبه وصورة الله ـ والله القدوس ـ هذه القداسة التى تحتم علينا أن لا نوافق الذين تخلوا عن تعليم الحق الكتابى والإيمان به" ..لكنه فى نفس الوقت كان يظهر الحب والوفاء لهؤلاء الذين بعدم فهم اتجهوا فى طريق خاطئ..

ورد فعل شيفر هذا أعطاه نعمة فى آذان سامعيه من المعارضين ـ بسبب تأكيده الإيجابى على أساس الكتاب المقدس وعلى صفة الله ـ لذلك كان شيفر مصيباً من حيث انفصاله عن مجموعة ماشن، وقد مهد ذلك لنزوعه لخدمة اللابرى L'Abri بعد ذلك. وعن هذه الفترة يقول شيفر إن حياته كانت ترتقى لفوق كالمصعد المتحرك وأن الله كان يقوده لدرجات عليا من المسئولية، وأن واجبه حينذاك كان الخضوع التام لعمل ومشيئة الله.

الأيام الأولى فى الخدمة :

بعد الانفصال الطائفى السابق، بدأ شيفر يحضر اجتماعات كلية الإيمان اللاهوتية فى ويلمينجتون تحت قيادة الدكتور ماك راى. وفى عام ١٩٣٨ أصبح شيفر أول خادم على الإطلاق تتم رسامته فى كنيسة الإنجيل المشيخية الجديدة [كنيسة العهد المشيخية] فى جروف سيتى، ولاية بنسلڤانيا ، تلك الكنيسة التى انشقت حالياً من طائفتها المتحررة، وفى عام ١٩٤١ ـ انتقل شيفر لكنيسة أخرى فى شيستر، بنسلڤانيا والتى بالمثل انشقت أيضاً عن طائفتها السابقة. وكان معظم شعب الكنيسة من البحريين، سائقى الشحن والتجاريين والمزارعين.. وقد استطاع شيفر خلال فترة خدمته بهذه الكنيسة أن يتفهم احتياج هذه

الفئات الاجتماعية.. فكان دائماً يعظ بأسلوب يتناسب مع خلفيتهم الثقافية المحدودة - فكان يخاطبهم بأسلوب سهل وكلمات بسيطة ليس فيها تعقيد لغوى لاهوتى لكنه كان أيضاً حازماً، ولم يكد يتعاطف مع الأخطاء بل كان يوبخهم بصرامة وشدة. أما عن الطبقة المثقفة من الناس فكان شيفر يشعر أنهم كثيراً ما يستهترون بغيرهم من البشر من الطبقات الكادحة والعاملة..

وبنفس الطريقة التى تعلم هيدستون تايلور الصينية ليستطيع أن يوصل الحق للصينيين.. كان شيفر يضع الحق الكتابى فى إطار يتناسب وسامعيه من ذوى الحرف المهنية والطبقة الفقيرة.. بالإضافة إلى أن خدمته هنا كراعى أكسبته خبرة فى إقامة المحادثات والحوارات الشخصية مع أفراد أو مجموعة الأمر الذى ساعده كثيراً على إنجاح خدمة اللابرى L'Abri. وكانت إديث تساعد زوجها فى خدمته الرعوية، وقد نظما مؤتمراً صيفياً عام ١٩٤٢ - حضره ١١٨ شخصاً وقبل الكثير منهم المسيح كمخلص شخصى.

الدعوة لأوروبا :

فى عام ١٩٤٣ - دعى شيفر وزوجته للعمل فى كنيسة الإنجيل المشيخية فى سانت لويس/ ميسورى - وبدأ الزوجان شيفر تأسيس

منظمة مسيحية لخدمة الأطفال هى "الأطفال للمسيح Children For Christ، وفى عـام ١٩٤٧ بدأ شيفـر يهـتم جـداً بدراسـة حـال ومـوقف الشباب العامل والكنيسة بوجه عام فى أوروبا خاصة بعد التدمير الذى أصاب أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية.. وبالفعل زار شيفر أوروبا وتفـقـد أحـوال الكنيسـة هناك.. فى البـداية زار أولاً فـرنسـا، باريس، بوردو، نيس ومارسيليا ثم في يوليو ١٩٤٧ زار چنيف (سويسرا) وبدأ يشعر "بالميراث العظيم" Great Heritage للإيمـان الإصلاحى فى الكنيسة هناك.

بعد ذلك زار لوزان ومكث هناك فى مدرسة عمواس المعروفة. وخلال تواجده فى سويسرا.. تحدث مع مدير المدرسة (دى بينوى de Benoit) واتفق معه على موقف الإنجيليين من الانفصال عن حركة Ecumenical الحركة المسكونية.

وعندما وصل شيفر إلى أوسلو - كان متحمساً جداً للدفاع عن الحق الكتابى المقدس - ثم دعى لحضور المؤتمر العالمى الكنسى للشباب الصغير إلا أنه قوبل بإحباط شديد جعله يفكر فى العودة مرة أخرى للولايات المتحدة.

بعد ذلك زار شيفـر إحدى الكنائس المعمدانيـة المحلية فى أوسلو

وابتهج جداً من جو العبادة فى الكنيسة وكتب لزوجته أنه صلى للامتلاء بالروح القدس بطريقة لم يعهدها من قبل فى الولايات المتحدة. ثم استكمل شيفر زيارته حول أوروبا ـ ختمها بزيارة لإنجلترا حيث قابل د. مارتن ليود چونز حيث شاركه الأخير بفكرته فى تأسيس مجمع عالمى للكنائس الإنجيلية ثم عاد شيفر أخيراً للولايات المتحدة فى أكتوبر من نفس العام لاستئناف خدمته.

بدأت الدعوة تتضح وتتأكد لشيفر عندما دعى مرة ثانية لزيارة أوروبا وكان ذلك فى شتاء ١٩٤٨ حيث دعى ليشارك فى إعداد المؤتمر العالمى للكنائس الذى كان مارتن چونز كلمه سابقاً عنه، وكان ذلك فى هولندا ـ أغسطس من عام ١٩٤٨.

وبدأت حياة الترحال...

سافر شيفر وعائلته لأوروبا فى فبراير ١٩٤٨ ـ زار فى البداية صديق عمره وزميله فى الدراسة هانز روك ماكر ـ بعدها سافر إلى سويسرا حيث أجر هو وزوجته غرفة فى فندق صغير بمدينة لوزان السويسرية.

بدأ شيفر خدمته فى أوروبا بالتحذير والتنبير ضد الفكر المسيحى التحررى ـ وكان شيفر ينقض التعاليم التى بدأ ينادى بها كارل بارث

الذى أخذ يطعن فى صحة الكتاب المقدس وبعض العقائد اللاهوتية...

ثم فى ١٩٤٩ اضطر شيفر وزوجته للانتقال لمدينة شامبرى بسبب برودة الجو الأمر الذى تسبب فى مرض أطفاله الثلاثة... وبقى شيفر فى شامبرى عدة سنوات أسس خلالها خدمة "الأطفال للمسيح" Children for Christ" و التى كان هدفها مساعدة الأطفال البريطانيين وبخاصة الفتيات، اللاتى جئن ليدرسن فى المدارس السويسرية بالقرب من شامبرى. وفى نفس الوقت بدأ شيفر فى كتابة كتابه الشهير "الله الكائن هناك The God Who Is There" و الذى عارض فيه بشدة تعاليم بارث ـ وضد كنيسة الإنجيل المشيخية التى اشتركت مع السنودس الإصلاحى فى تقديم الأفكار الـ نيوـ أرثوذكسية neo - orthodox. وفى نفس الوقت كان شيفر ينادى فى مقالاته وكتاباته بالحاجة للاعتدال المسيحى والتمسك الأمين بالأسس الكتابية من ناحية، والتمسك بالمحبة من ناحية أخرى كمحاولة لإيجاد حلول للاختلافات الفكرية والثقافية.

بعد ذلك انتشرت تعاليمه بصورة واسعة جداً فى أوروبا حتى إنه دعى للسفر لبلدان أوروبية جديدة. وفى جنيف ـ ١٩٥٠ ـ ألقى شيفر محاضرات فى مؤتمر ICCC ثم فى الدول الاسكندنافية، وفرنسا، وألمانيا...

بعـد ذلك حضـر المؤتمر "دعـوة مـارى" فى رومـا ـ وكـتب هناك مـقاله الشهـير " الكتـاب هو سلطاننا The Bible is our Authority الذى نبـر فيـه بشـدة على سلطان الكتـاب المقدس فى حيـاة المسـيـحى ـ الذى يجب عليه أن يحارب لأجله و يتمسك به دائماً.

نشأة الـ L'Abri :

انتـقل شيـفر وإديث زوجته للإقـامة فـى شاليـه بيچـو فـى شامبرى عـام ١٩٥١ ـ وخلال هذه السـنة أصيب شيـفر بأزمـة روحـيـة كانت السـبب وراء بزوغ فكرة اللابـرى.. فـقـد واجـه شيـفـر صراعاً كبـيراً فـى أمـر المسـيـحيـة ومدى تأثيرها فـى مشـاكل العـصـر.. وبدأ شـيفر يشعـر بأنه يحتـاج الى وقفة كبيـرة مع نفسه للتـفكير والتـدقيق.. ويقـول شيفر عن تلك الفتـرة : "كنت أمشى كثيراً.. أصلى وأفكر فى الأسبـاب الشخصـية والعـامة التى تدفع الانسـان لـيكون مـسـيـحـيـاً ـ والتى دفعـتنى أنا شخصـياً لأكـون مـسيحـياً ـ ووصلت للحقيـقة الثابتـة أن شخص الله الأزلى موجـود ـ وأن المسيحية هى الحقيـقة الكاملة الوحيدة ـ ثم اكتـشفت الحقيقة الخطيرة بعد ذلك ألا وهى.. عـمل المسيـح الكامل فى حيـاتنا المعـاصرة" ـ أى أن عـمل المسـيح صـالح لكل زمـان ولكل عـصـر.. وهذا هو الأسـاس الذى قـامت عليـه خدمة اللابرى L'Abri.

وقد أكد شيفر أن المسيحية هى كمال متزن ـ فهى ليست ديانة عقل أو ثقافة اجتماعية ـ بل هى قائمة على عمل المسيح الكامل على الصليب وموته الكفارى.. وفى كتابه "الحياة الروحية الحقيقية True Spirituality أكد شيفر أن المسيح يسوع لا يهمه الخليقة الاجتماعية أو الثقافية أو حتى الدينية، فهو يدعو الجميع "كل من يقبل إلى"، وأنه ليس هناك باب آخر غير المسيح يمكن الدخول منه للسماء. بل وأكثر من ذلك.. يرى شيفر أن المسيحية ليست اختيارا عقلياً أو ميكانيكياً (آلياً) إنما هى العلاقة الشخصية اليومية مع الله ـ المبنية على الخضوع والطاعة ـ واتحاد بشخص الله فى الروح القدوس لكى يعلن مجد يسوع المسيح فى حياتنا.

المسيحية ليست نظاماً دينياً إنما هى مؤسسة بالكامل على حقيقة واحدة هى عمل يسوع الكامل على الصليب. ليست حياة نظرية مبنية على ممارسات سلبية كما هو الحال فى الديانات الشرقية إنما هى حياة فعالة ـ معاشة ـ فى المسيح يسوع المصلوب والمقام ـ المسيح له كل مجد ـ ومن خلال عمل الروح القدوس. والمسيحية هى أيضاً حياة الشركة كما أنها علاقة شخصية مع الله. وقد أساء البعض منهم طبيعة خدمة اللابرى L'Abri على أنه مكان للطبقة المفكرة من المجتمع. وحتى شيفر نفسه اعتبره الكثيرون على أنه فيلسوف لأنه كان يهتم بمشاكل القرن

العشرين - واتهموه بأنه يركز على الجانب التجريبى والعلمى من الحياة المسيحية بغض النظر عن المستوى الفكرى لكل فرد..

أما إديث فتقول عن زوجها إنه شخص عاطفى جداً.. وقد أكد على هذه الحقيقة كثير من الذين أتوا للابرى واحتكوا بشيفر.. حيث لمسوا فيه حساسيته وحدسه الرعوى لكل فرد بطريقة فردية جداً. وأنه كان حنوناً مع الأطفال.. لكنه كان يحزن جداً عندما يرى شخصاً بعيداً عن الرب.

وكان يؤلم شيفر جداً مشكلة إجهاض الأطفال.. وكان يهتم كثيراً بالعلاقات الأسرية وأهمية الوحدة فى العائلة.. لذا كانت رؤيته لعمل اللابرى تتلخص فى مساعدة كل شخص محتاج وبخاصة الشباب الحائر الذى يبحث عن هوية لنفسه ولا يجدها فى وسط عالم تائه، أو الشباب الذى لم يجد إجابته فى الكنيسة وطردته خارج أبوابها ولم تقدر مشاكله وصراعاته.

بداية العمل..

تعنى كلمة "L'Abri" - الملجأ - أو المأوى - وهى كلمة من أصل فرنسى - أما شيفر فيصف اللابرى يقوله إنه "استرداد العالم Reclaiming the

World".. وقد أراد بقوله هذا أن يقول إن الله موجود، وهذا هو قلب الخدمة كلها..

يدأ العمل بالصلاة الدءوبة ثم بدأ التحرك فى أربعة اتجاهات رئيسية **أولا** : أعلن الزوجان شيفر عن احتياجهما للتعضيد لهذه الخدمة ورفعوا هذا الأمر أمام الله - وحتى يرسل لهما الأشخاص المناسبين للخدمة - ثم بدأ في وضع خطط يومية حتى يتأكدا من قيادة الله و مشيئته لهما. وأخيراً - لم يعلنا عن أنفسهما بل تركا الرب يرسل لهما خرافه الضالة (من يريد أن يساعده).

من عام ١٩٥١ وحتى ١٩٥٤ استمر شيفر فى زياراته حول أوروبا والولايات المتحدة - تكلم في ٣٤٦ اجتماع فى مدة ٥١٥ يوماً - وعندما عاد الى سويسرا فى سبتمبر ١٩٥٤ قرر أن يحول بيته الى مأوى للناس الحائرة والتى لا تجد من يجيبها عن الله ونفسها.. وأيضاً فى نوفمبر من نفس العام - أسس شيفر الكنيسة المشيخية الدولية.

جاء الشباب للابرى طلباً للمساعدة.. وفى البداية بدأ شيفر الخدمة مع عدة فتيات من إحدى المدارس الثانوية فى المنطقة. ومنهم فتاة تدعى ديردر دكى Deirdre Duke (تعمل الآن مصممة أزياء فى بريطانيا). هذه الفتاة كانت قد سمعت شيفر أثناء إحدى خدماته - فجاءت مع بعض

صديقاتها، ثم واظبن على حضور دروس الكتاب التى كانت تعقد كل يوم ثلاثاء، ثم أصبحت ديردر بعد ذلك عضوة خادمة فى اللابرى عندما بدأ عمله رسميا.

تزايد عدد الوافدين للابرى من آسيا وأمريكا الوسطى ـ على غير ما كان يتوقع شيفر لكن هدف الله كان أوسع من أن يعتقد شيفر.. فذاع صيته واتسعت شهرته، وكانت أخباره يتناقلها الشباب بينهم وبين بعض وخاصة أولئك : الذين جاءوا بالفعل للابرى واستمعوا لشيفر.

الأزمة :

فى عام ١٩٥٥ ـ أى بعد شهور قليلة من إنشاء الـ L'Abri ـ بدأت المشاكل تهب على شيفر وخدمته.. ففى شهر فبراير هددته السلطات المحلية بمغادرة البلاد وقطع إقامته كأجنبى فى سويسرا ـ لكن زوجته إديث أخذت وعداً من الرب فى إشعياء :"إن الله سيبنى بيته على قمم الجبال" فبدأ الجميع فى الصلاة والثقة فى وعود الله.. وقد دبر الله بالفعل وهيأ الطريق لاستمرار اللابرى فى سويسرا.. فبالرغم من أن القنصلية الأمريكية لم تقدر أن تساعده فى الحصول على تصريح بالبقاء إلا أن شيفر تعرف على القنصل الأمريكى فى برين والذى كان صديقه فى المدرسة الثانوية ـ وقد استطاع زميله هذا أن يجرى اتصالاته مع

السفير الأمريكى ليسمح لعائلة شيفر بالمكوث فى البلاد ـ لكنهم سمحوا له فقط بنقل سكنه إلى Vaud ـ وكانت العقبة التالية فى عدم إيجاد سكن مناسب له ولعائلته حيث كانت كل الشقق للإيجار فقط وليس للبيع كما أنها كانت مكلفة جداً. لكن شيفر لم يعلن يأسه وفشله إذ كان موقناً فى دعوة الله له.. وكان الجميع فى اللابرى يصلى لأجله فى هذه المحنة التى أطلق عليها شيفر (الأيام الصعبة فى عام ١٩٥٥ These rough days in 1955.

وأخيراً جاءت استجابة الصلاة.. فمن خلال عدة مواقف ـ تأكدت دعوى اللابرى لشيفر ـ فقد تقابلت إديث بمحض الترتيب الإلهى بأحد الأعضاء المحليين فى مركز البلدية والذى ساعدها على شراء مكان جديد بعد أن كان قد بقى وقت قصير لانتهاء الاجراءات الخاصة ببقاءهم فى البلاد. بعد ذلك جاءت ثلاثة خطابات تحمل تبرعاً مالياً دون أن يطلبوها من أحد.. فتبرع زوجان أمريكيان بمبلغ ١٠٠٠ دولار، وبعدها مباشرة أرسل متبرع ثان مبلغ ٨٠١١ دولار أمريكى لتكتمل بذلك إجمالى التكلفة الكلية التى كان شيفر مداناً بدفعها للسلطات... ثم حدثت مأساة أخرى فقد رفضت الشركة عرض البيع وأصبح الموقف أكثر تأزما من ذى قبل.. وأصبح الأمر برمته فى أيدى الحكومة الفيدرالية .. فى هذا الوقت كانت إديث شيفر تجرى عدة مكالمات هاتفية من أحد الفنادق

الصغيرة التى تديرها سيدتان متقدمتان فى العمر، وما أن عرف المشكلة التى تمر بها مسز شيفر وزوجها ـ عرضتا عليها مساعدة من أخيهما الذى يعمل وزيراً للدفاع الدولى فى سويسرا ـ والذى كان مرشحاً لرئاسة البلاد.. ثم تعرفت إديث بعد ذلك على راعى كنيسة سابق ـ والذى عرض أن يساعدهما عن طريق ابن أخيه الذى يعمل بمكتب الخارجية فى برن..

وانفرجت الأزمة مؤخراً ـ وحصل الزوجان شيفر على تصريح الإقامة ـ وبفضل التبرعات التى جاءت للابرى ـ أصبح شيفر مستعداً لبدأ العمل فى اللابرى، حيث استقال شيفر وزوجته رسمياً من منصبيهما فى الولايات المتحدة ليبدآ عملهما الحقيقى فى الـ L'Abri.

لمحات عن اللابرى L'Abri:

قامت خدمة اللابرى بهدف مناقشة الأفكار لا تنظيمات ـ وقد علق شيفر فى كتابه "الحياة الروحية الحقيقية" أن المعركة الحقيقية للانسان ترتكز على أفكاره ـ وليس على النتائج فكل بدعة إنجيلية تبدأ بفكرة.. لذلك كان ينص شيفر هذه القاعدة الأساسية على كل من يرغب فى الانضمام للابرى.. وهى مجادلة الفكرة أو المشكلة الخاصة بالفرد أو الجماعة. وكان شيفر يبغى من وراء هذه المناقشات الفكرية والاجتماعية

أن يقدم الله من خلال الكتاب المقدس وأن المسيح هو مركز كل شئ في العالم والحياة بل وأن هناك حياة جديدة وراء الحياة التي مركزها الله.. كان شيفر يقدم الحل والعلاج والشفاء الكامل من خلال تقديم رسالة الخلاص بالمسيح يسوع.. حيث كان يرتاد اللابرى كثيرون ممن لديهم مشاكل نفسية جسيمة ومعقدة.. كان شيفر يحسب راعي استطاع أن يتعامل مع مشاكل رعيته من الشباب الوافد إليه - من خلال تعليم المسيح وليس أي تعليم آخر.

انتشار اللابرى :

بدأ عمل اللابرى يرتقي ويزداد بمعدل كبير.. ففي أول شهر جاء الطلبة من كل أنحاء العالم (وهومصطلح يطلق على كل من يأتي ويلتحق باللابرى) من إنجلترا، هولندا، ألمانيا، كندا، اليونان، البرتغال، والولايات المتحدة - وجاءوا أيضاً من جامعة لوزان حيث كان يعظ شيفر بالقرب منها. وكان الطلبة من خلفيات متباينة منهم الوجوديون، الإنجيليون (المسيحيون) المتحررون، الروم الكاثوليك، يهود، وأتباع النزعة الإنسانية humanists. وكان كثير منهم يقبل المسيح، وعندما يعود لبلده يكلم أصدقاءه فيأتي الآخرون ليتعرفوا على المسيح في اللابرى وهكذا...

في أبريل ١٩٥٦ تغيرت حياة اثنين من عازفى الأوبرا فى أمريكا - كانا قد أتيا للدراسة فى إيطاليا - كانت إحداهما فتاة تدعى چين استيوارت وتعرفت على اللابرى من بعض أصدقائها الإيطاليين الذين زاروا اللابرى فى سويسرا - جاءت چينى للابرى وقبلت المسيح..

فى يوليو أيضاً من نفس العام قبل هانز روكماكر رسالة الخلاص بالمسيح وعين بعد ذلك ممثلا للابرى فى هولندا - وعن طريقه عرف كثير من الطلبة الألمان المسيح فى اللابرى أيضاً..

رسالة (دعوة) اللابرى :

كان شيفر فى خدمته فى اللابرى.. يتعامل مع أصل المشكلة للشخص - فكان يوجه له أربعة أسئلة :

السؤال الأول : هل تؤمن بأن الله - كما يعلنه الكتاب المقدس - حقاً موجود وهل تعرفه شخصياً.

السؤال الثانى : هل تدرك أنك خاطىء؟

السؤال الثالث : هل تصدق أن يسوع المسيح جاء ليموت بدلاً عنك - وأنه يريد أن يبدأ معك الآن؟

الســـؤال الرابع : هل تنحنى أمام الله وتقبل عمله الخلاصى على الصليب بدلاً منك؟

فى كل سؤال كان يطرحه شيفر.. كان ينظر لإجابة الشخص - يتحققها بعين الخبير - ويستشف موقف الشخص الحقيقى تجاه الله.. وما هى مشكلته الحقيقية التى تبعده عن الله - جهل - أم خوف - أم رفض - أم عناد،... إلخ.

كان شيفر وزوجته يحترمان خصوصية كل فرد ويتعاملان معه بطريقة خاصة.. لم تكن هناك قواعد أو نظام معين - فكل شخص يعامل كفرد له كيان ووجود وقيمة - وليس كحالة مرضية أو تعداد أو آلة ليس لها كيان...

ورغم أن كثيراً من قادة الكنيسة الإنجيلية تصوروا أن شيفر ابتكر أو طور طريقة علاجية معينة - إلا أنه اعتذر لهم وعلق أنه ليس ثمة طريقة واحدة لعلاج كل احتياجات البشر! إنما الحقيقة الوحيدة المشتركة التى كان يؤكدها دائماً شيفر هى أن كل الخلاص موجود فى شخص المسيح وحده. وأن الإنجيل يحوى كل الأدلة والبراهين المقنعة على ذلك.. فإذا تجاهلنا هذه الحقيقة أو لم نصدقها فنحن نتجاهل وجود الله ذاته.. والمسيحية مبنية على حقائق ثابتة، وأن الخلاص أمر متاح لكل

إنسان مهما كانت درجته العلمية أو مستواه الثقافى أو الاجتماعى أو البيئى.

وقد رأى شيفر ثلاث نوعبات (فئات) من الشباب الذى يأتى للابرى:

الفئة الأولى : ما أسماهم "أصحاب القرن العشرين" وهم جميعاً شباب فى سن الجامعة ـ يتميزون بفكر راق متحرر.. ولا يؤمنون بوجود ما يسمى بالحق والخطية، فكل شئ مباح وليس هناك ما يمنع أى شئ.. وهذه الفئة كانت أكثر ما جاءت فى فترة الخمسينات والستينات.

الفئة الثانية : هى مجموعة الشباب الذين أتوا من خلفيات مسيحية لكنهم لعدة أسباب تمردوا على أصلهم الدينى أو التقليدى ـ ربما بسبب رفض الكنيسة لهم وعدم قدرتها على إجابة مشاكلهم العصرية فحسبوها جامدة ـ أو لأنهم لم يتلقوا الحب المسيحى الذى سمعوا عنه سواء من الكنيسة أو من جماعة المؤمنين.

الفئة الثالثة : هى المسيحيون المتقدمون فى العمر ـ الذين ـ يشعرون بوجود فجوة كبيرة بينهم وبين جيل الشباب الحديث.

وفيما يخص المجموعة الأولى.. أدرك شيفر حقيقة هامة هى فشل

الكنيسة أو عدم إدراكها لاحتياج هذا الشباب ـ وقد كتب يقول : "علينا أن نتنبه لحقيقة أن هذا الشباب لا يدرك احتياجه للخلاص ـ لأنهم ببساطة لا يؤمنون بالصواب والخطأ أساساً ـ بل أنهم لا يؤمنون بوجود الله أصلاً.. فهم لا يصدقون أن هناك مطلقات ـ فكيف لهم ـ إذاً ـ أن يروا أنفسهم خطاة؟ ـ وكيف إذاً يقبلون المسيح كمخلص لهم؟

وبدأ شيفر يدعم إجابته على هذا السؤال بأنه من المهم أولاً أن يكتشف هؤلاء الشباب حقيقة وجود الخالق وأن الله حى كائن منذ الأزل وإلى الأبد.. لذلك فالبداية لهم ليس فى تقديم الخلاص بيسوع إنما بأدراك وجود إله خلق السموات والأرض (تك ١ـ١١) ثم بعد ذلك نستطيع أن ننتقل للسؤال الثانى وهو المهم ـ لماذا مات المسيح؟

ثم يبدأ شيفر يشرح لهؤلاء معنى الإيمان على نقيض ما تعلموه فى الجامعة أو ما تنادى به الفلسفة على أنه القفز فى الظلام ـ لأن الإنجيل ليس إعجازاً بل هو قادر أن يبرهن على حالة الإنسان البائسة واحتياجه لخلاص الله.

وأن الفرق بين المسيحية وغيرها من الديانات هو أنه فى الأخيرة ـ قبول الله للإنسان متوقف على ما يقدمه الإنسان لله ـ وهذا ما يحدث فى الهندوسية والبوذية والتى اتجه لها كثير من الشباب فى الخمسينات

والستينات، أما المسيحية فقد قام المسيح بعمل كل شئ لصالح الإنسان، وأن دور الإنسان ليس فى عمل أى شئ إلا أن يقبل عمل الصليب!

فمنطق العقل يدور حول ما يستطيع البشر أن يقدموه ليرضوا الله - أما منطق المسيحية فهو يعكس حب الله للبشر و الخير الذى يريده الله للإنسان. ورغم أن شيفر كان يرفض مبدأ المادية MATERIALISM - إلا أنه كان يؤمن بدور العقل كحق كتابى فى اختبار الحق والشر.

ويعتبر عمل شيفر أساساً - عمل رعوى - فهو كارز يتعامل مع مشكلات محددة - يكلفه بها الله وأغلبها مشكلات تتعلق بالفكر المعاصر - وبرغم أنه لم يدرس فلسفة إلا أن فلسفته كانت تحمل جانب الصواب لحد كبير، فكان يرى أنه لا يكفى أن يبنى القائد المسيحى إيمانه على الروحيات فقط .

وتعد أعظم إنجازات شيفر تلك الحقيقة التى ظل يدافع عنها بأن المسيحية هى الواقعية الكاملة وأن الله من خلال الكتاب المقدس قد أجاب على كل المشاكل التى يمكن لإنسان أن يجابهها وبطريقة لن يقدمها أى نظام دينى أو اجتماعى آخر.. وبالتالى فإذا كانت المسيحية تحوى كل الحق المطلق فمن الطبيعى إذاً أنها قادرة على إجابة كل

التساؤلات وأنه لا يوجد حيز تقف المسيحية عاجزة عن تفسيره أو تناوله..

لذلك وفى اللابرى.. كان شيفر يطرق كل أنواع الموضوعات الروحية والغير روحية مثل القيم الأخلاقية، الميتافيزيقا.. وكان الجدال فى هذه الموضوعات يساوى الكرازة فى أهميتها خاصة للمجموعة الأولى من الشباب الذين جاء للابرى بحثاً عن الحقيقة والله. وكان شيفر دائماً يصل بهم لحقيقة أن يعرف كل فرد أنه فى الحقيقة خاطئ ويحتاج لخلاص المسيح.. وأن المسيحية هى تعليم حى معاش ومعاصر.. ووجد شيفر أن الكرازة لا يمكنها أن تقود هذا النوع بالذات للمسيح إذا لم تقدم حلاً شافياً لمشكلته المعاصرة وأن دعوتنا الأساسية تمتد نحو إعلان الحق الكامل فى الله ـ وعمله فى المسيح يسوع.

وقد انتبه شيفر لخطورة التطرق فى هذه الأمور الوجودية خاصة مع "الوجوديين" لأن هذا سوف يجرف اللابرى لاتجاه متطرف جداً من "العقلانية البحتة". لذلك كتب شيفر لهؤلاء.. إن الإيمان المبنى على التجريب ـ هو إيمان كاذب ـ لأن أقل مشكلة أو أزمة ستزعزع إيمانك ـ وإذا كان الإيمان مبنياً فقط على العقل ـ فأنه أيضاً مخادع ـ أما الإيمان الحقيقى فهو ذلك المبنى على الإيمان بالخير أى الحق الإلهى المعلن فى

الإنجيل - وليس على التجربة..

وبكلمات أخرى.. فالإيمان مؤسس على.. العقل في المقدمة.. الإرادة.. ثم القلب..

الحياة اليومية فى اللابرى :

لكن العمل فى اللابرى لم يكن فقط مناقشات - إنما هناك عاملان مساعدان لعبا دوراً حيوياً فى الكرازة.

العامل الأول : هو جمال الطبيعة الخلابة المحيطة بالمكان والجبال العالية التى يمكن رؤيتها من أى مكان بسهولة - وهذا ما ساعد الطلبة أن يشعروا بأن هناك من هو أكبر وأعظم من الفلسفة الوجودية أو الفشل الذى دفع بهم لهذا المكان.

والعامل الثانى : الذى أنجح خدمة اللابرى بجدارة هو الحب الذى كان كل طالب يلمسه ليس فقط كمبدأ نظرى - بل وبالمشاعر أيضاً.. وهذا جعلهم يختبرون المسيحية لا أن ينظروها فقط.. إذ كان شيفر يعرف الحب بأنه "أن تنزل وتقابل الشخص أينما يقف" وهذا هو المبدأ الذى كان يتعامل به مع كل فرد..

لم تكن اللابرى محاولة لإيجاد تفاسير بشرية - وبحسب دراسة شيفر

اللاهوتيـة الإصـلاحيـة ـ كـان على يقين تام بقـوة عـمل الـروح القـدوس فى خلاص النفوس، لكنـه كـان أيضـاً يدمج العـقل والحب فكان يـهـتم بالناس وبإعلان الحق فى آن واحد.

وقد شهد الجميع أن قيمة عمل اللابرى تمثلت فى الرعاية التى دأب على تقـديمهـا شـيـفـر، وفى المحـبـة والعطاء لكل نفس جاءت له طلبـاً للمساعدة.

وهنـاك ٣ طرق اسـتخـدمها شيفـر فى معاملـة الطلبة :

الطريقـة الأولى : خدمة الكلمة ـ العظة ـ وكـان يقدمهـا ببسـاطة حتى أن الطفل يمكنه استيعابها فكان يختـار جزءاً كتابياً ـ بطريقة منطقية ـ ثم يبـدأ فى ربط النص مع أجزاء كـتـابـيـة أخرى لتـوضـحـه وتؤكـد الفكرة وبحيث يستطيع تقديم الحق بصورة كاملة الجوانب ومفهومة.

الطريقة الثانية : وتمثلت فى المحاضرات التى كانت تقدم فى صورة حلقات متتابعة، وهذه كـانت أكثر تفصيلاً من حيث دراسة اللغويات والتـفـاسيـر ـ وهذه المحـاضـرات كـانت غـالبـاً المادة الأصليـة لكتـابه الذى نشره بعد ذلك.

الطريقة الثالثة : كانت عبارة عن حوار شخصى (جلسة مشورة) ـ كان

يتعامل فيها شيفر بكلا عقله و قلبه معاً فى المشكلة مع الفرد.. كان يستمتع باهتمام وتركيز شديدين للشخص حتى يرى موقفه و يفهم الأمر من وجهة نظره.. ثم يبدأ يقوده بحب للحق وحاجته للمواجهة مع نفسه حتى يعترف بخطيته وحاجته للخلاص.

طرق شيفر تقريباً كل جوانب الحياة ـ وكان فى ذلك يقرأ الكثير من الكتب والمجلات ليستطيع أن يتعرف على أفكار الناس وثقافتهم، فيتعامل معهم بعد ذلك بنجاح.

التعليم فى اللابرى :

كان شيفر يعلم بل ويتعلم أيضاً من طلابه.. ثم تزايد العمل لزيادة عدد الطلاب خاصة هؤلاء الذين جاءوا ليقضوا فترة طويلة فى اللابرى بالإضافة للزيارات القصيرة فى أيام الجمعة.

وكانت تقام أمسيات أسبوعية فى الهواء الطلق ـ حيث كانت إديث شيفر تعد موائد الطعام وتقوم بعزف بعض المقطوعات الموسيقية قبل بداية المحاضرة أو الندوة.. ثم يأتى شيفر ويجلس على رأس المائدة ومن حوله يجلس الطلبة كأنهم أولاده ـ من كل جنس ولون وثقافة ـ يتناولون معاً مشروباً دافئاً ثم تبدأ المناقشة ويشترك الكل فى الحديث.. لم يكن

شيفر يستبعد أو يستثنى أى سؤال مطروح، وكان يدرب خدامه فى اللابرى ألا يخافوا من أى سؤال وأن يتجنبوا أى احتداد وأن يكون الحديث حول شخصيات أو تنظيمات محددة.. فالهدف أساساً حول "الموضوع" أو المشكلة.

هذا التنوع الثقافى الكبير.. ساعد شيفر أن يتعلم كيف يفهم الشباب ـ وكيف يطور أسلوبه ليكون فى إطار عصرى دائماً.. لكنه فى نفس الوقت لم يفقد هدفه الذى هو تقديم رسالة الخلاص، وهو نفسه يقول "إذا لم تكن أقدامنا ثابتة على صخر الدهور ـ يسوع ـ فمن السهل جداً أن ننجرف لطريق آخر ونقع".

لمس شيفر من خلال اللابرى تمرد كثير من الشباب المعاصر ـ لكنه لم يرفضهم مثلما رفضهم مجتمعهم أو الكنيسة أو الأهل.. على العكس ـ كان يتعاطف معهم ـ لأنه كان يدرك مدى التشويه الذى أصاب المسيحية فى معتقداتهم.. وكان البعض منهم متمرداً ليس لشئ أكثر من أن هذا هو الاتجاه الغالب فى مجتمعه.

وفى عام ١٩٧٠ ـ كتب شيفر أن الطريق الذى به تصل لهذا الشباب المتمرد هو أن تعلمهم كيف يكونوا ثورين revolutionary كما كان يسوع يناقض الفريسيين والصدوقيين على معتقداتهم الخاطئة

والمنحرفة.. إلا أن الثورة التى كان يقصدها شيفر ـ ثورة مبنية على حق الكلمة ـ ونابعة من إيمان حقيقى مقترن بالواقع ـ هذا الإيمان مؤسس على علاقة شخصية بيسوع المسيح المقام من الأموات.. أما الديانات الشرقية بنظرتها التشاؤمية للواقع تنادى بأمور خداعة و ليست واقعية ولا تعطى أى نوع من السلام لأتباعها. ولذلك استطاع شيفر أن يقترب من هذه الفئة من الشباب التى لاقت الرفض من مجتمعها ـ وقبل الكثيرون منهم المسيح رباً ومخلصاً ـ ومنهم من تفرغ للخدمة بعد ذلك، ومنهم من اتجه لدراسات لاهوتية أعمق.. مما شجع شيفر نفسه أن يؤسس مركزاً للدراسات والبحوث الدينية لمساعدة هؤلاء الشباب.

فكرة الشرائط :

اقترح الخدام فى اللابرى على شيفر أن يسجل محاضراته على شرائط كاسيت حتى تكون متاحة للآخرين من خارج اللابرى.. وبالرغم من حصولهم على مسجل بالفعل من الولايات المتحدة إلا أن شيفر كان يعارض الفكرة فى البداية.. لأن فكرة الشريط ستلغى التلقائية المباشرة بين شيفر والطلبة أثناء المحاضرات أو المناقشات..

وفى إحدى الجلسات كان يتناقش فيها شيفر مع مجموعة من الطلبة الأمريكيين ـ وكان الحديث معهم شيقاً جداً ـ الأمر الذى شجع الخدام

وإديث شيفر أن يدسوا الميكروفون فى إحدى أصص الزرع فى الغرفة حتى لا يلحظه أحد (وبعد موافقة شيفر شخصياً).. وفى صباح اليوم التالى - عندما علم الطلبة بأمر التسجيل كانوا يتهافتون على الاحتفاظ بنسخة من الشريط.. كانت هذه بداية تسجيل محاضرات اللابرى - وفى خلال فترة زمنية قصيرة - كانت هذه الشرائط تعبر البحار والمحيطات فى سلسلة من المحاضرات تحت عناوين متباينة "الحياة الروحية الحقيقية"، "الله الكائن هناك"، "الهروب من العقل Escape from Reason" والتى تحولت جميعها الى كتب تحمل نفس الأسماء.

ظهور الكتب :

بدأ الناس بعد ذلك يقرأون لشيفر خاصة بعد توزيع وانتشار شرائط الكاسيت.. وكانت بداية ظهور ونشر شيفر لكتاباته عندما بدأ يطوف فى الجامعات الأوروبية، والأمريكية يعظ ويعلم.. وكان الطلبة يوجهون له عديداً من الأسئلة.. بعد ذلك قام شيفر بتجميع هذه الأسئلة فى كتاب واحد "تاريخ المسيحية فى القرن العشرين" وقام بأرسال الموضوع كاملاً لطلبة الجامعة فى هيوتن، الينوى بالولايات المتحدة. بعد ذلك طلبت الجامعة منه أن تتحول هذه المحاضرات إلى مقالة ليستفيد منها الطلبة فيما بعد.. وقد وافق شيفر على هذا الطلب بشرط أن يتناولها الطلبة

فقط.. بعد ذلك بفترة وجيزة.. أعاد شيفر كتابة هذه المقالات وأخرج كتابه "الله الكائن هناك" وبعدها ظهر كتاب "الهروب من العقل" الذى سجل فيه أسئلة وحوارات مع بعض الطلبة الإنجليز.

قدمت كتب شيفر مصطلحات جديدة مثل خط اليأس، وغيرها.. وقد دعم شيفر أفكاره بأمثلة بيانية لتأكيد الفكرة..

وبحلول القرن التاسع عشر جاء هيجل الذى قلب الفكر الغربى على عقبه ـ وأصبح العقل لا يقبل فكرة وجود الله أو يصدق بالأمور الروحية.. فابتعد وانفصل الإنسان تماماً عن الله.. وأصبح محصوراً فقط داخل عالم مادى يراه بعينيه ويلمسه بيديه.. ثم بدأ الإنسان يشتق نظرياته من المادة فرأى العالم من منظور ضيق وآلى (ميكانيكى) وليس من منظور الله خالق الكون.. فتحول الإنسان نفسه إلى آلة ـ وغابت الحقيقة عن الإنسان ـ تلك الحقيقة الرائعة بأن هناك إله لهذا الكون.. وقد مثل شيفر الإيمان والعقلانية فى رسم بسيط كما يلى :

ـ الإيمان ←———— (الدور العلوى)

ـ العقلانية ←—— وهى تمثل خط اليأس (الدور السفلى)

ـ فالإنسان العقلى يرى الفرد على أنه إنسان ميت بل أنه لم يحيا

على الإطلاق.

أما الإيمان فهو يعبر عن الأمل والرجاء بأن الإنسان كيان حى وموجود.

وقد سادت هذه الفلسفة (الاتجاه الأول) فى الفكر الدينيوى، وفى الأرثوذكسية الجديدة عند كارل بارت فى الحقل اللاهوتى بارثيان اللاهوتى.

وقد انتقد شيفر هذا الفكر بشدة فى كتبه وشرائطه وساعد كثير من الشباب أن يجدوا الإجابات الشافية لأسئلتهم بل وأن يجدوا طريق الرجاء والسلام ـ هذا الشباب الذى لم يجد أى تفهم من الكنيسة، أما هنا فى اللابرى فقد وجد من يسمع له ويقدر مصارعاته الفكرية والنفسية بل ويقدم له طريق النجاة والأمل والحياة.

وصف للابرى "الملجأ" :

بدأ يشتهر اللابرى جداً ويزدحم بالوفود من كل صوب وجهة ـ فامتلأت الشاليهات على آخرها حتى إنه فى الإنجازات الأسبوعية (أيام الجمعة) كان الطلبة يملأون الممرات والدهاليز والبلكونات ـ بل إن الغداء نفسه كان يستمر تقديمه حتى الخامسة مساءً.. وجاء الشباب من أقصى

البقاع ـ من اليابان ـ وجزر ماليزيا ـ ومن بلدان مسلمة.. وقبل الكثير منهم المسيح بالرغم من أن إعلان إيمانهم بالمسيحية كان يعنى تقديم تضحية ضخمة قد تكون تكلفتها حياتهم أو عدم الرجوع لبلدهم ثانية.. وقد التمس شيفر إذن خاص من الحكومة السويسرية بالسماح لهم بالبقاء على مسئوليته. لكن الغالبية العظمى كانت من الشباب الأمريكى الذى جاء ليدرس فى أوروبا أو الذين كانوا ممراً لتهريب المخدرات للهند.

وكانت إديث شيفر تضيف لمسات خاصة على جلسات المناقشة بجو الحب والتآلف الذى تخلقه بوجودها بين التجمعات الشبابية المتباينة.. وبالفنون والموسيقى.. وقد علق أوز جينسر عليها بقوله "كانت إديث السر الحقيقى وراء نجاح عائلة شيفر". وكان اللابرى بحق مجتمع تطبيقى وحياة معاشة مبنية على أساس من الحب والتعليم الإنجيلى واختبار حقيقى أساسه الصلاة. كانت الصلاة هى العامل الخفى لنجاح اللابرى ـ وكما كان شيفر يعلم خدامه أن الصلاة هى أهم عنصر لإطلاق عمل الروح القدوس أثناء الوعظ. وكانت إديث شيفر تنظم حلقات الصلاة وتقودها وتصلى من أجل شيفر أثناء خدماته وأثناء الجلسات الفردية مع الشباب لأجل بركة فى الكلمات والعظة والمناقشات.. حقاً.. كانت مناقشات شيفر الفكرية قائمة على حياة روحية عميقة وصلاة وشركة دائمة مع الله.

إلا أن العمل بدأ فى احتياج لتعضيد مالى ضخم فبدأت إديث فى إرسال الخطابات لبعض الأصدقاء المقربين تشرح لهم فيها عن هدف خدمة اللابرى.. لكن الاحتياج ظل قائماً، وبدأت الحاجة إلى الصلاة كعامل فعال فى حل هذه المشكلة..

وفى إحدى أعياد الكريسماس ـ كانت الحالة قد تأزمت بشدة وكان شيفر مديوناً بمبلغ ٣٠٠٠ دولار أمريكى، ولم يكن أحد يعلم عن هذا شيئاً.. إلا أن شاب من أصل أرمنى أقام احتفالاً كبيراً ودعا شيفر وأعضاء اللابرى لحضوره ـ وفى نهاية الحفل.. قدم لشيفر مبلغاً من المال ٣٠٠٠ دولار تبرع منه لهذه الخدمة!!

ليس من العجيب حقاً أن نرى كيف كان الرب يبارك عمله فى اللابرى إذ كان عدد كبير يقبل المسيح كل يوم وتتغير حياتهم.. والسبب الحقيقى وراء ذلك كله هو الصلاة والثقة الكاملة فى الله ـ هذا الإيمان الذى يحول كل مستحيل إلى أمر ممكن بيد الإله.

ذكريات خاصة عن اللابرى :

هناك ٣ أفراد قدموا شهادتهم.. نسردها كالتالى :

الشهادة الأولى : قدمها شاب أوروبى ـ من خلفية أرثوذكسية

متعصبة - قام شيفر بتشجيعه بطريقة لم توفرها له كنيسته.. حيث وجده شيفر فتى طيب ورقيق.. وبسرعة قبل هذا الشاب المسيح مخلصاً شخصياً له.. ويحكى هذا الشاب أن شيفر كان ينزل لمستواه وكان يمتلك موهبة خاصة فى التواصل معه.

كان شيفر يحيا حياة بسيطة اجتماعياً - فقد رفض أن يمتلك سيارة فى وقت كان يركب المرسلون الأمريكيون سيارات فاخرة ويتمتعون بمستوى معيشى مرتفع.. لكن شيفر كان يشعر بالظروف الاجتماعية الصعبة التى يمر بها الشباب فى أوروبا فكان يئن ويشفق عليهم حتى إن ابتسامته كانت لها قيمة غالية جداً..وقد جعلت صلاته وبساطته من اللابرى جواً مريحاً ومفتوحاً لهؤلاء الذين يعانون من صراعات المجتمع..

كان شيفر شخصية رائعة فى تبادل الحديث الودى مع أى شاب.. وكان كلامه واضحاً ومستقيماً ليس فيه التواء - كان قلبه حنوناً يشعر باحتياج كل طالب..

وأحياناً كان عدد الطلبة يتضاعف بصورة فجائية من ٣٠ إلى ١٣٠ طالباً، لكن إديث شيفر كانت تحكم الأمر..

فى نهاية الستينات حدث أمر مثير - فقد جاء لإنجلترا أحد الطلاب

الزنوج هو سيلفستر چاكويز Sylvester Jacobs . كان چاكويز قد تخرج من كلية الكتاب المقدس فى الولايات المتحدة . جاء چاكويز إلى انجلترا وسمع شيفر لأول مرة فى إحدى المؤتمرات حيث ألقى شيفر موضوعاً تحت عنوان "ظاهرة مسيحية الغرب" وبدأ يعجب بشيفر خاصة عندما يتكلم عن خدمته للأطفال الزنوج فى إحدى فصول مدارس الأحد . وأنه كان يعامل الأطفال البيض والسود كلهم سواء.. وكان شيفر يعلق أن الزنوج بشر طبيعيين مثلنا.. وقد ألهب هذا الكلام قلب چاكويز.. وبعد انتهاء شيفر من محاضرته التفت الجماهير حوله إلا أنه انفلت منهم وذهب ليحيى چاكويز ودعاه لزيارته فى اللابرى.. وقد علق جاكويز على شيفر "كان يقرأ ما فى قلبى".

ثم غادر چاكويز إنجلترا.. وبعدها بعدة سنوات جاء لزيارة شيفر وخلال هذه الزيارة شعر چاكويز بامتياز اللابرى كملتقى فكرى متكافئ غير قائم على أى تمييز بين اللون أو الجنس . فالجميع متساوون . يتحاورن ويتناقشون فى ألفة . الكل يأخذ نفس القيمة ومقداراً متساوياً من الاهتمام والحب. كان چاكويز يعشق التصوير من صغره إلا أن هذه الهواية لم تلق ترحيب من الكنيسة، أما أوز جينيس فقد شجعه وصرح له أن يشترى كاميرا وطلب منه (حثه) على تطوير هذا الفن ويضرمه.. وأصبح جاكويز يرى نفسه مقبولة.. الأمر الذى ساعده أن يؤمن بأن الله

هو أيضاً يحبه! وبدأت ثقة جاكويز باللابرى منذ ذلك الحين.. لقد ساعد اللابرى جاكويز أن يقبل نفسه - عن طريق قبول الآخرين له.. ثم تقابل جاكويز الأسمر مع چانيت البيضاء وتعرفا على بعض ثم تزوجا.. كان اللابرى بحق يقدم تعليماً مسيحياً ليس فيه حواجز عرقية أو لونية أو جنسية أو حتى اجتماعية.. لقد أصبح چاكويز مصوراً مشهوراً وهو يعمل حالياً فى أوروبا.

الشهادة الثانية : شخص تغيرت حياته بسبب اللابرى.. هو ستيف تيرنر.. كان ذلك فى أوائل السبعينات حيث انتشرت موضة الهيبيز وتعاطى المخدرات وموسيقى الروك وأصبحت تشكل ركناً رئيسياً فى حياة أى شاب أوروبى.. وفى نفس الوقت الذى غابت فيه القيم والمبادئ الدينية لهذا الجيل من السبعينات.. وكان الشباب يبحث فى هذا الوقت عن "ما هى الحقيقة".. فى هذا الوقت جاء عدد كبير من الشباب الأمريكى لقضاء عطلات الدراسة فى سويسرا.. وكان ٧٠٪ من هؤلاء الطلبة غير مسيحيين.

جاء ستيف لزيارة اللابرى.. فى الوقت الذى كان فرانسيس غير متواجد هناك - وكان ستيف شخصية مقبولة حتى إن الشباب الذى لم يقابله كان يستمع لشرائطه مع شيفر. وفى زيارته الأخيرة - كان الطلبة

يلتفون حوله ويستمعون له بشغف، وخاصة فى المحاضرات الغير رسمية التى كان أى طالب له حرية السؤال فى أى مجال.. وكان شيفر ذو قدرة هائلة على إدراك ما وراء السؤال ـ وكان لديه أسلوب جذاب مع الشباب خاصة تلك الفئة المتمردة على المجتمع..

كان شيفر منفتحاً على كل الأمور التى تهم الشباب، وكان يتفهم احتياجاتهم فى الوقت المعاصر جداً، وعلى عكس كثير من الكنائس التى اعترضت على كل ما هو عصرى ومنعت الشباب من توزيع وبيع موسيقى الروك. أما شيڤر فقد استمع نفسه لبعض تسجيلات البيتلز واستطاع أن يميز بين المقبول منها والضار للمؤمن.. وكان شيفر يرى أن الأمر ليس مسألة رفض أو قبول لأن الناس تختلف فى ردود أفعالها للظواهر التى تحدث فى المجتمع ..

كان ستيف عندما جاء أولاً للابرى ـ يبحث عن كيفية سليمة يستطيع بها أن يعيش حياة مسيحية تناسب عصره.. وكثير من الشباب مثل ستيڤ أهملته الكنيسة ولم تقدم لهم أى نصيحة أو حتى اتجاه يسيرون عليه وسط الجيل المعاصر..

أما اللابرى وبخاصة شيفر فقدم لهم الأساس الكتابى لكل الظواهر الاجتماعية والسلوكيات، والذى من خلاله يستطيع أن يعيش كل مؤمن ويتكيف فى مجتمعه بحسب دعوة الله لحياته. بل وأكثر من ذلك فقد برهن شيفر لجيل الشباب الحديث أن المسيحية قادرة على شفاء كل حيرتهم وأزمتهم بشأن أى موضوع، وبين شيفر لهم من تاريخ الكنيسة أن إيمان المسيحيين الأوائل كان إيماناً كاملاً وغير ناقص وأن تسليم الحياة للرب لا يعنى إلغاء العقل والفكر.. أما الكنيسة فقد كانت بعيدة كل البعد عن تفهم حاجة هذا الشباب. ولهذا السبب لم تكن معاصرة للزمن الذى يعيشونه.

الحياة العائلية :

أنجب شيفر بعد ذلك ابنه فرانكى، ثم تزوجت بناته من رجال إنجيليين يخدمون فى الكنيسة، فتزوجت بريسكلا من چون ساندرى عام ١٩٥٧ وخدم فى حفل زفافها القس مارتن چونز، أما سوزان شيفر فقد تزوجت رونالد ماكولاى والذى أسس اللابرى الإنجليزى ـ ثم أصبح ماكولاى فيما بعد واحداً من أكبر القادة المسيحيين فى الكنيسة البريطانية..

وأخيراً تزوجت ديبى شيفر من أدو ميدلمان وهو مسيحى من أصل ألمانى، وقد بقيا فى سويسرا للعمل فى اللابرى..

الانتقال إلى بريطانيا :

فى عام ١٩٥٨ وفى بداية عمل اللابرى فى سويسرا.. جاءت إحدى الفتيات من أصل يهودى للابرى وقبلت الخلاص.. ثم أرسلت هذه الفتاة بعد ذلك دعوة لشيفر ليأتى لزيارة إنجلترا..وعندما جاء شيفر لانجلترا.. كان فى انتظاره حشد كبير من الناس ولاسيما طلبة الجامعات الذين أتوا لسماعه. وقد ألقى وقتها شيفر محاضرة بعنوان "ما فوق الطبيعة صواب هنا" "The Supernatural is right here" - وقد أعجب بشيفر عدد كبير من الشباب الذين جاءوا فيما بعد لزيارته فى سويسرا.. وطلبوا منه أن يكرر الزيارة مرة ثانية لإنجلترا.. وقد قام شيفر فعلاً بتلك الزيارة فى العام التالى أى سنة ١٩٥٩.

ويصفه مايكل دايموند (سمع شيفر عام ١٩٦١) بأن شيفر كان بارعاً فى معالجة مشكلات العصر من ناحية لاهوتية.. وقدرته على التصدى للفكر البارثيانى..

وقد ذاعت شهرة شيفر بعد ذلك كثيراً فى إنجلترا ولا سيما بعد ظهور تسجيلاته على شرائط الكاسيت. ثم جاءا سوزان ورونالد ماكولاى ليؤسسا اللابرى الإنجليزى - وكان ذلك فى لندن عام ١٩٧١ - بمقاطعة هامبشير.

إلا أن نقطة التحول فى حياة شيفر كانت فى مؤتمر IVF عندما ألقى شيفر موضوع "نظرة جانبية على الحق" وتكلم فيه عن النظرة المتكاملة لتعاليم المسيح.. وقد علق البروفيسور مارك نول على ذلك بقوله "كانت محاضراته من منظور أغسطينى إصلاحى، فقد جمع شيفر بين الرغبة فى تسليم الناحية الثقافية للمسيح من جهة وبين الواقعية وحاجة الفرد الطبيعية للخلاص من جهة ثانية.. أى أنه لكى تكون مسيحياً تعنى أن تكون إنساناً كاملاً أيضاً فى المسيح يسوع.

وقد لاحظ البعض مدى التشابه الفكرى بين شيفر وليود چونز حتى أن ليود چونز قد اختار رسالة الدكتوراه تحت عنوان "استرداد أهمية نعمة الإبداع الفكرى الإنجيلى".

السفر للخارج :

فى عام ١٩٧١.. قابل شيفر واديث زوجته - چاك كمب وزوجته چوان (أحد أعضاء الكونجرس الأمريكى - وقد أسسا بعد ذلك مجموعة شيفر الدراسية فى واشنطن D.C.).، ثم فى ١٩٧٢ طاف الزوجان شيفر حول العالم - حيث دعيا إلى هاواى، هونج كونج، سنغافورة ومالاى، وأخيراً زارا الهند.

وبعد ذلك بعامين.. أسند إليه قيادة المجلس الدولى للكرازة العالمية فى مؤتمر لوزان ـ والذى غير فيه شيفر مفهوم الكنيسة عن الكرازة.. وقد قال شيفر كما ظهر فى كتابه " الكنيسة أمام العالم المتفرج" The Church Before The Watching World" أن الانشقاق الحقيقى ليس بين الطوائف المسيحية فحسب بل هو موجود بين كل فرد.. وقد توسع شيفر فى هذا الصدد أمام مؤتمر لوزان ليؤكد للحاضرين بأن محور النقاش فى السنوات القادمة سيكون حول الإنجيل.

وأنه ليست هناك فائدة بانتشار الكرازة بينما التعليم الكتابى ينكمش.. وأنه لا يجدر بالكنيسة أبداً أن تساوم فى الحق الذى يعلنه الإنجيل.. فماذا تعنى الكرازة إذا كنا لا نعيش الإنجيل..

كما قدم شيفر أيضاً ترجمة أدبية لتكوين ١، ٢ وأكد على أن المسيحيين لا يجب أن يجزعوا من تقدم العلم، وأن فكرة تعارض العلم مع الدين ليست صحيحة.. لأن ما يعلمه الإنجيل عن الخليقة والكون دقيق وسليم ولا تعارض فيه مع التعاليم الروحية..

أما عن موضوع الجوهر فسوف يأتى ذكره تفصيلاً عند الإشارة الى جيمس بيكر.

بدايات جديدة :

وصلت ندوة المناقشات الفكرية إلى قمتها فى أواخر الستينات حول موضوع ارتباط العلم بالدين ومسألة الجوهر والكنيسة، غيرها.. ثم بدأت تهدأ حتى انتهت (نامت تماماً) فى عام ١٩٧٤.

وبدأ بعض الخدام فى اللابرى يتساءلون عما إذا كان اللابرى سوف يستمر ـ حتى إنهم اقترحوا على شيفر أن يغلقه..

بينما شعر البعض الآخر أن اللابرى قد فقد هدفه الرئيسى وانتهت رؤيته... بينما لم يكن الأمر هكذا فى اللابرى الانجليزى أو حتى بالنسبة للعمل الجديد الذى بدأ فى هولندا، أما شيفر فكان يرى اللابرى سيظل قائماً ليساعد الشباب فى كل عصر وزمن.

وفى السبعينات عاد اللابرى ليكتسب شهرة سياحية كبيرة على خريطة أوروبا وأصبح منتجعاً معروفاً يتردد عليه كثير من الطلبة الأمريكيين ومنهم الهيبيز أيضاً حتى إن الأوروبيين كانوا يلتقطون لهم الصور الفوتوغرافية لغرابة منظرهم.. وفى السبعينات أيضاً ترك بعض الخدام الخدمة فى اللابرى.. ومن جهة أخرى فقد كانت هذه الفترة استراحة قصيرة لإعادة بناء اللابرى بتنظيم جيد.. حيث بنيت

الشاليهات ـ كل شاليه بطريقة منفردة وبدأ عدد الوفود يقل مما سمح بحرية أكثر فى حلقات المناقشة. وكان الجميع يشعرون بجو العائلة حيث كانت مدام شيفر تعكف على خدمتهم كالمعتاد..

فى أوائل الثمانينات وجد اللابرى الطريق للظهور مرة أخرى.. وبدأت الوفود فى الازدياد، وفى ذلك الوقت جاءت أغلبية الشباب من أستراليا واتسمت المناقشة بالجدية والشدة، تلك السمات التى اتصف بها جيل الثمانينات.

أما شيفر فقد ازدادت سفرياته للخارج ـ وكان أكثر ما أثر على نفسية شيفر هو خبر وفاة مارتن چونز ـ صديق عمره ـ فى هذا الوقت كان شيفر حزيناً جداً وظل فترة غير قادر أن يعطى كلاماً جديداً للشباب.. لكن هذا الشعور ما لبث أن انتهى ليبدأ عملاً جديداً وعلى نطاق أوسع من ذى قبل..

بعد ذلك ونظراً لعدم تواجد شيفر بصفة منتظمة فى اللابرى الانجليزى ـ فقد استقل الأخير عن اللابرى السويسرى.. وأخذ الأول يلعب دوراً هاماً فى الاتجاه الفكرى للحياة المسيحية فى بريطانيا..

الفكرة الأصلية للأفلام :

كان فرنسيس شيفر دائماً أن حياته مع الله تشبه السلالم المتحركة، وأن الله يأخذه لمستوى أعلى كل يوم.. وأن هناك دائماً دعوة لأماكن جديدة ذات احتياج مختلف عن ذى قبل..وقد تحقق ذلك بالفعل عندما أراد شيفر أن يبدأ أسلوباً جديداً يتماشى مع التغيرات الثقافية التى ظهرت فى جيل الثمانينات.. ففى أغسطس ١٩٧٤ اقترح فرانكى شيفر على والده أن يضع أفكاره الاجتماعية واللاهوتية فى فيلم ڤيديو.. بحيث تقدم مجموعة أفكاره فى سلسلة متكاملة من الشرائط.. وبعدما عرض شيفر الفكرة على زوجته ـ اختمرت الفكرة جداً فى قلبه ـ وقتها كان يقرأ شيفر فى سفر حزقيال ـ وشعر أن الله يدعوه لهذا العمل..

كان الهدف من إنتاج هذه الأفلام هو تقديم مادة تعليمية مرئية ليس للمسيحيين فقط بل لكل البشر حول مفهوم الإنسانية، الحياة، الكون، فى ضوء تعليم الإنجيل ـ الكتاب المقدس.

واستمر العمل فى هذا المشروع مدة عامين حيث أخذ كثيراً من الجهد والبحث والتصوير في عدة أماكن متفرقة..

وقد لاقت هذه الفكرة بعض الاعتراضات من بعض الخدام فى اللابرى

لكن شيفر كان يؤكد لهم عن أهمية هذا العمل وقوة تأثيره فى توصيل رسالة الخلاص ليس للمسيحيين فقط بل للعالم كله. وقد تحقق لشيفر أبعد من كل تصوراته وجاءت نتيجة عرض الشرائط خارج اللابرى بمدى كبير وأعم مما كان يقدمه شيفر من شاليهات اللابرى محدودة العدد.

فى البداية عرض الفيلم بداية روما القديمة فى زمن العصور الوسطى، ثم قدم عصر النهضة Renaissance ومنه انتقل إلى عصر الإصلاح.. وأن الـ Renaissance رأت أن الإنسان مخلوق ذاتى منفصل عن الله بينما استعاد الإصلاح مكانة الله والانجيل فى حياة البشر ونزع التشوهات التى أدخلها البشر على الكنيسة ونقاوتها.

ثم عصر التنوير.. وبدأه بالعلم ـ ذلك الإله الجامد ـ وأن العلم قام فى البداية على أسس مسيحية حيث الله خالق الكون كله وهو حى أزلى أبدى ـ إلا أن هذا التنوير بالعلم لم يستمر هكذا.. إذ وضع الإنسان فى حيز ضيق جداً وعالم ميكانيكي يخلو من وجود الله ـ ثم جاءت بعد ذلك نظرية داروين للتطور ـ وبدأ الفلاسفة فى سحب خط اليأس لأسفل ـ فأصبح كل ما له علاقة بالله والدين مشبوه ـ وأصبح العقل هو السيد وقاد هذا الفكر الناس لحياة مظلمة ويائسة ليس فيها هدف ولا رجاء ـ وأصبح العالم محكوم بالصدفة ومبنى على انعدام الشخصية.. وحدث

ما أسماه بالهروب من الواقع إلى الوجودية (أعضاء الإنسان فى ذاته) - وانفصل المنطق عن السبب وانحط شأن الدين والعقيدة (وهذا ما أسماه شيفر بالدور العلوى). بعد ذلك نشأ الاتجاه الفكرى التحررى اللاهوتى الخاص بكارل بارث والذى أشار إلى أن المسيحية حقيقة واقعية حتى إذا فقدت بعض أعمدتها التاريخية.

وعلى نفس أساس النظرية الوجودية - انتشرت ظاهرة المخدرات والهيبيز والعبادات الوثنية - وفى السبعينات هرب الناس إلى ما أسماه شيفر (السلام الشخصى) وانغمس الإنسان فى اللذة واللهو والشهوات الشبابية غير مكترث بالآخرين من حوله محيطاً نفسه بجدران من السلام الزائف والأنانية التى محورها الذات والجسد.

هكذا كانت المادية وأبعاد خطورتها التى دفعت بالإنسان داخل قفص من الدينونة المخيفة فقد فيه كيانه وحريته البشرية (الآدمية) الحقيقية.

وقد عرف شيفر النزعة الإنسانية أنها نظام ليس إلهى Godless - له إطار من القيم المسيحية المطلقة مع بعض القوانين الاجتماعية. هذا النظام كانت نتائجه بشعة وظواهره عديدة مثل الإجهاض، وتشريع قتل المرضى وكبار السن، وقد اعتبر الماديون هذه الظواهر مقبولة ومعترف

بها.. ومما ساعد على انتشار هذه الأفكار - الإعلام بكل الوسائل المرئية والإذاعية؟...

بعد ذلك جاءت مشاكل الحكم السياسية والخوف الرهيب من سيطرة الحكم اليمينى أو اليسارى.. إلا أن ما كان يزعج شيفر هو أن أصحاب هذه الأفكار الغير مسيحية قد استخدموا كل الوسائل الاعلامية والتعليمية فى بث معتقداتهم الشريرة حتى أصبح كل شئ غير - مقبول - ومباح واختلط الحابل بالنابل ولم يعد هناك فرق بين الخطأ والصواب - البر والخطية،..

سرعان ما انتشرت أفلام شيفر فى انجلترا والولايات المتحدة،... ولاقت إقبالاً كبيراً ممن شاهدوا خاصة فى الولايات المتحدة..

وخلال هذه الشرائط.. ظهر شيفر كإنسان محب لأخيه الإنسان - مقدماً العون لكل من يبحث عنه ولكل من يعانى من صراع أو مشاكل أياً كان نوعها.

إلا أن البعض بدأ يهاجم شيفر ويفترون عليه وينقدونه بغير موضوعية.. بينما رآه البعض بأنه خبير عظيم مع أن شيفر لم ير نفسه هكذا أبداً.

ومن جهة أخرى علق أحدهم على شيفر أنه واحد من أعظم المبشرين والرعاة الإنجيليين فى القرن العشرين، إلا أن فكرة الشرائط هذه نتجت عنها المشاكل المختصة بمواجهة العالم غير المسيحى. فقد أظهرت هذه الشرائط الحاجة لشخص يتواجه مع المجتمع الغير مسيحى وهذا سبب خداعاً لكثير من الناس - وبرغم من أن شيفر لم يكن يوافق على انتشار هذه الظاهرة فى المجتمع المسيحى فى أمريكا وهى تحويل القائد من مجال لمجال آخر.. إلا أن المأساة الحقيقية كانت فى شعور كثير من المؤمنين فى الوقت الحالى بعقدة صغر النفس، وكان السبب فى ذلك هو احتياج الناس لمن يقف ضد المجتمع غير المسيحى.. لكن الذى حدث هو أن بدل المواجهة المبنية على الإيمان ودراسة الكلمة وعمل الروح القدوس - اتكل هؤلاء فى المجتمع على مراكزهم وشهرتهم وساوموا فى الحق الكتابى وأخضعوه لمصداقية غير المسيحيين واعتمدوا ليس على قيمة رسالة الخلاص فى ذاتها وعمل المسيح الكفارى على الصليب بل على السلطة الشخصية لبعض المسيحيين من داخل الكنيسة..

أما شيفر فكان يعلم الشباب أن يفكر لكى يبنى نفسه أولاً ثم لكى يظهر المسيح للآخرين.. ذلك على عكس ما يحدث فى جيل الشباب فى يومنا الحالى..

وهناك مشكلة أخرى نتجت عن فكرة عرض الشرائط وهى ليست بسبب خطأ فى شيفر أو تعليمه إنما فى طبيعة الإعلام ذاته.. فكل ما يعرض على شاشات التليفزيون أو السينما معرض للنقد والهجوم.. ذلك لأن الفيلم فى طبيعته غير قادر على توضيح كل جزئياته بنفس الأولوية، فالمحور الرئيسى فى الفيلم عادة ما يظهر بوضوح إلا أنه تبقى بعض الجزئيات عسرة الفهم والبعض لا يستسيغها لعدم وضوحها ، وهذه الجزئيات هى التى يرتكز عليها النقاد فى هجومهم.. بعكس الكتاب فهو قادر على عرض الفكرة بكل محاورها بكل استفاضة وتفصيل ـ بل أن الكتاب يمكنه تعضيد الفكرة بإحصائيات وبيانات وإن أمكن بالصور أيضاً ـ لذلك فقد صاحبت شرائط شيفر وجود كتيبات لزيادة التوضيح.

أما شيفر فكانت نظرته موضوعية ـ شاملة لكل العناصر الهامة التى تخدم قضيته ـ فبينما كان شيفر يرى الغايات ـ كان النقاد يرون الهوامش والبروزات..

ويعد شيفر بحق مفكرا أكثر منه معلماً.. فالمعلم كما يعرفه هارى بلاجيرسى.. هو شخص لا يقبل النقد (السخرية) الزائدة بسهولة.. غير جرئ فى إعلان حكمه بجرأة.. أما المفكر فهو جرئ ـ قراراته ثابتة

ويعمل فى اتجاهات محددة.. وشيفر صاحب نظرة موضوعية للحق - مؤمن بإيجابية دراسة كلمة الله وتطبيقها.

ومن جهة أخرى فقد قدمت شرائط شيفر أجلّ مساعدة للمسيحيين الذين كانوا يشعرون بحيرة تجاه الأوضاع من حولهم.. لهؤلاء عرضت الشرائط بعض الموضوعات لأول مرة لم تكن معهودة لهم بل وشجعتهم أن يأخذوا منهم موقف.

وبرغم أن شيفر كان يتوقع كثير من هذه الانتقادات التى وجهت له.. إلا أنه كان على يقين من أهمية هذا المشروع فى توصيل رسالة الخلاص لأكبر عدد من الناس... فاللابرى برغم شهرته - لكنه مكان محدود - أما الشرائط فمدى توزيعها كبير - وغير محدود.. بالإضافة إلى أن شرائطه قد ساعدت الكثيرين ممن لم يستوعبوا أفكاره المكتوبة.. كان شيفر لذلك يقدم رسالة سهلة مقروءة ومفهومة لكل شخص ذى عقلية فذة أو عقلية محدودة.

وقد عقبت كثير من عروض الشرائط.. بندوات قادها شيفر بنفسه أو بعض زملائه المقربين، وكان هدف هذه اللقاءات والندوات مناقشة بعض الأمور التى عرضت ومازالت تحتاج مزيداً من الإسهاب والتوضيح.. كما أن الكتب التى صاحبت الشرائط كان لها دور مساعد أيضاً فى تفسير

الأفكار التى عرضت..

وبصفة عامة.. فقد أجمع الكل تقريباً سواء النقاد أم المؤيدين أن شيفر قد قدم رسالة فريدة تحتاج للإصغاء واتخاذ قرار عاجل بشأنها.

قضية الإجهاض:

قام شيفر بعد ذلك بجولة حول ١٨ ولاية أمريكية ـ عرض فيها أفلامه ـ وعندما زار شيفر مجلس الكتاب المقدس Bible Ineerrancy Council meeting in Chicago. علق بقوله :" إن الإنجيليين فى أمريكا اليوم أصبحوا لا يفرقون جيداً بين صحة التعليم الكتابى وبين الفكر الـ neo-orthodoxy الذى تبناه بعض الإنجيليين" ـ وكان أكثر ما أحزنه هو أن التعليم أصبح مشوشاً لأغراض سياسية واجتماعية، وهم بذلك يفقدون جوهر إيمانهم إذ هم يتنازلون عن الجوهر الإنجيلى لمسيحيتهم. فالمسيحيون هناك أصبحوا يخافون أن يزحزحهم أحد عن مكانهم.

بعد ذلك أقنع الجراح الشهير إيفرت كوب Dr.Everett Koop ـ شيفر وابنه فرانكى بضرورة تقديم سلسلة أخرى من الأفلام ـ واقترح على شيفر أن يقدم موضوع "حياة الإنسان وكيف تؤثر الإنسانية العالمية فى

طهارتها"، وأيضاً ـ موضوع الإجهاض. وقد وافق شيفر ونجح فى تقديم الموضوع من صلبه ـ ليس فحسب ـ بل قدم الأساس الإنسانى له والخلفية الفلسفية عنه.. وقد أبرز شيفر أن هذا الأمر هو ما أتلف وشوه أصول المسيحية فى المجتمع الأمريكى ونظام القيم الأخلاقية فى المجتمع الغربى. وقد دعم شيفر فيلمه بالعدد من الشواهد الكتابية من الكتاب المقدس.. وقد خصص شيفر الفصل الخامس من الكتاب الملحق بالفيلم تحت عنوان "كل ما حدث للجنس البشرى" وقد تلا عرض الفيلم ـ إقامة عدة ندوات قادها شيفر وكوب Koop ، فعالج فيها شيفر الجانب الأخلاقى فى مسألة الإجهاض بينما تناول كوب الموضوع من الناحية الطبية..

فى أثناء عرض فيلمه الأخير فى إسرائيل.. مرض شيفر وعاد إثر مرضه مباشرة مع زوجته إلى سويسرا ـ وبعد انتهاء فترة العرض (فى خريف ١٩٧٨) ذهب شيفر للفحص الطبى فى الولايات المتحدة حيث تبين وجود ورم الأمر الذى ألزم شيفر ببقاءه تحت العلاج لعدة شهور.

فى مايو ١٩٧٩ ـ شفى شيفر من مرضه وعاد لاستكمال ندواته التى كان يعقدها بعد عرض فيلمه الأخير ـ ليس فقط لتعريف الناس بالأضرار الجسيمة التى أصابت الكيان الاجتماعى فى الغرب ـ فحسب ـ بل

لضرورة اتخاذ قرار حاسم بشأن هذا الأمر. وفى فبراير ١٩٨٠ ـ عاوده الورم فى الظهور على صورة ماء على الرئتين ـ ووضع شيفر تحت الفحص الطبى والعلاج مرة أخرى.

وبرغم المرض.. إلا أن شيفر واصل معركته بعزيمة.. حتى اجتذبت ندواته انتباه أعضاء الكونجرس الأمريكى وشيوخه فى واشنطن.. بل وأكثر من ذلك فقد أقام شيفر مؤتمر اللابرى فى روشستر (USA) حضره حوالى ٢٠٠٠ شخص من مختلف الولايات المتحدة الأمريكية ومن خارجها أيضاً..

ثم تصاعد الجدال حول موضوع الإجهاض كثيراً بعد ذلك ـ وبدأ شيفر يتطرق لجوانب أخرى مثل الطهارة والنقاء ـ وأشار إلى النازى فى ألمانيا والنظام الهمجى الذى فرضه كدستور اجتماعى على البلاد. إذ كان يخشى شيفر من امتداد هذا النظام الفاسد للولايات المتحدة خاصة فى وجود الثورة الطبية والعلمية الكبيرة ـ وتقدم الإعلام و تأثيره الخطير..

بدأ شيفر يستعيد شغفه فى السياسة خاصة عند كتابة موضوع "كل ما حدث للجنس البشرى ـ وكيف سنعيش بعد ذلك" وكتب شيفر عن دور السياسة وتأثيرها على شكل المجتمع المسيحى.

وقد أعلن شيفر بوضوح فى كل كتاباته أنه ليس من إنسان له كل الحق والسلطان على الحياة سوى الرب يسوع.. ثم كان يعالج النتائج التى أثرت فى الإنسان بالفلسفة والفن والموسيقى ، وغيرها..

إلا أن السؤال الذى طرح نفسه نتيجة لكلام شيفر كان :"إذا كان النظام السياسى فى البلاد هكذا.... فما هو واجبنا كمسيحيين وما هو رد الفعل المناسب للكنيسة أمام هذا النظام؟

هذا السؤال قاد شيفر لكتابه الثانى عن "دليل المسيحى A Christian Manifesto" حيث ركز من خلال استنتاجات منطقية فى ميدان السياسة على حقيقة سلطان المسيح على الحياة كلها.

وقد استشهد شيفر فى كتابه بما كتبه المفكر الاسكتلندى الشهير رذرفورد Rutherford (الذى عاش فى القرن السابع عشر) ـ حيث كان شيفر يقرأ لرذرفوزد كثيراً خلال الستينات وعلى ما كتبه مسيحو القرنين السابع والثامن عشر وأشاروا بوضوح على مطلقات القيم الأخلاقية التى يحويها الكتاب المقدس.

وقد أثرت اتجاهات شيفر الفكرية على القراء الأمريكيين من السادة السياسيين والآباء الأصوليين Founding Fathers.. إذا كان شيفر

يرى أن الولايات المتحدة قامت وتأسست على تراث مسيحى مبنى بدوره على مبادىء عصر الإصلاح الدينى..

وأن الأمريكى حتى إذا لم يكن من أصل مسيحى ـ لكنه الآن يحيا وسط مجتمع مسيحى وبالتالى عليه حق الخضوع لما ينص عليه هذا المجتمع من فكر ومبادىء إنجيلية مسيحية.

وفى الخمسين عاماً الماضية.. فقدت الولايات المتحدة مباد ءها المسيحية بسبب سطوة المادية ـ والذى أدى الى خلق مبادئ اجتماعية مبنية على المادة والوجودية وليست على وجود الله.

وكان السؤال الذى يطرح نفسه على الساحة.. ماذا سيفعله المسيحيون بشأن هذا الأمر؟

بعد أن سكتت الكنيسة مدة ٤٠ عاماً حتى زاد هذا الفساد وامتد ليشمل جزءاً كبيراً فى المجتمع..

وكان رأى شيفر واضحاً بشأن عدم اشتراك المسيحيين فى تلك المواضيع التى يرفضها الإنجيل بوضوح تام مثل موضوع الإجهاض، وغيره... وقد كتب شيفر أنه هناك حدود يخضع فيها المواطن المسيحى لما يفرضه الدستور أو المجتمع، وهى الحدود التى لا تتعارض مع نص

الإنجيل ومبادئ الكنيسة المسيحية - خارج ذلك يتطلب رفض صريح بل ومواجهة أيضاً... إلا أن شيفر كان حريصاً جداً فى تأكيده على أهمية تحفظ المسيحيين فيما يفعلونه فهم واجهة المسيحية.. وعدم الخضوع للسلطة أو للمجتمع ليست بالأمر الهين - بل - هو فى الحقيقة - صعب، وهناك من يحاول الإيقاع بنا..

كان شيفر يؤمن أيضاً أن الأساسيات الاجتماعية فى المجتمع بالرغم من فعاليتها إلا أنها تحتاج الى طرق حديثة لتحقق النتائج المرجوة من ورائها - وهذا بالأخص فى الدول الشيوعية. أما إذا لم تكن هناك أية فرصة لإبداء الاحتجاج على الوضع القائم فإن الحكومة أصبحت فى موضع الإله المتحكم..

إلا أنه من المهم أن يوضح المسيحى عن وجود بدائل لتصحيح الوضع الخاطىء - وذلك - قبل أن يعلن رفضه..

وفى الحقيقة - لم يكن شيفر يهدف لنقض أى نوع من الحكم فى أمريكا لكنه كان يبغى عودة المجتمع الأمريكى للأصول المسيحية القديمة التى تأسس عليها فى بادئ الأمر، أما الآن فقد تلاشت وأصبحت باهتة جداً.

حينئذ سيكون هناك حرية دينية ـ ليس فقط ـ حرية آدمية اجتماعية ـ وعندها سيكون للإصلاح المسيحى دوره فى إعادة بناء المجتمع الأمريكى..

وقد تحول بعض مؤيدى شيفر إلى مهاجمين عليه خاصة بعد صدور كتابه "دليل المسيحى" الذى صدر فى أوائل عام ١٩٨٢ حيث وصفوه بأنه ذئب الأصولية Guru of Fundamentalism.

لكن أحد أساتذة التاريخ فى جامعة هيون فى أمريكا ـ هو ـ Dr.No11 ـ دافع عن شيفر لأنه كان متأثراً بشدة بإرادة شيفر فى صراعه ضد موضوعات خطيرة من كل نوع، تاريخية، ثقافية معاصرة، أمور لاهوتية.. إلا أن نول كان يخشى أن يبنى شيفر قضيته على أساس تاريخى حضارى غيرثابت وغير حقيقى.. لأن هذا يعنى الإطاحة برسالته تماماً.

وقد أيد البروفيسور جريج سينجر ـ رائد فى تاريخ الكنيسة ـ جامعة أتلانتا ـ هذا أيد رأى شيفر ثم علق سينجر على موضوع (المؤسسين الأوائل) فى تاريخ الكنيسة فى أمريكا بقوله "بالرغم أن هذا ليس من حق أى إنسان أن يحكم أو ينتقص هؤلاء المؤمنين الأوائل فى موضوع خلاصهم ـ لكنه لا يوجد أى ريب (إدانة قانونية) تشير لعدم تدينهم

ووجود الكتاب المقدس كأساس لسياستهم وأفكارهم حتى إذا لم نر إشارات انجيلية واضحة فى وثائقهم السياسية.

وقد لخص سينجر تأييده لشيفر بأن نظرياته قد بنيت بحزم على لاهوت إنجيلى سليم ـ وأن كلام شيفر كان بسلطان وعمق روحيين.

أما لهؤلاء الذين من خارج المجتمع الأمريكى ـ فلم تكن هذه المحاولات ذات فائدة كبيرة لهم لأنها كانت تخاطب الشعب الأمريكى بلغة محددة وعلى الأخص السياسة الأمريكية الداخلية التى أسماها شيفر والآخرون "باسم الباب المفتوح Open door" للإنجيليين فى السياسة الأمريكية ـ خاصة بعد فوز ريجان فى الثمانينات.

ومن ثم فقد وجه شيفر رسالات عاجلة وخطيرة لكل المسيحيين فى أنحاء العالم وكانت كلماته صالحة وفعالة لكل مسيحى ـ فى أى مجتمع ـ وتحت أى نظام سياسى.

"هذه هى ساعتنا وعلينا مسئولية.. ليس فقط أن نتكلم عن مثاليات بعيدة عن الواقع الذى نعيشه ـ لكن علينا أن نجاهد ونصارع لأجل تحقيق رسالة الإنجيل بطريقة عملية وسط عالم ساقط ليعرف الناس الخلاص وينظر فينا العالم نوراً وملحاً له فى الأرض فى كل مكان وكل

بؤرة سياسية، اجتماعية أو ثقافية".

وقد أيد الكثيرون شيفر في رأيه حول إيجابية اشتراك المسيحيين بدور فعال في المجتمع لكنهم اختلفوا حول "السبل العلمية التي تتحقق بها فعالية الكنيسة في المجتمع".. بالإضافة لرأيه حول عدم الخضوع الإجتماعي. وقد لخص روبرت هورن التحفظات التي أخذها المعارضون ضد آراء شيفر كما يلي:-

١ - إن شيفر على صواب - كما جاء في رومية - بأن وجود الشر نتيجة طبيعية لمجتمع يخلو من وجود الله - لكن هذه الفكرة في حد ذاتها تعالج النتائج لكنها غير قادرة على التغيير ذاته وأن دور المسيحي هنا يرتكز على قوة الإقناع بالروح القدس وإعلان نور الحق في الإنجيل.

٢ - إن المسيحيين الأوائل لم يلجأوا للعنف في مقاومة الأمور المدنية - لذا فإن الإنجيل هو سلاحنا اليوم كما كان في فترة الإصلاح.

٣ - برغم وجود فرصة واضحة للمسيحيين لكي يستخدموا طرق القضاء الديمقراطية كمحاولة لتصحيح الوضع الخاطئ في المجتمع.. فإن شيفر لم ينجح في عرض دور المسيحي في الاحتجاج المدني، وأن هذه

تعد وسيلة قوية لتصحيح الوضع.

٤ ـ يعتقد هورن أن شيفر مخطئ فى جزئية حيوية تخص التعليم الكتابى ـ ففى متى ٢٢، رومية ١٣، ١بط ٢ ـ والتى تبين أن الحالة الوحيدة التى يحق للمسيحى للاحتجاج والرفض وعدم الخضوع هى فقط عند الدفاع عن الإنجيل أو فى الشهادة عن المسيح.

٥ ـ وأخيراً فإن مجادلة شيفر بشأن استخدام قوة السلاح فى تحسين المجتمع والانتصار على الفساد ـ فإن هذا يتعارض وسلوك المسيح الذى رفض السلوك الحماسى المتعصب ـ لأنه ينظر للتغيير الروحى الداخلى الذى يحدث كنتيجة لعمل كلمة الله بالروح القدوس.

وكان رد شيفر على ذلك أن "الله صحيح قد أقام الحكومة لكنه لا يخولها أن تقضى بمعزل عن عدله وقضائه ـ فإذا فرض رئيس العمل ما يتعارض ومبادئ الإنجيل.. فأن سلطته لا توجب الخضوع ـ إذ ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس.

وحتى عدم الخضوع هنا يجب ـ أن يكون ـ على مستوى لائق ـ وبأقل مقاومة ممكنة.. الإنجيل لا يدعونا للطاعة من منطلق ضيق ـ لكنه يشمل أيضاً على محبة القريب مثل النفس، الجهاد فى سبيل العدالة ونقض

الظلم - والوقوف فى وجه القيود الداخلية والخارجية فى الحكم اليمينى أو اليسارى.

ويرى شيفر أن الأسلوب اللائق هذا، يتوقف على الظروف - وعلى حسب المكان والزمان فما يبدو تطرفاً فى أحد البلاد - لا يبدو هكذا فى مكان آخر.. وعلى كل حال يجب أن يحترس المسيحيون مما قد يقدم عليه "الغير عاقلين" لأن الاحتجاج المدنى يمكن أن يساء فهمه واستخدامه بطريقة يمكن أن يزوغ فيها الحق وسط العالم الساقط. فأن هذا لا يجب أن يمنع المسيحيين من الاشتراك الإيجابى فى المجتمع..

ويرى شيفر أن على المسيحيين دور هام فى الكرازة بالحق ونشر تعليم الإنجيل للخلاص من جهة ولكى يكون المسيحيون مؤثرون فى المجتمع من جهة أخرى.. ولأن تغيير المجتمع للصورة المثالية أمر بطئ الحدوث فأن علينا أن نجتهد ونعمل كل ما نستطيع عمله اليوم! وإذ نهتم بالكرازة والعمل الاجتماعى بحيث يكمل كليهما الآخر..

إن المجادلة التى فجرها شيفر ما زالت قائمة - وهناك الكثير الذى يمكن قوله حول هذا الموضوع، وحتى هؤلاء الذين يعترضون على فكر شيفر بشأن "السبل العملية" إلا أنهما يتفقان معه فى دور المسيحى

الإيجابى وسط المجتمع بحق ملح ونور للعالم.

وقد حث شيفر بوجه عام الناس على التفكير ـ وهذا مهم للمرء جداً.

فى يناير ١٩٨٣ ـ ذهبت للابرى السويسرى بنفسى لاستكمال الكتاب ـ وفى الطريق أخذت الأتوبيس المتوجه إلى هيوميس Huemoz حيث تصطف شاليهات اللابرى ـ وكانت تجلس بجانبى طالبة أمريكية ـ كانت فى طريقها لزيارة اللابرى ـ لكنها كانت تبدو على استعداد للقاء هام. وعندما وصلنا للشاليه كان شيفر فى بيته يستريح ـ وكانت فرصة كبيرة لكى أتجول فى المكان.. قضيت أول يوم حول اللابرى نفسه.. حيث شاهدت مجموعة الشاليهات المتناثرة حول هيوميس.. وبدا لى الطلبة جادين.. وكانت غالبيتهم من الولايات المتحدة وأوروبا وكندا واستراليا.. وكان الجميع متلهفون لجلسة المناقشة..

وكان عدد من المسيحيين قد أتوا لزيارة اللابرى ليتدربوا كيف يقودون غيرهم للمسيح، وكما أخبرنى أحد الخدام فى اللابرى (إليس بوتر Ellis Potter) وهو راهب بوذى سابق ـ قبل الخلاص بيسوع المسيح).. أن خدمته فى اللابرى أساساً هى تعليم الناس وتدريبهم على التفكير فى محاولة لإيجاد حلول للمشاكل المحيطة.

وخلال زيارتى ـ قابلت أحد الطلبة الأمريكيين ـ يدعى ـ توم ـ وكان يدرس بكلية الفنون الجميلة بأسبانيا ، وفتاة أخرى تخرجت من كلية العلوم ـ كنساس. قضت هذه الطالبة معظم شبابها فى أوروبا وكانت تستعد لعمل بحث ميدانى فى الولايات المتحدة، وقد جاءت هنا لزيارة اللابرى بهدف دراسة العلاقة بين الإيمان المسيحى وبين العلم وذلك قبل ذهابها لباريس حيث كانت ستشترك مع فريق الـ IFES الكرازى للطلبة المغتربين.. وقد كانت هذه الطالبة مستمتعة بوجودها فى سويسرا ، وكان أكثر ما شد انتباهها الى اللابرى هو شخصية شيفر صاحب العقلية العلمية والذى كان يساعدها فى دراستها هذه.

وكان الطلبة فى اللابرى معتادين على ارتياد المكتبة كل يوم ـ فى الصباح يأخذون التعليم والمحاضرات، وفى المساء يجتمعون للمناقشة وتبادل الأفكار..

ثم جاءتنى الأخبار باستعداد شيفر لاستقبالى.. فى صباح ذلك اليوم ـ استيقظت مبكراً وتأهبت لمقابلته ـ كان فى انتظارى وقابلنى بتحية حارة ـ كان شيفر يرتدى الزى السويسرى التقليدى ذو القلنسوة الشهيرة.. وكان يبدو عليه كرم الأخلاق والحزم والجدية..

بدأنا الحوار بحديث قصير عن جدى مارتن چونز ـ وكنا نجلس أمام

النار فى الدور السفلى من منزله..

دار معظم حديثنا عن الجزء الأكبر كما دونته فى مقدمة هذا الفصل.. وقضينا معاً ساعات طويلة من النهار فى الحديث عن ذكريات الماضى وعن مواضيع أخرى معاصرة.. كان عقله يقظ ومتقد كما كان دائماً بالرغم من تقدمه فى العمر.. لكنه بدا عليه الوهن عن ذى قبل عندما بدأ خدمته على قمم جبال سويسرا.. وكان ينظر للنيران بين الحينة والأخرى.. ثم يقوم ليضيف قطعة خشب لتحمية النيران، ثم يعود ليسرد بعض تفاصيل ووقائع حياته أو يعرض بعض أفكاره اللاهوتية..

استشعرت من شيفر دفء مشاعره ـ وده ـ وبساطته ـ ومع ذلك فقد كان شخصاً جاداً إلا أنه كان يملك روح فكاهة قريبة الشبه جداً من جدى ـ مارتن ليود چونز.

وعندما جاء يوم الأحد التالى ـ وهو يوم تقام فيه مراسم خاصة على الغداء.. ويستمر بطول النهار حتى الخامسة مساءً.. كانت مدام شيفر هى المسئولة عن إعداد الطعام وترتيب الموائد، وجلس شيفر كالعادة على رأس الطاولة بينما جلس الطلبة من حوله، وكنت أنا قريباً منه.. لكنه كان واضحاً لكل الجالسين.

وبالرغم من روعة كل شئ فى المكان.. إلا أن الجميع كان بشخص إلى شيفر.. وبدأت المناقشة.. كان الحديث ينتقل من موضوع لآخر.. تارة عن الفيزياء ثم إلى قصة إسحق وإبراهيم.. وقد لفت هذا الموضوع الأخير انتباه بعض الطلبة وكان بعضهم يتساءلون.. لماذا سأل الله إبراهيم أن يقدم ابنه إسحق على المذبح؟! فردت بيكى (طالبة كنساس) إن إسحق هو رمز لموت المسيح والخروف هو الرمز الثانى لموت المسيح الكفارى (كشاة تساق إلى الذبح).. ويسوع الابن الوحيد هو أيضاً حمل الله المذبوح لأجل خطايا العالم.. هكذا الأمر ببساطة..

ثم نظر الطلبة لشيفر منتظرين تعليقه.. فابتدأ يقول : "إن قصة إبراهيم وتقديم ابنه إسحق هى فقط ظلال خفيفة تشير لموت المسيح وفدائه عنا".

كانت هناك دائماً طريقتان يتبعهما شيفر فى إجابته :

الأولى : إجابة بسيطة مباشرة من الإنجيل ـ ذلك ـ إذا كان السؤال المطروح نفسه بسيطاً..

والثانية : فى حالة ما إذا كان السؤال متعلقاً بالعلم أومجالاً معقداً ـ غير روحى يتطلب مرحلة تمهيدية فى الإجابة.. وهنا تكون عادة إجابة

شيفر مطولة يبدأها ببرهان علمى منطقى يقوده بعد ذلك لتقديم رسالة الإنجيل والخلاص بيسوع المسيح..

هذه الحقيقة ـ أكدها لى چومارتن ، أوز چنييس Os Giuness بأن شيفر كان دائماً يصل للناس عند مستواهم وبالطريقة التى تتناسب مع خلفية واحتياج كل منهم.

انتهى العشاء فى تمام الخامسة والنصف مساءً.. وعاد الطلبة إلى منازلهم ـ بينما ظللت أنا وحدى فى المكتبة بالدور العلوى أرتب أفكارى وأعيد صياغة الأحاديث التى حضرتها طوال اليوم. وكانت المكتبة تضم العديد من الكتب بجانب المجلات وبعض السجاجيد المنسوجة وبعض لوحات فرانكى شيفر الشهيرة..

ثم جلست مع شيفر لبعض الوقت فى غرفته الخاصة بمنزله نطرق أحوال العالم والسياسة وكيف أن كثيرين من مسيحيى العصر يفتقدون إدراكهم لخطر التكتلية على المجتمع..

ثم حان وقت الذهاب.. وودعنى شيفر وغادرت اللابرى..

بعد زيارتى بأحد عشر شهراً ـ ساءت أحوال شيفر الصحية كثيراً ـ فغادر بيته فى سويسرا وجاء ليقيم فى الولايات المتحدة وليستأنف بقية

رحلته بالقرب من إحدى مراكز العلاج.. وقد جعلنى هذا أشعر كم كانت زيارتى ذات توقيت مهم.

ثم شفى شيفر من مرضه الذى كان يودى بحياته فى يناير ١٩٨٤، بعدها قام شيفر برحلة طويلة بعد أن نشر آخر كتاب له تحت عنوان "أكبر مأساة مسيحية" وقد عرض أيضاً فيلم له بنفس العنوان..

وبعد عودته إلى الولايات المتحدة - عاوده مرض السرطان فبقى عدة أسابيع أخرى تحت العلاج - ثم غادرها وعاد إلى منزله - خلال تلك الفترة - جاءتِ عائلته لتزوره - وكانت آخر كلماته لهم "نعمته تكفى" - بعدها أسلم الروح. وكان ذلك فى صباح ١٥ مايو من عام ١٩٨٤.. ودفن فى روشستر - منيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية - وحضر جنازته مئات من الشباب والرجال والنساء.

يعد شيفر بحق أحد أعظم أنبياء (متنبئى) العصر الحالى.. حيث سطا العالم الدنيوى على كل شئ بالمجتمع.. وقد قضى شيفر حياته فى صراع دائم ضد العالم ليثبت قدرة الحق الإلهى المعلن من خلال الإنجيل - على تسديد كل احتياج البشر فى عصرنا الحالى - كما كان فى العصور الماضية أيضاً.

وبينما خاف الكثيرون وارتدوا عن المقاومة.. تقدم شيفر للأمام وأخذ مكانه فى الصفوف الأولى ليشترك فى المعركة.. هم رأوا السلبيات وشرور العالم.. أما هو.. فقد ظل يدرس ويبحث حتى استطاع أن يصل لجذور المشاكل الأصلية ثم بدأ يفكر كيف يمكن علاجها.. لم يكن شيفر يخاف على الإطلاق من مواجهة العالم بكل صراعاته ومشكلاته.. لأنه كان يؤمن بأن المسيح قادر على التصدى لها..

وقد أدرك شيفر أن الآراء والحركات الانفصالية ما هى إلا جزء من النظام الذى يساهم فى بناء إنسان ميت وعالم ساقط لا يقبل ولا يعترف بوجود الله.. كان البعض يحارب النتائج السلبية.. أما شيفر فقد كان يعمل من الأصل.. يقتلع الجذور الفاسدة والمتعفنة..

لقد قدم شيفر مبادئ عملية فى إطار يمكن للمسيحيين أن يضعوا من خلاله فكرهم عن أى موضوع أو مشكلة وفى أى من مجالات الحياة - ثقافية - فنية - لاهوتية - أو حتى علمية..

وعرف عن طريقه كثير من الشباب ما هو الحق والكمال فى المسيحية..

كان شيفر يؤمن بأن كل الخليقة موضوعة تحت سلطان الرب يسوع..

لذا علينا نحن جسده أن نسترجعها ونصلحها لنقدمها له..

كان شيفر ينادى بأنه ليس هناك ما تعجز المسيحية على اختراقه.. فى الوقت الذى تحول فيه الكثيرون لبناء إيمان مخادع على أفكار منغلقة وفى جهل عن حق الكلمة النبوية.. لقد استطاع شيفر أن يساعد هذا الشباب الصغير الحائر والتائه ليجد هويته ويفهم الحقيقة عن نفسه وعن الله وعن الآخرين.. فى وقت رفضت فيه الكنيسة أن تقبله ككيان حقيقى...

رأى شيفر بكل وضوح أن الفكر الحاضر لكم هو مختلف عن الماضى.. وأن الثقافة الغربية التى بنيت على إيمان عالمى بحت وقيم غير مسيحية هو أساس فساد المجتمع الغربى.. فغابت الأخلاق والمبادىء ولم يعد للخطية أى معنى للجيل الجديد من الشباب حتى إنهم أنكروا وجود الله ذاته.. لكن شيفر أدرك مدى احتياج هذا الجيل لتفهم لغته، وأنهم يحتاجون إلى من يرشدهم للطريق إذ لا طريق لهم.. وكنتيجة لجهود شيفر.. فقد خلص المئات بل الألوف عن طريق اللابرى أو شرائط الكاسيت والفيديو...بعد أن لمسوا الحب المسيحى متمثلاً فى رعايته وحنو قلبه ووضوح الحق فى حياته أكثر من أى شئ آخر..

لقد آمنت عائلة شيفر بالحق وبقيت تحارب لأجله.. قدم شيفر دعوة عاجلة ملحة، وقدم فيها العلاج الشافى المجانى متمثلاً فى الخلاص الذى بيسوع..

(الفصل الثالث)

مارتن لويد چونز Martyn Lloyd - Jones

مارتن لويد چونز فى كلمات :

فى عام (١٨٩٩)... ولد فى العشرين من ديسمبر وعاش فى ويلز

(١٩١٤)... انتقلت الأسرة إلى لندن.

(١٩١٦)... بدأ يتدرب فى مجال الطب فى مستشفى بارثلميو فى لندن.

(١٩٢١)... عمل كطبيب.

(١٩٢٧)... تزوج من بشيان فيليبس ورزق بابنتين (اليزانيث وآن) - دعى إلى الإرسالية وذهب إلى ابرافون فى جنوب ويلز كراعى.

(١٩٣٨)... دعى لرابطة الإرسالية فى كنيسة ويستمنستر..

(١٩٤٣)... أسس أخوية ويستمنستر.

(١٩٤٧)... أسس وأصبح رئيساً لرابطة الطلاب الإنجيلية العالمية.

(١٩٦٨)... خدم فى هذا المجال حتى ١٩٥٩ - وتقاعد من وظيفته فى الويستمنستر ثم ركز فى تحويل عظاته إلى كتب.

(١٩٨٠)... آخر عظة ألقاها.

(١٩٨١)... توفى فى يوم الأحد، ١- مارس.

ولد مـارتن لويـد چونز الـواعظ والراعى فـى العـشـرين من ديسـمـبـر ١٨٩٩ ـ وهو الابن الثـانى لهنرى وماجدولين. قضى حيـاته وسط جمال الطبيـعـة فى مـقـاطعـة ويلز فى كـارديف حيث ترجع أصـوله هناك ـ فى التـلال والمزارع والقـرى ، يتـحـدث أهلهـا لـهـجـة الويـيلشـن.. وكـانوا مجموعة منغلقة وغير مفتوحة على الخارج.

وبالرغم مـن أن مارتن چونز قد قـضى مـعظم حيـاته فى لندن إلا أنه يفـتـخـر دائمـاً بأصله من ويلز. فى عـام ١٩٠٥ انتـقل مع أسـرته ـ أبواه وإخوته هارولد وڤيـڤسنت الى لانجيستو ـ وهى بلدة صغيرة، وعظ فيها الدينى الكبير دانيال رولاند في القرن الثامن عشر... وعلى حد علمه وثقافته كان لابد لهنرى چونز (والد مارتن) أن يكون خريج جامعى.. لكن الدراسات العليـا فى ذلك الوقت كـانت تتطلب الكثيـر من المال، لذلك فقد ربى هنرى أولاده الثلاثة على جو مفتوح من المناقشة والحوار.. وهنرى چونز نفسـه يعتـبر شخصيـة متـحررة.. لكنه لم يكن مثل ابنه مارتن الذى ساند حركـة الثائرالأصولى ديفيـد لويد. وقد دافع مارتن أيضاً عن اللاهوت الحديث حيث مزج فيـه الحركة الاجتماعيـة مع غيـر الملتزمين بتقاليد الكنيسة..

أمـا زوجتـه فـهـى من أسرة ريـفـيـة عـريقـة ـ لـكنهـا لم تكن

مسيحية... كانت طفولة مارتن سعيدة.. ففى البداية كان مغرماً بكرة القدم حتى إنه كان يهمل واجباته وأعماله المدرسية.. وقد أكد مارتن چونز أن هذه القرى الصغيرة التى تربى ونشأ بها قد أخرجت شخصيات عظيمة.

وكان مارتن يعشق زيارة جدته التى كانت تملك مزرعة كبيرة مترامية الأطراف، وكان يحب ركوب الخيل.. وكثيراً ما كان يفتقد هذه الأيام..إلا أن كل اللحظات السعيدة قد تحولت فجأة إلى رعب شديد، فقد اشتعلت النيران فى مستودع العائلة.. بينما نجا مارتن الذى استطاع الفرار من النافذة العلوية للمستودع.

ومنذ ذلك الحين تغيرت حياة مارتن تماماً ـ فبدأ يهتم بدراسته لدرجة أنه حصل على منحة دراسية ـ والتحق مارتن بالمدرسة المتوسطة فى مدينة ترجارون لكن بعد المسافة بين البيت والمدرسة جعله يعدل عن فكرة الدراسة ـ ثم ذهب مارتن ليقيم مع أخوه الأكبر فى المدينة ـ ويذكر چونز هذه الـ ٣ سنوات التى قضاها فى المدينة أنها تعد من أسوأ سنوات حياته.

فى أيام الدراسة.. ازدهرت مواهبه وقدراته وتطورت كثيراً.. وبدأت تظهر قدراته الفائقة.. وكان من أفضل وأقرب الأساتذة المحببين لقلبه

أستاذ مادة التاريخ.. ولهذا كان مارتن دائما يشجع المؤمنين الشباب أن يتعلموا كل شئ عن تاريخ الكنيسة - ليس فقط لدراسة الماضى أو حتى لتجنب الأخطاء السابقة بل أيضاً لكى يعرف المسيحيون كيف افتقد الله الكنيسة وشعبه من خلال حركة الإصلاح - وحركة البيوريتان Puritans حيث قامت بنهضة فى القرن الثامن عشر.

فى سنة ١٩١٣ زار المؤسسات الصيفية للميثودست الكالفينيين فى لنجيشو.. وقد أطلق على مارتن چونز لقب آخر أعظم المبشرين الميثوديست بمزجه حب الحق للعقيدة الفكرية الكلفينية مع قوة حماس النهضة الميثودستية التى قامت فى القرن الثامن عشر..

وفى عام ١٩١٤.. تعرضت عائلة مارتن چونز لأزمة شديدة إثر إفلاس والده.. ولولا تدخلات العناية الإلهية لكانت الأسرة هاجرت إلى كندا.. لكنهم ما لبثوا أن انتقلوا فقط إلى لندن.. حيث استطاع هنرى أن يؤسس عملاً جديداً هناك..

وفى البداية لم تكن الأمور مشجعة.. فكان مارتن يوشك على العمل فى مصرف بنك لكن الظروف التجارية تحسنت فى حى ريچينس وأصبحت الفرصة سانحة للتجارة.. واستطاع مارتن أن يستأنف دراسته فى مدرسة سانت ميرى لوبون للنحو.. حيث أعد نفسه لدراسة

مهنة الطب..

وفى ذلك الوقت - أعرضت عائلته عن حضور اجتماعات كنيسة ويستمنستر (والتى أصبح راعياً لهذه الكنيسة فيما بعد ولمدة استمرت أكثر من ثلاثين عاماً).. وفضلت حضور اجتماعات كنيسة ويلسُ.. حيث كانت العائلة تجلس (فى أول زيارة لهذه الكنيسة) فى أول الأول بمقابل عائلة فيليبس - الجراح الشهير - توم فيليبس حيث لمح مارتن ابنته بثيان ڤيليبس والتى لم تكن تتوقع بزواجها من الفتى مارتن ليود چونز فيما بعد..

كان مارتن يقضى معظم وقته فى ساحة هاوس أوف كومونز - House of Commons حيث كان مولعاً بالسياسة وبمشاهدة بطله المفضل وغيره من القياديين العظماء.. لكنه فقد ثقته تماماً فى قدرة تغيير البرلمان للعالم بعدما فشل الليبراليون فى تحقيق أهدافهم المرجوة.. وهو الأمر الذى أعد مارتن چونز فيما بعد لإعلانه أن الحل الوحيد يوجد فقط فى الإنجيل.

التحق مارتن چونز بواحدة من أعظم المدارس التعليمية للطب هى "مستشفى سانت بارثيماوس".. وتعلم على يد واحد من أعظم وأشهر الأطباء هو سير توماس "Sir Thomas" ومن بعده "لورد هوردر" الذى

وصفه چونز بأنه كان من أدق المفكرين الذين عرفتهم فى حياتى..

...تعلم مارتن چونز أولى مبادئ التفكير المنطقى خلال دراسته مع دكتور هوردر.. الذى كان من أعظم أخصائى التشخيص فى بريطانيا.. كان هوردر يعلم الطلبة كيفية جمع وتسجيل الحقائق.. وكيفية ربطها للوصول إلى استنتاج سليم فى التشخيص.. كان يعلمهم أن يلتزموا بالمبادىء الأولية وألا يتسرعوا فى الحصول على النتائج.. وقد زرع داخلهم أسلوب سقراط ـ الفيلسوف اليونانى والذى يدور محوره حول كيفية توجيه الأسئلة الصائبة والمحددة ومدى أهمية التفكير المنطقى للتدريب على العلاج الفعال..

وكان لورد هوردر... يحب مارتن چونز ويقربه كثيراً إلى قلبه... وقد كافأه ذات مرة... وأعطاه "مبادىء العلوم".

اكتسب مارتن چونز الحس العاطفى الشديد من خلفيته البيئية فى "ولسُ" حيث كان قوم الولسُ شديدى العاطفية.. وكانت هذه نقطة ضعف الكثيرين من وعاظ الولسُ ـ ألا وهو افتقادهم للعمق.. أما مارتن چونز فقد جمع فى شخصيته كلاً من العاطفة بجانب القدرة الفكرية على المنطق والحجة، وهذا ما كان يميز عظاته بعد ذلك من قوة فى تقديم وعرض الحق حول أزمة الإنسان الحقيقية فى بعده عن الله... حيث رأى

مارتن أن الإنجيل هو الإجابة الوحيدة الحقيقية القادرة على إنقاذ البشرية من كل معاناتها ، وأن أية نوع من الإصلاحات الاجتماعية أو الفكرية لن تفيد شيئاً..

وقد أقر مارتن چونز أن دراسته للطب على يد الدكتور هوارد قد شجعه كثيراً على احتراف الوعظ فيما بعد واستخدام الأساليب السقراطية التحليلية والتشخيصية والتى هيأت منه ليكون راعياً بارعاً فى الكنيسة حيث كان قادراً على تشخيص كلاً من المرض النفسى والجسدى..

ويحكى كثير من خدام الكنيسة الذين كانوا يلجأون لطلب النصح والإرشاد منه.. أنه لم يكن يقدم لهم الإجابة على أسئلتهم فحسب ـ بل كان يقودهم إلى كيفية التفكير العقلانى المنطقى إزاء مشاكلهم، وكان هذا أكثر ما أفادهم وساعدهم بطريقة إيجابية على معرفة اكتشاف حقيقة موقفهم ليستطيعوا بعد ذلك أن يتخطوا العقبات الآن وبعد ذلك فى المستقبل.

وقد ظل مارتن چونز مهتماً بقراءة كل ما يتوصل إليه الطب يوماً بعد يوم.. وبرغم أنه لم يزاول مهنة الطب إذ تفرغ لخدمة الكنيسة والإنجيل ، لكنه ظل مستشار طبى لأسرته وأقاربه.. حتى نهاية

السبعينات.. إنما كان يعد بحق طبيباً روحياً خلال مدة خدمته فى الكنيسة..

حصل مارتن چونز على بكالوريوس الطب والجراحة عام١٩٢١ ثم حصل على الدكتوراه نتيجة جهوده ودراساته فى التشخيص الصحيح ثم أصبح بعدها عضواً فى الكلية الملكية البريطانية للأطباء ـ وخلال تلك الفترة ـ قابل ـ دكتور هوردر.. وبعد عامين أصبح مارتن چونز مساعده ومعاونه الأول في العيادة.. واستطاع بفضل تقدمه الساحق في دراسة الطب أن يحصل على العديد من المنح الدراسية فى مجال القلب وأمراضه... لكن الطب بدأ بفقد بريقه فى عينى مارتن چونز بعدما أدرك مارتن چونز خلو الطب (كعلم فى ذاته) من المبادئ والأخلاق الدينية فى كثير من الأساسيات السقراطية التى كان هوردرد يعلمها.. ثم وفاة والده، ومصرع أخيه فى مقتبل حياته.. كل هذا جعله يدرك حقيقة الحياة الزائلة، وجعلته هذه الأمور يرى مدى فقره الروحى أمام الله وأنه برغم كل العلم الذى حصل عليه إلا أنه كان "ميتاً" روحياً.. وكان فى البداية يهرب من المواجهة لكنه مالبث أن عاد وطلب الغفران..

وهذا التغيير الجذرى فى حياة مارتن چونز ـ ظهر بوضوح خلال ثلاثة

محاضرات ألقاها فى كنيسة ولسُ.. ففى عام ١٩٢١ تحدث عن التعليم الحديث ـ ثم تبعها فى عام ١٩٢٤ بمحاضرة عن "علامات الأيام" والذى كان يهاجم فيه الموضة الحديثة.. وكانت من أقرب الناس إليه فى تلك الفترة هى بثيان فيليبس (التى أصبحت زوجته فيما بعد).. ثم عاد فى عام ١٩٢٥ ليلقى محاضرة أخرى عن "مأساة الويلز الحديث" حيث عرض فيها الاحتياج الروحى للمسيحية الحقيقية وأن المسيحية هى الإجابة لجميع مشاكل العصر.. لكن المجتمع لم يقبل فكرته هذه وبدأ يقاومه البعض.. مما جعله يتأكد من دعوته فى إعلان الحق..

وقدم مارتن چونز عظته الأولى فى عام ١٩٢٥ ـ وكانت من أبرز العظات التى قدمت فى ذلك الوقت ، وقد بين چونز أنه إذا كانت الحركة الاجتماعية لها أهميتها وأثرها.. لكن ما يحتاجه عالم اليوم إنما إلى "الصحوة الروحية" ـ لكنه استمر فى دراسة الطب إذا لم يشعر أن دعوته قد حانت بعد.. تأكدت الأمور فى عام ١٩٢٦.. عندما شعر بيد الله هى التى تحمله وتقوده وتفرزه للخدمة.. وفى نفس العام ـ دعى ـ ليكون خادماً فى إرسالية الكنيسة. وفى كتابه "الوعظ والوعاظ" أكد مارتن چونز أن الخادم هو شخص مختار ـ مدعو للخدمة ـ بسلطان محدد من الله.. وأنه لابد وأن تكون لديه مواهب طبيعية ضرورية ـ فى ذلك: الذهن الحاضر ـ الشخصية المميزة والامتلاء من الروح القدوس...

والواعظ لابد أن يكون شخصاً لبقاً فى الحديث ـ وبلياقة ـ لديه اهتمام واضح بكل الذين يفتقدون الحياة الروحية فى حياتهم.. وأن الوعاظ لا يقررون بأنفسهم إنما الكنيسة هى التى تفرزهم وتختارهم.

لم يكن مارتن چونز ذو دراسة لاهوتية سابقة ـ وكان دائماً يقول ـ إن الخادم ليس تلميذاً متميزاً فقط فى العلوم و الدراسات الأكاديمية ـ أو حتى فى دراسة الكتاب المقدس واليونانية.. بالرغم من أهمية أن يكون الخادم والراعى على درجة كبيرة من العلم والثقافة.. إلا أن الوعظ فى حد ذاته يحتاج أولاً إلى نعمة من الله.. لأن العلم (مع الإكثار منه) قد تكون له آثاره الضارة..

وبعد أن أصبح قسيساً ـ أسس هو وأصدقاؤه "مدرسة لندن اللاهوتية"..

..وفى عام ١٩٢٧.. تزوج مارتن چونز من بثيان ڤيليبس والذى ظل معجباً بها لمدة ٩ سنوات.. وأخيراً استجابت لندائه وتزوجا. حيث أصبح كل منهما مكملاً للآخر وذا عون وتقوية لبعضهما البعض فى المهمة الصعبة التى كانت موضوعة أمامهما...

الأيام الأولى في ساندفيلد :

كانت الخدمة فى ساندفيلد ضعيفة جداً وفقيرة روحياً.. وبرغم من نشاطاتها الاجتماعية الملحوظة وبعض الشخصيات المعروفة الذين أخرجتهم لحيز الوجود - إلا أن الكنيسة فى ذاتها لم تكن ناجحة، ولذلك عندما تولى مارتن چونز الخدمة فى الكنيسة قام بإلغاء - كل الأنشطة الاجتماعية والترفيهية وأعلن أن الواعظ فى الكنيسة ليست مهمته الترفيه - إنما فى اقتياد الناس للتوبة - وأن يعلمهم كيف يجدون الله.. وأن الوعظ هو الذى سيأتى بالناس للكنيسة ، وليست الأنشطة الاجتماعية.. وكان دائماً يؤمن بحق كل إنسان، دنئ أو كريم، صالح أو شرير فى الاستماع للوعظ لأن نعمة الخلاص مفتوحة حتى لأنجس الخطاة...

ابراڤون :

رفض مارتن چونز أن يكون نسخة لمن سبقه من الوعاظ المحليين.. بل كان مختلفاً ومتميزاً منذ البداية.. لم يكن عاطفياً ولا لاهوتياً متحرراً.. بل تبنى المبدأ الطبى الذى تعلمه وتمرس فيه، وهو أن المستمعين كانوا كالمرضى.. وكان هو يقدم الشفاء عن طريق رسالة الخلاص العاجلة.. لم يستخدم مارتن چونز أسلوب النكات (الفكاهة)

أو الأفكار الشخصية فى الوعظ.. إذ كان يشعر أن هذه الأساليب بعيدة عن مجد الله وتشتت المستمع بعيداً عن جدية الرسالة التى تقدمها العظة..

كان مارتن چونز يؤمن بأن الإنجيل هو الحقيقة ـ وهو غير مؤسس على اختبار أو تجربة فى حد ذاتها، كما بنى البعض اعتقاداتهم الخاطئة على هذه الحقيقة.

..وكان الوعظ يشكل الأسلوب الذى اتبعه طيلة حياته فى الخدمة.. التى كانت مؤسسة دائماً على الكتاب المقدس لكنها كانت أيضاً قريبة وموائمة مع العصر الحديث.. لم تكن عاطفية بل كانت عقلانية ـ منطقية ـ لكن تأثيرها كان عاطفياً (يتلامس مع قلوب الناس) وكانت عظاته متواكبة مع الأحداث المعاصرة..

..وكان يعتقد مارتن چونز بعمق أن الطبقة العاملة من المجتمع لهم القدرة كغيرهم من الذين نالوا قسطاً وفيراً من التعليم ـ على حق مناقشة أمور الكتاب المقدس.. بل أن هؤلاء لديهم فهماً أعمق وأفضل للحقائق العقائدية أو اللاهوتية أفضل من أساتذة العلم.. وكانت طريقته فى القيادة مشابهة لحد كبير الأسلوب الذى تعلمه فى دراسة الطب على يد هوردر ـ ونقصد به الأسلوب التشخيصى ـ حيث كان يساعد الناس على

معرفة حقيقة مشكلتهم، ثم يبحث لهم عن المخرج فى الكتاب المقدس.. كان يجعلهم يتبعون المنطق.. وبسبب اتساع معرفته الكتابية.. كان يقتادهم للمسار الصحيح فى الحق بالإنجيل.

وقد تعلم كثير من المسيحيين العاديين كيفية مواجهة المتاعب والأزمات الروحية - كما علم چونز - أن لا يهربوا من المشكلة - بل أن يتواجهوا معها من منطلق الحق الكتابى..

..وكان مارتن چونز يثق ويؤمن أن الخلاص ليس مجهوداً أو عملاً بشرياً.. بل هو عمل الله .. ونتيجة لعظاته القوية والفعالة.. قبل الكثيرون طريق الخلاص بيسوع المسيح..

وكان مارتن چونز يعظ بقوة التغيير الذى يصنعه الحق فى حياة الخاطىء - كافى ستاموزد شايربيك الذى كان سكيراً.. لكنه قبل المسيح.. ومات كمسيحى لامع ومضىء.. كان چونز يقدم هذه الاختبارات كبرهان على عمل الصليب والتوبة.. والذى كان يؤثر فى حياة كثيرين...

لم يكن مارتن چونز واعظاً ناجحاً فحسب، بل كان طبيباً ماهراً أيضاً إذ كان يشخص كثيراً من الحالات المرضية التى يقف أمامها زملاؤه

الأطباء عاجزين عن تشخيصها حتى إن البعض أصبح يغار منه ويرفضه ـ لكنه وضح لهم أنه لا يعتزم المنافسة مما جعله موضع حب وثقة لكثيرين منهم وأتاح له فرصة الكرازة بالإنجيل وتقديم الشفاء الوحيد في يسوع.

كندا :

ذاع صيت د.مارتن ليود چونز فى كل مكان وبخاصة فى ويلز.. حيث كان يرغب الجميع فى سماع عظاته لأنها سهلة ومفهومة للجميع على اختلافهم وتباينهم الثقافى والروحى والاجتماعى.. فضلاً عن أسلوب وعظه المقنع..

..وفى عام ١٩٣٢ دعى للوعظ فى كندا لأول مرة فى حياته.. ـ فى كنيسة تورنتو ـ دعاه إليها دكتور ريتشارد (كان من طائفة الميثودست ثم تحول بعد ذلك ليصبح مسيحياً ليبرالياً)..

كان مارتن يؤكد بصفة دائمة على إيجابية الإنجيل إذ كان يرفض العدوانية.. ويؤكد على إيجابية إعلان الحق بفكر وروح مسيحية وليس بروح العالم أو المادة.. وكان يؤمن بأهمية التعقل مع المسيحيين الذين يختلفون معه فى الرأى والعقيدة.. ومن المهم جداً أن نوضح تلك الحقيقة لأن الكثيرين قد انتقدوه بعد موته حيث اتهموة بأن أكثر الأمور التى

كان ضدها هي الأمور التي كان يوافق عليها.. إلا أن عظات مارتن جونز كانت تبين بوضوح شديد أهمية تدارك الخطأ لعلاج الأمور الملتوية.. وأهمية ذلك أكثر من مجرد رفض الخطأ بأسلوب عقلي شديد...

بعد تورنتو.. دعي ليحضر مؤتمراً لكبار الوعّاظ المعروفين في الولايات المتحدة.. ولكنه حظي بقبول شديد في الكنيسة التي احتشد فيها حوالي ٦٠٠٠ شخص.

بداية العمل الطلاّبي :

في عام ١٩٣٥ ـ بدأ مارتن جونز عمله مع (INTER VARSITY FELLOWSHIP IVF) ـ والتي أصبحت الآن باسم UCCF والتي تأسست أساسًا عام ١٩٢٧ بواسطة نخبة كبيرة من المؤمنين متعددي الطوائف ـ وكان هدفهم.. توحيد الطلبة المسيحيين من كل الجامعات والمدارس الطبية في مجتمع مسيحي واحد..

وقد طلب السكرتير العام لأعمال هذه المنظمة ـ دوجلاس جونسون ـ من مارتن أن يلقي خدمة هناك ـ وقد تردد مارتن جونز كثيراً بسبب اختلاف أسلوب وعظه بالنسبة لغالبيتهم وعدم رضاه عن بعض جوانبهم

الفكرية والروحية مثل عدم الاعتراف بالعقلانية والانصياع نحو العواطف.. إلا أنه قبل العرض أخيراً.. الأمر الذى كان له أكبر الأثر فى اختياره ليكون بمثابة الرئيس وكان ذلك فى عام ١٩٣٩.

وفى أثناء تلك الفترة.. كان الطلبة الإنجيليون بمثابة الأقلية بالنسبة للطلبة المتحررين (طلاب الحركة التحررية) بل وكانوا يخافون منهم.. مما أدى إلى تقاعسهم وأصبحت الرياضة والتجريبية هى بؤرة اهتمامهم - وأخذوا موقفاً معادياً للمسيحية الفكرية، ولم يكن لديهم أى نشاط يذكر فى مجال الكرازة.. وقد اعترض مارتن چونز على هذا الاتجاه بشدة لكنه لم يكتف بذلك بل تدخل فى الأمر وصحح لهم المفاهيم وعدّل لهم النظريات مجدداً هواء الروح فى مؤسسة الـ IVF - الأمر الذى أكسبها أهميتها العظمى كعامل مسيحى نشط داخل كل جامعة.

فقد أعطاهم د. مارتن عقيدة راسخة كانوا فى أشد الاحتياج إليها.. وعلمهم طريقة التفكير السليم مشجعاً إياهم عدم الخوف بمجاهرتها فى الوسط العام.. وأزال منهم المعتقدات المنغلقة بل وعلمهم كيف يطوعون الإيمان المسيحى لكل المواضيع التى يدرسونها.. وكان بالنسبة لطلبة الفنون والأدب ذا عون كبير فى تعريفهم أن دراستهم ستخدم القضية المسيحية طالما لم تتعارض مع مبادئها..

وكان دكتور مارتن ضد الفكرة التى نادى بها البعض بأن المسيحى إما أن يكون دكتوراً أو خادماً أو مرسلاً وحسب.. إذ أعرض هؤلاء عن أهمية الفكر والعقلانية، والرياضة واحتقار المشاعر لكى تكون مسيحياً عاقلاً.. وأكثر ما كان يزعجه هو انتشار هذا التيار الفكرى فى المدارس العامة مما كان له بالغ الأثر.. وعلى النقيض.. فكان مسيحيو الولش.. قادرين على التعبير العاطفى .. وكانوا فى نفس الوقت على أساس قوى من العقيدة المسيحية والفكر، وقد أدخل مارتن چونز كخادم ويلش هذه المبادئ على الكنيسة الإنجيلية فحدث ذلك الامتزاج المتكامل..

وكنتيجة لذلك.. تشجع كثير من المسيحيين على دراسة القانون والعمل فى الصناعة بجانب من كانت رغبته تجاه الطب أو التفرغ للعمل المسيحى.. بالإضافة إلى ذلك، فقد ساند د. مارتن العديد من الخدمات خارج بريطانيا نذكر منها الـ OMF (مؤسسة صينية للعمل المسيحى) كما كان ذا أثر عظيم فى عضوية الأطباء البريطانيين وطالما حاضر فى اجتماعاتها، وكان دائماً مشغولاً بقضاياهم وعلى استعداد دائم لتقديم النصح لهم..

قرارات :

كان هدف د. ليود چونز فى حياته كلها هو الاحتياج للنهضة الروحية.. وقد أطلقت عليه الصحافة المحلية بأنه أعظم مبشر (واعظ) منذ نهضة ويلش عام ١٩٠٤. إلا أنه كما صرح أمام الـ ٧٠٠٠ شخص الذين جاءوا لسماعه عام ١٩٣٥ فى اجتماع دانيال رولاندز ـ أن ويلز قد نسيت الأساسيات التى تقوم عليها النهضات. أو كما قال (ألبرت هال من نفس العام إنه لا يمكن خلق نهضة صناعية! .. لقد أصبحت الكرازة اليوم ممتلئة بالنتائج، ولم تنجح عملية الإقرار كبديل عن الوعظ بالحق ببساطة وبجرأة..

لقد تعود د. چونز على إلقاء وعظه أمسية كل أحد.. وكانت جموع كثيرة تسلم حياتها للمسيح.. بالرغم من أنه لم يكن يوجه نداء خاصاً للتوبة لكنه حيثما تقدم البشارة بأمانة.. حينئذ يعمل الله بقوة فى قلب الخطاة..

لقد نجح وعظه جداً لـ ٣ أسباب رئيسية هى :

١ ـ أنه كان يعظ للجميع، بغض النظر عن السن أو الطبقة الاجتماعية أو الجنس، لم يختر فئة معينة أبداً ليعظها..

٢ ـ كان يستخدم لغة يفهمها الجميع بغض النظر عن قدرته الذهنية..

٣ ـ وهى الأهم .. كان ممتلئاً بالجدية والوضوح والنقاء وبسلطان واضح بحيث يشد الناس للانتباه لما يقوله ـ كان كلامه منطقياً وفعالاً..

ـ فى عام ١٩٣٧ـ زار د. چونز الولايات المتحدة مرة ثانية وهناك تعرف على كامبل مورجان CAMPBELL MORGAN الذى دعاه ليشاركه فى خدمة كنيسة ويستمنستر إنجلترا، وبالفعل وافق مارتن چونز ومكث هناك لكنه فى نهاية العام شعر بأن الله يدعوه لمغادرة المكان والعودة إلى إنجلترا بعد أن قدم أولى خدماته هناك (فى كنيسة ويستمنستر) عن أهمية العقيدة فى الحياة المسيحية..

كان د. مارتن قد دعى ليكون راعياً لكنيسة ماريليبون المشيخية فى لندن، لكنه رفض لأنه كان يتوقع توليه منصب مدير كلية الميثوديست الكلفينية فى نورث ويلز.. وخلال هذه الفترة التى ذهب فيها لزيارة الولايات المتحدة حيث قضى عدة شهور فى خدمة ويستمنستر، لكنه عاد قبل نهاية نفس العام.

بعد ذلك ـ وفى ديسمبر ـ ألح عليه كامبل بالبقاء فى ويستمنستر

لكنه رفض إذ لم يكن بعد متيقناً بشأن مستقبله - وحدثت الفاجعة.. فقد رفضته الكلية للمنصب المرشح إليه لأن معضده الرئيسى لم يتمكن من اللحاق بالقطار وبالتالى تغيب عن لجنة الانتخاب.. بالإضافة إلى أنهم لم يعجبوا بموقفه القوى والمتشدد عن الوعظ وموقفه الهجومى من اللاهوت الليبرالى المتحرر.

بعد ذلك لم يكن هناك مفر، فقبل دعوة كامبل للخدمة معه فى كنيسة ويستمنستر بالرغم من اختلاف أسلوبهما.. فبينما كان كامبل من أصل أرمنى - يميل للأسلوب التعليمى المبنى على الدراسة - كان چونز - واعظاً - ذو نظرة عريضة - ممتلئاً بنيران الشهادة عن خلاص الله بيسوع المسيح.. (وبالرغم من أنه قريب الشبه جداً من كالفن إلا أنه كان يكره البطاقات، وكان يتفق مع كالڤن فى صحة التعليم الذى قدمه من الإنجيل). وبالرغم من اختلافهما إلا أن علاقة كامبل وچونز ظلت وطيدة بينهما.. فقد كان كلاهما إنجيلياً - يحب الخدمة وهذا أهم ما فى الأمر.

ويشعر البعض أن چونز قد أخطأ بمغادرته ويلز.. لكن هذا ليس صحيحًا. فقد كان باستطاعته أن يؤثر بطريقة أكبر على الكنيسة الإنجيلية فى بريطانيا بصفة عامة وهو فى ويستمنستر بلندن أكثر مما لو بقى فى ويلز - ذلك لأن لندن هى مركز البلاد حيث يقصدها ليس فقط

الإنجليز من كل صوب - بل المسيحيون من كل العالم.

لكنه مع ذلك كان يذهب لكنيسة ويلز بين الحين والآخر ليطمئن على الحالة الروحية هناك.. لقد كان تأثيره هناك كبيراً حتى بعد انتقاله إلى لندن.

بداية العمل الطلابى الدولى :

فى عام ١٩٣٩ أتيحت لمارتن چونز فرصة الاشتراك فى واحد من أكبر التجمعات المسيحية فى القرن العشرين هو - المؤتمر الدولى فى جامعة كامبريدج - والذى قاده بعد ذلك لتأسيس .International. Fellowship of Evangelical Students Ifes

هذه المنظمة التى تعد الأم لعديد من المنظمات الطلابية الأخرى مثل IVCF (USA) Inter Varisity Christian Fellowship, (IVF)، وهى تعد الآن واحدة من أكبر المنظمات الطلابية فى العالم. كما تعد حقاً من أعظم إنجازات د. چونز وبخاصة المعتقدات اللاهوتية التى قدمتها للكنيسة الإنجيلية - وتتلخص رؤية - هدف هذه المنظمة - مركزية المسيح كهدف عام.

وفى عام ١٩٣٩ - انعقد المؤتمر .. قبيل بزوغ حرب جديدة.. وقد

حضر المؤتمر ٨٠٠ طالب و٣٣ أستاذاً جاءوا من مختلف الطوائف والمذاهب، منهم من جاء من كنائس محلية وأخرى من كنائس حرة.. كان هناك طلبة من بلاد معادية لبعضها (على وشك الحرب) مثل إنجلترا وألمانيا.. وعلى عكس الحال فى الخارج.. كان الجميع تحضرهم وحدة واحدة. وفى هذا المؤتمر تكلم د. چونز عن «أصل واحد» The One Essential - والحاجة للمسيح كمخلص وسيد. وقد شعر د. چونز بالتزام وتعهد خاص من نحو الطلبة من كل البلاد خاصة فى ظروف الحرب فى تلك الفترة، خاصة هؤلاء الذين جاءوا من النرويج وكانوا تحت تأثير زعيمهم الكبير أوهالزبى..

إلا أن اندلاع الحرب فى ١٩٣٩ لم تسمح بتحقيق أهداف المؤتمر - لكن الرؤية ظلت موجودة فى قلوب الجميع لتكوين جسد إنجيلى دولى متحد مترابط.

"الكنيسة"

ظل مارتن چونز خادم معاون فى كنيسة ويستمنستر حتى تقاعد كامبل من الخدمة فى عام ١٩٤٣، بعدها أصبح چونز الراعى الأول للكنيسة وظل هناك حتى ١٩٦٨ - وبعكس كثير من القادة المسيحيين الذين ينتقلون إلى لندن فتشوب سمعتهم الروحية الكثير من الغبار، إلا

أن مارتن چونز قد انتشرت سمعته حتى إنه فى عام ١٩٤٧ كان عدد الحاضرين فى الخدمة الصباحية من يوم الأحد حوالى ١٥٠٠ فرد، وفى الخدمة المسائية ٢٠٠٠ شخص فى المتوسط.. وكان السبب كما يقول مارتن چونز إن الوعظ هو اللاهوت الذى يعلنه الخادم وهو ممتلئ بقوة الروح القدوس ومدعو من الله بدعوة خاصة.

والوعظ بالنسبة لمارتن ليود چونز هو كلمة الله معلنة بفكر الله. والواعظ هو رسول المسيح وسلطانه هو من المسيح أيضاً.. الوعظ هو موضوع روحى كامل متكامل ـ والوعظ يختلف عن التعليم والمشاركة.. فالوعظ هنا أساسه الكتاب المقدس، وكما أن الإنجيل وحدة واحدة متكاملة.. الوعظ أيضاً خدمة كاملة متكاملة مبنية على دراسة منظمة فى الكتاب المقدس ـ لها محورها ـ والخادم الكتابى ملم بكل الكتاب، وعليه أن يقرأ الإنجيل مرة واحدة على الأقل كل عام.

وكان چونز يفى آية آية ويقارن الشواهد ببعضها من العهد الجديد والقديم مبيناً أهمية ذلك ـ ثم كيف نطبق الكلمة فى الوقت المعاصر.

كان چونز واحداً من هؤلاء الوعاظ الذين يقدمون الخلاص برسالة كاملة. على أنه كان يرى أن الجميع خطاة ـ حتى المفكرين أو

ذوى القدرات الذهنية العالية ـ ويحتاجون جميعاً لعمل الروح القدوس للتوبة.

ولم يكن چونز يعترف بأن التليفزيون هو سبب عدم قبول الناس للوعظ.. بل أكثر من ذلك ـ فقد كان يؤمن أن الوعظ هو رسالة واحدة لا تتوقف على نوعية الناس لأن الخطية (الانفصال عن الله) فى حد ذاتها هى المشكلة وليست هناك حاجة لمعرفة احتياجات الأفراد الشخصية.

كان مارتن چونز دائماً يشير إلى مجد الله ـ وحب الله لخلاص الإنسان، وكان دائماً يواجه البشر بهذه الحقيقة ويؤكدها لهم بقوة.. وكان چونز يعظ بقوة الحجة والمنطق مستخدماً فى ذلك عقليته العلمية المدربة على التحليل المنطقى المنظم .. وهذا سبب آخر ميز وعظه بأنه منطقى.

كان چونز راعياً أثناء فترات الخدمة الصباحية من يوم الأحد ـ بينما ـ هو كارز (مبشر) فى المساء.. ومن المعروف عنه أنه لم يكن يلجأ إلى التهريج مطلقاً أثناء الخدمة (بالرغم من أنه مرح جداً خارج الوعظ).. فإذا بدأت الخدمة.. وقادها بفترة صلاة طويلة، شعر الجميع بأن كل شئ قد اختلف.. يقول عنه إيرك ـ فايف ـ أمريكى الجنسية ـ ل يعد چونز بحق

«أعظم واعظ فى القرن العشرين».

ويرى چونز أن الواعظ يولد ولا يصنع.. ويكمن سر الوعظ كله فى قوة حضور وسلطان الله من ناحية، ومن أسلوب الواعظ المتميز من جهة أخرى.. ولا يتوقف الأمر أبداً كما فى حالته على صفات بشرية بحق أو أى أمر من ذلك.. لكنه يكمن فى الأسلوب الجاد الذى يعلن حضور الله فى المكان، هذا هو أهم ما فى الأمر..

كان مارتن چونز يؤمن فيما يعظ به ـ وفى أهميته الخلاصية للبشر .. كان چونز يكره الوعظ من منطلق موضوع معين لكنه كان دائماً يميل لنظام عرض مسهب.. ومع ذلك فقد كان چونز قادراً أن يستشهد بأى موضوع يفيد فى تأييد عظته إذ كان مثقفاً وعلى دراية بحالة عصره وما يحدث حوله من المجتمع (لكنه لم يكن يقدم ذلك على سبيل الاستعراض. كما يفعل كثير من واعظى الكنيسة اليوم).. لكنه إن فعل ذلك ـ كان هدفه هو عرض صورة متكاملة عن الحق الذى يعظ به يحمل المستمع على فهمه واستيعابه بقوة.

كان چونز يقرأ كماً كبيراً ومتنوعاً من الكتب فى كلا المجالين الروحى والعالمى.. لأنه كان يرى أن الخادم مطالب بأن يعرف عن كل ما يدور من حوله.. لكنه غير منقاد بروح العالم.

ولم يكن چونز يستخدم أى نوع من الضغط أثناء وعظه أو فى نهاية خدمته الكرازية.. لأنه كان يرى أنه من الخطأ أن يدين إنسان أخاه الإنسان فى أمر خلاصه ـ بأية وسيلة أخرى ـ لأن هذا هو عمل الروح القدوس فى العقل وليس أبداً فى المشاعر ثم بعد ذلك فى الإرادة.

ويعد سر نجاح چونز فى تقديم خدمته هو اتكاله بالكامل على عمل الروح القدس وإيمانه بالحرية التى يطلقها الروح أثناء الوعظ.. وكما يقول إن الوعظ هو تقديم الحق بكل قوة ووضوح ـ هذا أهم شئ لمخاطبة العقل ـ ومن ناحية أخرى.. وبالرغم من أنه دائماً يقدم الحق بالعقل والمنطق لكنه كان يرى أن التواضع أمام الله هو أول طريق الخلاص ـ وكما يرى چونز.. لا يحتاج الواعظ أن يجعل كلامه جذاباً حتى يجذب الناس للمسيح ـ وفى الحقيقة أنه لم يستعمل أياً من الطرق الكرازية المعروفة اليوم لدعوة الناس للتوبة .. لقد كان فقط يعظ بالكلمة بقوة وسلطان..

الشعب..

وقد كان لأسلوب وعظه الذى اتسم بتأييد العقل والعاطفة ـ من منطلق إنجيلى سليم ـ وعلى أهمية وحتمية الخلاص.. أكبر الأثر فى تنوع فئات الشعب الذى أقبل على خدماته يوم الأحد.. فقد جاء أصحاب

الطبقات الراقية والمستوى التعليمى العالى ـ كما جاءوا أيضاً من القرى.. وكانت الكنيسة تمتلئ يوم بعد يوم ـ ليس هذا فحسب إذ كانت خدماته أيضاً تمتلئ من مختلف الجنسيات ـ وكان كثير من أعضاء الكنيسة الصينية فى لندن يحضرون خدمة صباح الأحد.. وغيرهم من الإنجيليين الذين عادوا لبلادهم ليقودوا الكنيسة هناك.. ونذكر من هؤلاء Gohfried Osei-Menash الذى أصبح السكرتير العام لمنظمة الكرازة العالمية Commission for World Evangelization. بل إن أكثر ما جذب هؤلاء الطلبة لخدمات چونز هو أن كلامه كان يخاطب من فى القاعة (بعكس ويلشمان الذى كانت عظاته دائماً تدور حول زوجته وبناته) ـ لقد كان چونز متفهماً وقادراً على الإحساس بمعاناة الشباب من جراء الثقافة الأنجلو ـ ساكسونية Anglo-Saxon وهذا ما جعلهم يقبلون على وعظه بكل حب وامتنان.

كان الجميع من الحاضرين يأتون لأنهم يريدون أن يسمعوا .. وقد تميزت خدماته بعدم العرقية أو التمييز بين لون ولون أو جنس وجنس ـ كان كلامه واحداً لكل البشر .. وهذا ما أكسبه قدرة على التعامل مع الجنسيات المختلفة..

وقد تنوع شعب الكنيسة تنوعاً كبيراً فى خدمات چونز.. فكان هناك

الخدام المدنيون، الأساتذة الجامعيون وأصحاب العقول الضعيفة، الطلبة والعاملون (الموظفون)، الصغير والمسن.. وكان يرحب بأى شخص يرغب فى محادثته بعد العظة. ويقول Roy Gpuydon (إصلاحى شرقى أصبح مدرساً ثم تدرب على يد چونز ليصبح واعظاً فيما بعد) - يقول عن چونز «إنه الأسد فى الساحة.. وحمل وديع بعد الخدمة».

وفى هذا الصدد - يرى چونز أن خبرته السابقة فى مجال الطب قد ساعدته كثيراً على تشخيص الأمراض الروحية بل والجسمية أيضاً أثناء خدمته.. وتعد خدماته الوحيدة من نوعها التى ضمت عدداً من الرجال أكبر من السيدات.

وكان مارتن چونز يقود اجتماعات فى أمسيات يوم الجمعة عن الحياة المسيحية العملية مستخدماً النظرية السقراطية التى كان يتبعها فى أبريڤون - لكنه فى عام ١٩٥٣ زاد عدد الحاضرين حتى قرر أنه ينتقل إلى مكان أكبر ليكفى الحضور.. وقد بدأ چونز دراسته حول العقيدة المسيحية مبتدئاً من رومية وحتى أفسس والتى أصبح يقدمها فى خدمة صباح الآحاد. وقد تحولت هذه الدراسات بعد انتهاء خدمته إلى كتب تمكن المئات بل والآلاف من الحصول عليها ممن كانوا لا يتخيلون أن يسمعوه فى ويستمنستر.

(فى رومية ٧ - كان چونز يعتقد أن الإنسان الذى يتكلم عليه بولس - مسيحى - لكنه بعد ذلك بعد أن أصبح مدركاً لخطيته الشخصية اكتشف أن من يتكلم عليه بولس هنا - هو شخص غير مسيحى - موضوع تحت ثقل الخطية).

كان مارتن چونز لديه قدرة فى تقديم عظة وبنائها على عدد واحد فقط من الآيات.. ذلك لأنه كان على تمام الإدراك للفكرة المحورية فى الآية على أنه لم يكن يستخدم الكتاب فى استعراض أفكاره من شاهد لآخر - لكنه كان قادراً على الوعظ بإسهاب حول نفس الفكرة.. الأمر الذى بكل أسف يفشل فيه كثير من وعاظ اليوم - بينما يفضل هؤلاء تقديم عظاتهم من فقرات طويلة أو أصحاحات، وبهذا يتجنبون مشكلة الخروج عن الشاهد أو الفكرة الأساسية.

الدراسة ـ فى البيت :

وكما ذكرنا من قبل فإن القاعدة العريضة من شعب الكنيسة كان من الطلبة وحديثى التخرج - وكان من بين هؤلاء اثنان قد توليا فيما بعد منصبين مركزيين فى Oliver Barclay &,UCCF وهما كانا شديدى الصلة بدكتور مارتن چونز.. Robin Wells وبالرغم من أنه لم يكن يعظ بصفة خاصة لهؤلاء الطلبة إلا أنه قد أثر فكرياً

وروحياً على شخصية العديد منهم طوال مدة خدمته لهم. فقد علمهم مارتن چونز تقديم وحب العقيدة بجعلها حية وقوية، وثانية فقد علم وبخاصة هؤلاء الطلبة اللاهوتيين عن التمسك بالحق الكتابى بدون خوف عن طريق علاج عقد صغر النفس فى شخصيتهم. وعلمهم الجرأة فى الهجوم وأن هذا الأمر يعد أصلاً كتابياً. وأخيراً فقد علمهم أن يضعوا كل شئ تحت سلطان وقوة عمل الكلمة، وأن يروا المعرفة البشرية المحدودة من خلال الرؤية الإلهية. لقد علم چونز ليس فقط الطلبة بل والشعب أيضاً على منطقية الأمور والحجة بشرط أن يكون هذا على أساس كتابى.

وقاد د. مارتن العديد من الخدمات الجامعية، لكنه لم يفضلها كثيراً بالرغم من استمتاعه بالناحية الرعوية من الخدمة والتى كان يقدمها لهؤلاء الطلبة حيث كانوا يلتفون من حوله بعد انتهاء الخدمة لطلب المشورة والنصح.

رؤية الـ IFES .. بالخارج :

بعد انتهاء الحرب فى عام ١٩٥٤ أصبحت الفرصة سانحة لاستكمال مباحثات الـ IFES والتى كانت قد بدأت فى كامبريدج عام ١٩٣٩.. وتحكى ستاس وودز (السكرتيرة العامة للمنظمة خلال الخمسة والعشرين

عـامـاً الأولـى) أن الـ IFES لم يكن من الممكن أن تبدأ نشاطها لولا وجود مارتن لويد چونز كأحد أعضائها.. فقد وضع أساساً كتابياً قوياً، وقد كان له أكبر الفضل فى رعايته لها ونموها كمنظمة عمل دولية. وبرغم كل مسئولياته الكثيرة.. إلا أنه كان يعطى من وقته وجهده لصالح الـ IFES..

ويعد مارتن چونز هو أول مدير لمنظمة الـ IFES ـ وتذكر وودز أنه كان مديراً حاذقاً وصبوراً لكنه كان فى نفس الوقت يقدر قيمة الوقت ولا يضيعه هباء. كان چونز يعشق القضايا الجادة وكان يحب التشجيع جداً ـ كان ملئ بالثقة.. وبالرغم من هذا كله فقد كان قائداً رائعاً محبوباً.

ومن إحدى أهم مميزات فترات منصبه كمدير عام للـ IFES أنه ـ كان يعقد إجتماعاً لكل الأعضاء (فى اليوم السابق لانعقاد المجلس) ـ حيث يجتمعون معاً للصلاة ومناقشة بعض الأمور من الوجهة اللاهوتية ـ ويستعدون فيه ذهنياً وروحياً.. وقد كانت لهذه الاجتماعات أثر كبير فى القرارات التى كانت تؤخذ فى اليوم التالى بشأن المنظمة.. وقد وضع چونز الأهداف العامة للـ IFES ورؤيتها فى خطوط عريضة وواضحة. وكانت هذه الأهداف النواة الأولى التى قامت عليها الـ (NEUS)،

National Evangelical Unions ـ وكــان هناك كــثــيــر من العــمل الكرازى ليـتم من خـلال NEUS خاصة فى بعض الدول الضعيـفة.. وقد كانت مهمة الـ IFES هى المساعدة فى إنشاء اتحاد قومى إنجيلى.

وإذ كانت الإرساليات الغربية مسيطرة على حياة المسـيحيين فى دول العــالم الثــالث ـ إذ كــان العــديد من هذه الدول مــازال تحت حكم الاستـعـمار.. إلا أن ستوت أصر على ضرورة قـيادة هؤلاء المسـيحيين لكنائسهم المحلية بأقرب وقت ممكن..

وتعد هذه إحدى المميزات التى انفردت بها منظمة IFES عن غيرها. والآن هناك العديد من المسيحيين من دول العالم الثالث يتزعمون فيها مراكز قيادية... كل هذا بفضل نظريات د. مارتن چونز الذى طور بها فكر العالم المسيحى خاصة فى الفترة بعد انتهاء الاستعمار، وفى الوقت الذى بدأت الإرساليات الأوروبية والأمريكية تفشل فى أداء مهامها فى هذه البلاد.

هذا وقد تميزت الـ IFES باحتوائها على فئات مسيحية من شتى الطوائف المسيحية والمذاهب المسيحية الإنجيلية مثل الكنيسة اللوثرية الاسكندنافيـة، الإنجيلية البريطانية فضلاً عن كنيسة د. مارتن (الكنيسة الحرة) Free Church أى الغير طائفية.. وبرغم تباينهم إلا

أنهم جميعاً اشتركوا فى حبهم للمسيح وميلادهم الثانى وحاجة الإنسان الشديدة للخلاص بيسوع المسيح. وبالرغم من وجود هذا الاختلاف الطائفى المتسع بينهم إلا أنهم كانوا جميعاً ذوى هدف واحد هو إعلان الحق، الوحدة الإنجيلية بين كل الإنجيليين.. وقد كان السبب وراء هذه الوحدة ـ هو العقيدة الراسخة التى دعمها مارتن چونز فى الـ IFES ـ كما كتبه (للـ IVF) وتم نشره فى عام ١٩٥٢ تحت عنوان Maintaining، the Evangelical Faith today وهو يعد من أفضل ما يعبر عن العقيدة من منظور چونز.

ـ ويرى چونز أن المسيحيين عليهم أن يكونوا محددين جداً وواضحين فى بعض النقاط مثل لمن جاء المسيح؟ ولماذا جاء؟ وألا يجزعوا إذا ما ادعى عليهم البعض بأنهم متعصبون ـ كما وصفوا مارتن لوثر من قبل أيضاً.

وكما كان المسيح نفسه يؤمن ويخضع لسلطان أبيه.. وكما أن الوحدة المسيحية كما هى واضحة فى أعمال الرسل والرسائل ـ مؤسسة دائماً على العقيدة وتبعية المسيح ـ ومركزها المسيح. لذا فالإنجيليون يجب أن ينفصلوا عن أى شئ بخلاف ذلك وخاصة هؤلاء الذين يقدمون رسالة الإنجيل مشوشة.

وقد أضاف ميثاق الـ IFES بعض النصوص الجيدة بشأن المفهوم الحقيقى للكنيسة.. وهذا الموضوع بالذات كان د. مارتن چونز قد قضى فيه مدة الـ ١٥ عاماً الأخيرة من خدمته ربما لم يكن ما قدمه جديداً فى النص - إنما المثير كان حقاً فى النظريات العملية لتحقيق هذه المفاهيم.. ونذكر هنا بعض هذه النصوص:

«إن كنيسة المسيح هى عبارة عن كل المؤمنين - من كل الأعمار - الذين يحيون علاقة حية مع الله - وكنتيجة لحدوث الميلاد الثانى فى حياتهم. ويشير العهد الجديد إلى وجود منظورين للكنيسة :

١ - إنها مجموعة المؤمنين فى السماء وعلى الأرض.

٢ - الكنيسة المحلية والتى تضم كل المجتمعين معاً بنفس وروح واحدة فى العبادة - الذين هم فى المسيح - والذين المسيح فى وسطهم - الذى هو السيد الوحيد ورأس الكنيسة. وبهذا فإن الكنيسة إذاً تتكون من كل المؤمنين الحقيقيين بغض النظر عن خلفياتهم الطائفية.. بناء على ذلك فهناك فئتان من المؤمنين.. هم الأفراد المؤمنين والكنائس المحلية التى تضم أيضاً أفراداً مؤمنين لهم علاقة بالرب يسوع ويؤمنون بعمل الروح القدوس.. وعلى هذا فالكنيسة لا يمكن أن يكون بها أية حواجز أو انقسام. وقد ضم IFES لذلك خليطاً من الكنائس الغير طائفية

والمحلية على حد سواء إذ كانوا إنجيليين فى المقام الأول والأخير.

وكان السؤال الذى طرح نفسه مباشرة ـ علام إذاً وجود الأسقفية، واللوثرية، وغيرها ، مادامت الكنيسة هى كل مجموعة المؤمنين الذين لهم حياة جديدة فى المسيح يسوع؟ ولماذا هذا التباين فى بعض أساسيات الإيمان؟

وصفة أخرى تأثرت بها الـ IFES من شخصية چونز ـ هو إيمانه الراسخ بعمل وقوة الروح القدوس على كل شئ فى الكنيسة. وقد كان چونز يعلمهم أن عمل الـ IFES إنما هو أن يكونوا أمناء ونبويين فى وسط جيلهم. وأنهم إذ يثقون فى قدرة وسيادة الله على العمل وقوة عمل الروح القدوس فى الكلمة ـ الإنجيل ـ فأن هذا سوف يأتى بالثمر المرجو من خدمة الـ IFES.

ولم يكن چونز يؤمن بموضوع الخطط المستقبلية لـ ٥ أو ١٠ أعوام ـ أو حتى الخطط الطويلة الأمد لأنه كان يؤمن تماماً فى قيادة الله للعمل بالروح القدوس طالما أن هناك التزام بحق الإنجيل.. حتى إنه لم يكن يرتب العظات التى سيقدمها فى خلال الأسبوع، حتى إذا قاده الله لتغيير موضوع العظة ـ يكون مستعداً لأن يخضع.

فى عام ١٩٥٩ ترك چونز منصبه كمدير للـ IFES واختير ليخدم كرئيس لها حتى عام ١٩٦٧ ـ ثم بعد ذلك أصبح نائباً للرئيس وهو المنصب الذى فضل أن يكمل فيه بقية حياته.. إلا أن خلال هذه الفترة لم يكن چونز فقط يباشر عمله كرئيس للمنظمة بل كان يقدم كل ما فى وسعه للمجالس التنظيمية ويضيف من خبرته وأسلوبه لهم، وظل چونز فى ولائه للـ IFES هذه بكل حب واجتهاد فى خدمتها حتى وفاته. حتى إنه فى عام ١٩٧١ـ حضر الاحتفال السنوى الثانى والعشرين للمنظمة حيث ألقى فيه كلمة أمام المجلس العام للمنظمة، وقد ظل چونز على علاقة طيبة ووطيدة مع العديد من أفرادها مثال وودز Chau Wee Hian , Woods .. وقد حافظت البنية القوية التى أرساها چونز فى بداية نشأته للـ IFES على صمودها ضد العواصف الدينية العديدة التى حدثت بعد ذلك.

كانت رؤية چونز للـ IFES أن تقدم رسالة الخلاص لكل الأمم فى عصره وأن تحارب عن إيمانه.

الأخوة :

ويقصد بها عضويته فى «مجموعة خدام ويستمنستر» Westminster Ministers's Fraternal ـ والتى كان چونز يعتز بها

جداً أكثر من اعتزازه بخدمته فى كنيسة ويستمنستر.. وقد تولى چونز منصب رئيس مجلس إدارة هذه العضوية لمدة ٤٠ عاماً من حياته.. ويقول عنه صديق عمره وزميله في هذه العضوية «چون كيجر John Caiger» إن دكتور چونز يمكن اعتباره راعي الرعاة..

وقد بدأ عمل هذه المجموعة فى عام ١٩٤١ كمجموعة للدراسة وبناء على طلب دوجلاس چونسون من IVF. وبحلول عام ١٩٤٣ اتسعت لتشمل عدداً كبيراً من الخدام الذين كانوا يجتمعون مرة كل شهر فى كنيسة ويستمنستر.. ثم فى عام ١٩٥٤ أصبحت اجتماعاتها تعقد يوم الإثنين من كل شهر، وقد كان عد الحاضرين ٢٠٠ عضو فى الخمسينيات ثم قفز هذا الرقم إلى ٤٠٠ بحلول الستينيات.

كانت هذه المجموعة تخدم أساساً قاعدة الرعاة وكانت لمدة ٢٥ عاماً الأولى من تاريخ إنشائها مفتوحة للإنجيليين من كل الطوائف الإنجيلية - وكان هدفها مناقشة أى موضوع خاص بالكنيسة واللاهوت، وكان من حق أى مشترك إثارة المناقشة. وكان دور چونز فى قيادة الجلسة لتأخذ المناقشة مجراها بسلاسة وتنظيم وفى توضيح الأمور العسرة الفهم.. وكان چونز يرعى هؤلاء الرعاة رعاية فائقة وحرص شديد حتى أن البعض اعتبرهم أبناءه بالفعل.. وكانت تربطه بهم علاقات ودودة حتى بعد

استقالته من منصبه فى العضوية وتركه الخدمة فى كنيسة ويستمنستر فى عام ١٩٦٨.

مؤتمر التطهرية The Puritan Conference :

وقد اشترك د. چونز فى مؤتمر التطهريين هذا الذى أقيم عام ١٩٦٦ - فى ويستمنستر، وقد أتاح له هذا المؤتمر أن يعرض بندين هامين من مبادئ إيمانه الراسخ وهما :

أولاً : أهمية ارتباط التاريخ الإنجيلى - بكنيسة اليوم.

والثانى هو : الإيمان الإصلاحى (العقيدة الإصلاحية) وبخاصة فى مجال التطهرية Puritan .. وقدم د. چونز بحثاً تاريخياً مدعماً عن هذا الموضوع بالذات أينما عقد المؤتمر مرة من كل عام لعرض نص فيه على أن مسيحيي اليوم عليهم ألا ينسوا أساس العقيدة البروتستانتية وبخاصة موضوع التطهرية.

إلا أن أكثر ما شد انتباه چونز بشأن هذا الموضوع كان فى الأسلوب الذى جمعه البيوريتان ما بين العقيدة والواقع المعاش. فالحقيقة بالنسبة لهم تعنى ليس فقط الفكرة بل الخبرة المعاشة كل يوم.. بالإضافة إلى صحة التعليم الكتابى الذى استند عليه هؤلاء التطهريون

(البيوريتان).. وقد استطاع چونز فيما بعد أن يمزج البيوريتانية بالعقيدة (الفكر) الإصلاحى وتطويعه لمعايشة القرن المعاصر.. بحيث يقدر على استيعابه كل شخص.. وقد أثر هذا الفكر الحديث على كثير من الخدام الجدد..

وكما يقول حفيده - فريد كاثروود - إن چونز استطاع أن يؤسس موقفاً لاهوتياً قوياً فى مواجهة الهرطقات العلمية التى نشرتها بعض المؤسسات فى الخمسينيات والستينيات.

وقد حضر المؤتمر.. عديد من الإنجيليين من مختلف الطوائف الإنجيلية منهم جيمس پاكر الذى عينه مارتن چونز أحد مساعديه الأوائل.. والذى كان زميل ابنته فى الدراسة فى جامعة اكسفورد..

وفى تلك الفترة أيضاً .. تأسست دار النشر Banner of Trulk على يد صديق عمره ومساعده الشخصى - لين ووراى Lain Murray .. وقد أثرت هذه المؤسسة على كثير من الإنجيليين واللاهوتيين المعاصرين أمثال ديك فرانس وكثيرين آخرين.. وقد شجع چونز هذه المؤسسة بل ودعمها بكتبه اللاهوتية ولاسيما كتاباته التفسيرية عن رسالتى رومية وأفسس السابق الإشارة إليهما.. وقد استفاد كير من الإنجيليين من كتب د. چونز التى انتشرت عبر هذه المؤسسة إلى نيجريا والولايات المتحدة،

وبلدان عالمية أخرى..

حركة ويلز:

ساهم چونز فى إحدى الحركات الروحية المتميزة والتى شارك فيها كثير من طلبة ويلز - وكان ذلك فى أواخر الأربعينيات.. حيث كان د. چونز لديه ولاءً شديداً ورغبة حارة فى نهضة الكنيسة فى بريطانيا - وطنه الحبيب.. وقد شجع هذا كثيراً من الخدام المعاصرين على انتهاج نفس أسلوبه..

أخيراً.. تأسست أول حركة إنجيلية غير طائفية The Evangelical Movement In Wales وقد اعتبره الإنجيليون داخل هذه الحركة الأب الروحى - بحق حتى إنهم ظلوا أوفياء لعقيدته الفكرية.. واحد من هؤلاء هو چلين - أوين Glyn Owen الولشيين الصغار والذى خلفه فى رعاية كنيسة ويستمنستر (قبل انتقاله فيما بعد لكنيسة تورنتو - كندا).

وفى ١٨ أكتوبر من عام ١٩٦٦.. دعى چونز لإلقاء كلمة فى المجتمع الإنجيلى الدولى فى قاعة ويستمنستر المركزية.. حيث عرض بوضوح موقفه الجديد بشأن الإنجيليين وموقفهم الطائفى، وقد أثارت كلمته ضجة كبيرة مازال صداها يسمع حتى الآن فى الوسط الإنجيلى فى

بريطانيا.. وقد صرح د. چونز فى بداية كلمته أمام المجتمع أن الإنجيليين عليهم أن يتواجهوا بجراءة مع القضايا اللاهوتية فى الكنيسة الإنجيلية.

ويصعد سؤالان مهمان للساحة..

السؤال الأول : هل سيبقى الإنجيليون مجرد أحد ذراعى الطائفة الإنجيلية؟

أما السؤال الثانى فهو : ماذا تعنى بحق ـ الكنيسة؟ وقد أكد چونز أن الإنجيليين هم أولئك الذين يصنعون العقيدة قبل الإيمان.. وأن الكنيسة هى مجموعة المؤمنين الذين هم قديسون بالمسيح يسوع.. وأن الأمر لهؤلاء المسيحيين (الإنجيليون) الذين يبقون داخل عدة طوائف متباينة يعد هذا بمثابة انشقاق طائفى.

وأنه إذا كنا ننتظر نهضة روحية حقيقية.. فعلينا أن نتحد فى وحدة حقيقية.. عندئذ فقط سيعمل الروح القدوس.

وقد ظلت العلاقة بين ستوت وچونز ـ هادئة ـ إلا أن هذه المجادلة العامة الأخيرة قد سببت بعض الحزازيات حيث شعر الكثير من الذين كانوا قريبى الصلة بچونز .. ومنهم ـ چيمس پاكر أن چونز بتركيزه على

موضوع الكنيسة.. جعله يفقد الفرصة فى خدمة الكنيسة الإنجيلية من منظورها العام بؤرة الاهتمام حيث كانت الفرصة سانحة أمامه أن يرأس إحدى جماعاتها.

وبرغم ذلك .. فإن چونز قد اجتاز كثيراً من المشاكل التى حدثت بعد ذلك.. ويرى بعض الشيوخ أمثال ديك لوكاس أن چونز يعد بحق أكثر الأباء الروحيين (لطفاً ورقة) لكنه كان فى الحقيقة غيوراً على كلمة الإنجيل وأنه بدون شك أن سوء الفهم يجعل كثيراً من الأمناء من خدام الكنيسة يعانون.. وقد افتقده كثير من الإنجيليين البريطانيين.. فقد ترك آخرون مثل هربرت كارسون - الكنيسة الإنجليزية Church of England وأصبح مساعده فى كنيسة ويستمنستر..

أولى چونز رعاية خاصة لهؤلاء الذين ساندوا قضية الكنيسة من وجهة نظره.. ويبين اهتمامه ومساندته لڤيرنون هايمان (الذى خرج من كنيسة ويلز المشيخية) أن دكتور چونز لم يكن يستهدف كنيسة معينة على وجه الخصوص كالكنيسة الإنجيلية البريطانية كما اتهمه البعض.. لأن چونز كان يحتج على كل الطوائف التى دخلت ضمن مجموعة (WCC مجلس الكنائس العالمى World Council of Churches).

وكان يؤكد دائماً على الجانب الإيجابى، ولكن بعض أتباعه أساءوا إليه حينما سلكوا بأسلوب خال من الحب والغفران .. لكن أحد القادة المسيحيين من العالم الثالث والذى عمل معه عن قرب لعدة سنوات قال إنهم بحقدهم الشديد قد أذوه كثيراً - ليس فقط لأنه لم يؤمن بفكرهم ولكن أيضاً حينما نادوا بآرائه، كانت تصدر بدون حب أو بها فرح الرب الذى كان مركزاً لكرازته

ومع ذلك - لم يكن چونز يتهم أى إنجيلى يختلف معه فى الرأى بأنه غير مؤمن! ومع ذلك فلم يكن يمنعه ذلك من أن يتكلم بجراءة موضحاً أن موقف هذا الإنجيلى من الكنيسة ليس أمراً صائباً. وبرغم ذلك فقد اعتز چونز بعلاقات شخصية حميمة مع بعض هؤلاء نذكر منهم : اللاهوتى - د. فيليب هوجز، صديق آخر هو چون جولين توماس - الذى تولى منصب هيربرت كارسون فى كنيسة سان بول فى كامبريدج.. وكما علق ستوت.. «كان الأمر مختلفاً بالنسبة لعلاقاته الشخصية»..

وعندما عزل چونز كنيسة ويستمنستر من اتحاد الكنائس الإصلاحية، اعترض بعض مؤيديه من جماعته على الانضمام للـ FIEC (اتحاد

الكنائس الإنجيلية المستقلة). لكنه أصر على موقفه بالرغم من أن هؤلاء المعارضين للفكرة أرادوا أن يكونوا لهم فريقاً خاصاً بهم.. إلا أنه كان يأخذ موقفه باتضاع شديد وليس لأى اعتبارات أخرى سوى تحقيق مشيئة الله.

خطب چونز إحدى أروع وأقوى كلماته عام ١٩٦٧ فى كنيسة ويستمنستر أمام ٣٠٠٠ شخص إحياء للذكرى الـ ٤٥ لمذبحة لوثر فى بدء عصر الإصلاح الدينى..

وقد قال چونز إنه بعد معاهدة الوحدة مع روما ـ فأنه يشعر ببعض القلق تجاه التواطؤ مع الكنيسة الكاثوليكية فى روما.. وبالرغم من أنه كان يعجب بقراءة بعض كتب المؤلفين الكاثوليك وبخاصة القسوس الكاريزماتيك.. إلا أن موقفه كان حاسماً جداً بشأن العلاقة والمساومة بين الروم الكاثوليك والإنجيليين!

كان چونز يرى أنه لا محالة من تضامن الكنيسة الإنجيلية مع غيرها من الكنائس المسيحية التى تنكر أهم عناصر الإيمان المسيحى :

وأن الإنجيليين الذين (يحتجون) بقولهم "إنه بكونك على صواب.. قد يكون غيرك أيضاً على صواب" يعنى هذا إنكاراً واضحاً للإيمان

الإنجيلى الذى هو الإيمان الحقيقى الوحيد، ومن جهة أخرى فقد كان ستوت وپاكر وغيرهم من الإنجيليين البريطانيين لهم فكر مختلف وهو أن وجود الإنجيليين داخل الكنائس الغير إنجيلية سيجعل من الممكن حدوث حركات إصلاحية داخلها وعودتها للإيمان الإنجيلى السليم.. أما چونز فكان يرى أن هذا «هو مس من الجنون».

وكما ذكرنا من قبل.. أن مارتن چونز كان يرى أنه ليس هناك أى رجاء من تواطؤ الإنجيلى مع إيمان غير الإنجيلى وأن الموقف صريح وواضح كما جاء فى رؤيا ١٨:٤ «اخرجوا منها ياشعبى» وقد احتج چونز على انزلاق هؤلاء الإنجيليين فى علاقات مع مسيحيين غير مؤمنين». وأن شركتنا الحقيقية - هى مع هؤلاء الذين ولاؤهم الحقيقى للإيمان الإنجيلى المحافظ.

وقد وافقه بعض الإنجيليين وهم هؤلاء الذين كونوا معه فيما بعد الـ FIEC.. بينما عارضه كثير من الإنجيليين البريطانيين ..

ود أسس چونز أساساً كلاً من الأخوية، والمؤتمر التطهرى لكى يعلن بوضوح عقيدته ويضع حداً للجدل حول هذه الموضوعات الأساسية..

وكان چونز حزيناً جداً تجاه تمزق الكنيسة الإنجيلية لاتجاهات ومذاهب

كثيرة.. وكان يعتبر هذا الأمر مأساة حقيقية.. وأن الإنجيليين إذا لم يصمموا أن يجتمعوا معاً وتحت سلطان الكلمة الوحيد وبقيادة الرأس المسيح فإن التمزق والانشقاق ستزداد فجواته حتى على المسائل والقضايا اللاهوتية الصغيرة مثل المعمودية، تنظيم الكنيسة، مواهب الروح القدوس وغيرها..

وقد خلق هذا الأمر توتراً كبيراً بين د. مارتن چونز وبين كثير من الإنجيليين مختلطى الطوائف لأنهم اعتقدوا أن چونز يوجه دعوة لهم لترك طوائفهم التى ينتمون إليها.. ومن جهة أخرى لم يدركوا منطقية دعوته فى موضوع الوحدة الإنجيلية لكل الطوائف.. أما چونز فلم يفهم موقفهم منه بوضوح.. وقد رأى هؤلاء أن چونز مخادع فى مبادئه.. فكيف له بعد ٤٠ عاماً من خدمته مع إنجيليين من طوائف عديدة يظهر الآن وكأنه يهدم كل ما بناه خلال تلك الفترة من حياته..

إلا أن الكثير - بعد ذلك - من الكنائس المستقلة المتعددة الطوائف استجابت لدعوته.. ودخلت ضمن تحالف الكنائس الإنجيلية المستقلة FIEC - وأيضاً أخذت الكنيسة المعمدانية نفس الموقف.. وقد ساعد چونز الكثيرين ممن وافقوه فى الرأى بانسحابهم من طائفة لأخرى - كثيراً أثناء تلك الفترة..

إلا أن الكنيسة الوحيدة التى أخذت موقفاً صارماً ضد مارتن چونز هى الكنيسة الأسقفية فى إنجلترا «The Anglican» .. بينما استجابت فئة قليلة جداً منها لنظرية چونز.. أما بالنسبة لچون ستوت وپاكر فقد كان تمسكهم بالبقاء داخل الكنيسة الأسقفية فى إنجلترا له أسبابه القوية كما يظهر فى قراءة الفصول الخاصة بهم.

لقد أساء الكثيرون بعد ذلك شخصية مارتن چونز ووصفوه بأنه «عدو الأسقفية» بل أن كثيرين من المسيحيين الأنجليكان لم يسمعوا عنه قط أنه ضد الأسقفية Against the Anglican، حتى إنه عندما جاء لإلقاء محاضرة فى جامعة أكسفورد حيث كنت أدرس بالجامعة، جاء أحدهم متعجباً وقال لى «كريستوفر.. إن جدك ليس بهذا السوء.. ».

إلا أن أحد هؤلاء الذين تعاطفوا معه جداً.. هو فرانسيس شيفر الذى عرفه منذ الأربعينيات.. كما أن شيفر دعاه لسويسرا لإتمام مراسم زواج ابنته الكبرى.. وخلال زيارته للابرى فى عام ١٩٥٧ وجد د. مارتن فى شيفر شخصية كريمة - ذا روح طيبة حتى إنهما قضيا معاً ساعات طويلة حتى بزوغ فجر اليوم التالى.

وبشأن قضية الطوائف هذه .. يرى شيفر (والذى جاء من خلفية

متعددة الطوائف أيضاً) أن هؤلاء الذين ينشقون من مجموعة ليكونوا لنفسهم مجموعة جديدة.. عادة ما يشعرون بمرارة وقسوة شديدة تجاه من انشقوا عينهم.. فأذا حدث ذلك فأن من واجب المجموعة الأصلية أن لا تساوم مرة أخرى على الحق وأن تغلق هذا الباب بحزم..

إن طهارة الكنيسة المنظورة تحتم على أن يحب الإنجيلى (المؤمن) أخيه المؤمن فى محبة الله وأن يشترك الجميع بروح واحدة فى العبادة وجو الشركة.. مادام الجميع يؤمن بأنجيل الحق.. أما من جهة علاقة المؤمن مع غيره فأن شيفر يرى أنه ليست شركة حقيقية بين الإنجيلى وبين من (لا أساس إنجيلى) له..

وقد أدرك مارتن چونز من جهة أخرى أن هؤلاء الذين بقوا ضمن طائفتهم هم غالباً من الإنجيليين المحافظين على أنه كان ضد موضوع أن يأخذ البعض موقفاً معادياً ضد البعض الآخر لأن المشكلة هنا خاصة بالمبادئ فى حد ذاتها. وليست فى أشخاص بالتحديد.. وعلى هذا المبدأ استأنف مارتن چونز عمله فى الـ IFES بكل نشاط.. وقد أعلن مارتن چونز هذا بوضوح خلال المؤتمر الخامس والعشرين فى عام ١٩٧١ حينما كان نائباً للرئيس.. على الرغم من أن هذه المنظمة كانت تضم إنجيليين من طوائف عديدة كالكنيسة الأنچليكانية والكنيسة اللوثرية وهكذا

اعترف كثير من الإنجيليين فيما بعد أن موقف د. مارتن من الصراعات اللاهوتية فى أيام الستينيات والسبعينيات لم تعقه فى الحقيقة عن اهتمامه بقضية الوحدة الإنجيلية التى حارب من أجلها أكثر من أربعين عاماً.

آفاق جديدة :

وحيث خبا تأثيره فى بعض الأماكن.. زادت شهرته وانتشرت فى أماكن أخرى.. وكان هذا بفضل انتشار كتبه (كما عرضنا من قبل) .. وقد غيرت كتبه حياة الكثيرين من المسيحيين ـ ليس فقط المتعلمين والمثقفين ـ بل ومن عامة الشعب أيضاً.. والذين استمروا يكتبوا له ـ حتى بعد وفاته ـ يشكروه من أجل كتبه التى لمستهم وشكلت حياتهم.. ذلك لأن كتبه اتسمت بالبساطة والوضوح..

ومن الأسباب الأخرى التى ساهمت فى نشر نفوذه وتعليمه.. هو أن ما قدمه من فكر جديد ومختلف خلق له نوعية جديدة من الجمهور.. ففى كتاباته فى تفسير «أفسس» ظل چونز يؤكد وينبر على حقيقة اختبار الروح القدوس.. وقد ظل چونز مسئولاً عن حركة النهضة الإصلاحية الكلفينية اللاهوتية وبصفة خاصة تلك التى تخص صورة التنظيم الإنجيلية.

وقبيل وفاته بفترة قصيرة.. كان چونز يعظ عن أهمية الملء بالروح القدوس وأن ما تحتاجه كنيسة اليوم هو نهضة حقيقية وفيض من روح الله عليها «معمودية النار» - لكن چونز كان ضد فكرة أن المواهب علامة أوتوماتيكية لتأكيد الملء بالروح القدوس.. كما أن الميلاد الثانى صحيح أنه يحدث بالروح القدوس - إلا أن الإنسان يحتاج لأنْ يمتلئ بالروح مرات أخرى بعد ذلك..

وقد ظهرت هذه الأفكار بوضوح فى كتابين كتبهما لكنهما ظهرا فقط بعد وفاته هما «الفرح الذى لا ينطق به»، الثانى : اثبت كل شئ Joy Unspeakable ، Prove Allthings والذى تغيير عنوانه إلى «روح القوة» The Sovereign spirit فى الولايات المتحدة.. وقد أشارت هذه الكتب إلى أن چونز لم يكن كالفينياً نظامياً بل كان كالڤينياً بحسب الإنجيل - لأنه لم يكن - مبنى فكرته وإيمانه على تعليم كالفينى فحسب بل على خضوع هذا التعليم لحق الكتاب المقدس.

وكما كان يعلم الطلبة دائماً فى أمسيات يوم الجمعة فى كنيسة ويستمنستر أثناء المناقشات.. أن يرجعوا دائماً لما ينص عليه الكتاب المقدس.. أول وآخر كل شئ.

وبرغم أن مارتن چونز لم يكن يعارض فكرة المواهب والتكلم بألسنة

ولم يكن ضد حدوث المعجزات، لكنه كان يحذر الناس بأن ما يحدث يجب أن يمتحن فى ضوء حق الكتاب المقدس..وأن الأمور فوق الطبيعية لا تعنى بالضرورة أنها معمولة بالله ـ لأنه يوجد مسحاء كذبة، وأنبياء كذبة، وهؤلاء سيخدعون الناس بآيات وعجائب ليست من الله ـ وليست لمجد الله.

وقد كان مارتن چونز على استعداد لمساعدة الشباب الذى يشترك فى الحركات التجديدية. من هؤلاء نذكر مايكل هاربر والذى اعترف لمارتن چونز بالعرفان والشكر على كل التشجيع والنصح الذى قدمه له فى تلك الأيام ـ كما ساعد أيضاً مجموعة من الطلبة والذين قاموا بتأسيس بيت الكنيسة House Church. حيث انتهجوا على نفس المنهج الكلفينى الإصلاحى.

ومن جهة المواهب الروحية ـ لم يؤمن مارتن لويد چونز مطلقاً بأن معمودية الروح القدوس أو الملء بالروح القدوس يمكن افتعاله أو أنه وليد لحظة أو أنه يحدث تدريجياً أو أى شئ من هذا القبيل ـ أو بواسطة طرق بشرية.. هذا الأمر فى اعتقاده يأتى فقط من الله كلى القدرة والنعمة.

بعد الكنيسة :

في عام ١٩٦٨ ـ وصل مارتن چونز إلى حالة مرضية حرجة حيث أجرى عملية إزالة نتيجة انسداد في الأمعاء.. وبعدها قضى چونز فترة في كلية اللاهوت بويستمنستر في فيلادلفيا.. خلال هذه الفترة كان چونز يشعر بأن هذا المرض ضمن مشيئة الله له.. حيث زادت أعباء الخدمة جداً في كنيسة ويستمنستر وأصبح ضغط العمل الرعوى والوعظ مرهقاً له.. الأمر الذى دفعه للتقاعد من الخدمة.. إلا أن مارتن چونز أراد أن يعطى الجيل الجديد من خدام الكنيسة.. عصارة خبرته في علم الوعظ وأهمية ذلك في حياة الكنيسة.. لذلك فقد قام چونز بإلقاء محاضرة مثيرة ـ ثم نشرها في كتاب بعنوان «الوعظ والوعاظ» Preaching & Preaches ـ وقد كان هذا الكتاب مرجعاً أساسياً لكل الموضوعات الهامة التى أثيرت في هذا الباب..

تفرغ بعد ذلك مارتن چونز للكتابة.. وكان اهتمامه منصباً أساساً على السلسلة التفسيرية لكل من رسالتى بولس لأهل روميه وأفسس لأنه كان يرى أن هاتين الرسالتين تشملان أساس العقيدة المسيحية .. لذلك فقد كتبهما چونز ليس بحسب ترتيبهما الزمنى.. بل على أساس أهمية الموضوع المقدم..

بالإضافة لتلك المجموعة .. كتب جونز أيضاً بعضاً من عظاته التفسيرية عن «الموعظة على الجبل» وهى أيضاً نشرت له بعد ذلك.

وبالرغم من أنه كان يعتقد أن كتاباته التى نشرت فى مجلدات ستكون أكثر إفادة من تلك التى تنشر فى كتب صغيرة.. كما هو الحال فى مجلداته «تفسير رومية، أفسس، إلا أنه من الغريب أن يحدث العكس.. فقد كانت كتبه التى حققت أكثر مبيعاً وكان لها أثر أكبر على القراء.. هو كتابه «الاكتئاب الروحى ـ أسبابه وعلاجه» Spiritual Depression-its Cause and Cure.، أيضاً «الوعظ والوعّاظ»، «الموعظة على الجبل» وهذه الكتب تعد من كتاباته القصيرة بالإضافة إلى كتابيه عن روميه وأفسس وهما من المجلدات التى حققت أيضًا انتشاراً كبيراً.

مارتن .. طبيب نفسى أيضاً:

يشير كتابه عن «الاكتئاب الروحى » إلى بصيرة مارتن جونز الروحية فضلاً عن موهبته فى الرعاية كبراعته تماماً فى الوعظ وأيضاً كما أشرنا من قبل إلى خلفيته كطبيب.. هاتان الصفتان أكسبته قدرة خاصة فى تمييز مشاكل رعيته من حيث كانت المشكلة سببها نفسى أم جسدى. أو ربما كانت المشكلة نفسها نفسيه.

وفى عظته عن مزمور ٤٢ .. وضح چونز أن حالة الإنسان النفسية.. لا تؤثر أبداً من نحو خلاص الله له.. إلا أنها تؤثر بدرجة كبيرة على اختبار الحياة المسيحية فى حد ذاته.. وقد أقر مارتن چونز أن ليس كل شخصين متشابهين فى قدراتهم الروحية والنفسية.. وأن هناك نوعية معينة من البشر لها قابلية أكثر على الإصابة بالاكتئاب.. وعلى حد خبرته الطبية فإنه لا يمكن أبداً فصل الكيان الروحى عن النفسى لأنهما معاً تشكلان جسداً واحداً - عقل وروح واحدة..

وقد اكتشف د. مارتن الأسباب الجسدية لهذا المرض الروحى وعلى رأسها «الإرهاق الشديد» والذى له تأثيراته الروحية أيضاً.. بينما يشكل الشيطان وعدم الإيمان سببين أساسيين فى الإصابة بالاكتئاب الروحى.. حيث يفقد كثير من المؤمنين (المسيحيين) إيمانهم ببر الله بالإيمان، وبالتالى لا يثقون فى خلاص الأمر الذى يحرمهم من التمتع بالحياة الأبدية.

كان دكتور مارتن چونز يؤمن بشدة أن المؤمن الحقيقى يحيا حياة متزنة من كل جوانبها.. وكما ذكر بولس فى رومية ٦ أن الإنسان الذى يظن أنه بولادته الثانية سيحصل على السعادة وكفى.. فإنه بهذا قد نسى الشيطان.. وأن الحياة المسيحية الحقيقية ما هى إلا خضوع يأتى

من الإرادة.. تقوده لبرهان العقيدة (وهو أمر يحدث بالعقل) ثم أخيراً يأتى دور القلب.. إذاً فالمعرفة تؤثر أولاً على العقل فالقلب - ثم الإرادة..

وكان مارتن چونز يرى أن الاكتئاب ينشأ من عدم اتزان فى الحياة وأن عدم السعادة تؤدى بالناس إلى المعاناة (وهذا ما تدور حوله جميع رسائل العهد الجديد).. فالحياة المسيحية فى الحقيقة مقرونة دائماً بحرب الإيمان وفى عبور التجارب.. لذا فقد رأى مارتن چونز أن المسيحيين الذين يدعون بأن ليس عندهم أى مشكلات.. ليسوا مؤمنين جادين فى الحياة المسيحية.. لذا فأن هذا الكتاب كان مشجعاً جداً للمسيحيين الذين يعانون من مشكلات روحية..

وكما قال الدكتور فى موعظته المأخوذة من كورنثوس الأولى - الأصحاح الخامس عشر - أن واحدة من أروع وسائل العلاج النفسى هى غفران الله الذى ليس له حدود ومحبته الأبدية.. وأن المشكلة ليست فى خطية الإنسان فى حد ذاتها بل فى أن موت المسيح على الصليب كاف جداً، ولا يحتاج إلى أى تكميل بشرى .. بل فيه كل العلاج لكل مشاكل الإنسان النفسية، الروحية، الاجتماعية..

وكما فى عظته أيضًا من تيموثاوس الأولى - الأصحاح الأول.. قال

مارتن چونز إن الإنسان لا يجب أن يعتمد على مشاعره أبداً أو أن يكون منقاداً بها.. إنما فى الحق الذى يؤمن به فى عقله.. هذا الإيمان هو السبب الحقيقى للفرح.. لأنه إيمان فى يسوع المسيح القادر..

وأن العلاج الأكيد للاكتئاب الروحى يعتمد على معرفة العقيدة الإيمانية فى الإنجيل.. ليس بناءً على مشاعر.. بل بمعرفة مبادئ الإيمان..كما يعلن عنها الإنجيل.

راعى الرعاة :

لم يكن مارتن ليود چونز راعياً فحسب.. بل كان راعياً للرعاة أنفسهم.. وعلامات مارتن چونز أكيدة وواضحة بهذا الصدد.. فبعد تقاعده عن الخدمة فى كنيسة ويستمنستر..ركز مارتن چونز جهوده لزيارة الكنائس المحلية الصغيرة وللوعظ فيها وتقديم المساعدة للوعاظ الجدد التى لم تتثبت أرجلهم فى الخدمة بعد.. وقد شهد عنه بيتر لويس خادم وصديق للعائلة، أن چونز كان ذا عون كبير لهؤلاء الخدام المبتدئين وسبب تشجيع كبير لهم.

وقد جعله دوره القيادى فى «أخوية ويستمنستر» التى أسسها كما ذكر فى البداية أن يكون بمثابة الأب الروحى لكثير من الخدام والوعاظ

من عضوية هذه المؤسسة.. وكان مارتن چونز يشعر بالتزام كبير تجاه هذه الأخوية وخاصة بعد اعتزاله الخدمة فى كنيسة ويستمنستر (حتى إنه لم يكن يفوته اجتماع إلا فى حالة مرضه الشديد).. ودوره هذا أهله لأن يكون قائد أقوى جانب إنجيلى بعد عام ١٩٦٦.

فى خلال اجتماعات «الأخوية» لم يكن مارتن چونز يتكلم كثيراً .. لكنه كان يقود الاجتماع بحرص وحكمة بالغين.. حيث كانت تعد هذه الاجتماعات من الاجتماعات السرية إذ كان يشجع دكتور مارتن الأعضاء على المناقشة الصريحة والحوار الحر.. إنما كان يوضح القواعد معطياً وجهات نظره المعتبرة..

لقد جمع چونز ـ كما يقول أحد أقرب أصدقاؤه ـ عدة صفات من النادر أن تجتمع فى شخص واحد.. فقد كان يؤمن بأهمية العقيدة فى الإنجيل.. لكنه أيضاً كان يؤمن بعمق الاحتياج لحرية عمل الروح القدس.

كان مارتن چونز أرثوذكسياً ومعاصراً فى نفس الوقت.. وحيث كان يكره «التقوقع» والانحصار فى اتجاه واحد .. كان يحث الخدام أن يشعروا بالمجتمع من حولهم ويكونوا معاصرين للقرن العشرين..

وكقائد.. لم يكن يقف فوق الناس.. بل كان يقدّر تماماً احتياجهم ويساعدهم على التغيير خطوة بعد خطوة.

كانت الأمور المختلفة (الموضوعات المتباينة) ـ بالنسبة لمارتن چونز ـ تحتاج لأوقات مختلفة لمعالجتها.. وكان يرفض النقد فى حد ذاته (ويشمل هذا موضوع الانفصال الطائفى) .. وكان مارتن چونز يعتقد أنه بنفس أهمية العقيدة.. إنما غاية الأمر تكمن فى «المعرفة العملية والاختبارية، والحياة المعاشة بناءً على خضوع وتسليم حقيقى لله».. صحيح أن هناك قواعد فى الكنيسة إلا أن الهدف منها ليس هو تقييد المؤمنين. كان مارتن ـ چونز غالباً ما يدعى ليعظ فى الكنائس المعمدانية التى طالما رفضت عضويته فيها بسبب عدم تمسكه بنظرية معينة فى موضوع المعمودية.. بل وكان يسمح بالشركة لكل المؤمنين طالما آمنوا بيسوع المسيح كمخلص شخصى بغض النظر عن خلفياتهم الطائفية.

ـ لم يتوقف مارتن چونز أبداً تأكيده على حاجتنا لنهضة روحية.. وكما يقول زميله فى الجامعة ـ إنه بينما فقد الكثير من خدام عصره الالتزام بناحية الأمور.. ساعد مارتن چونز الكنيسة على الثبات فى أصوليتها.. ساعد مارتن چونز الكنيسة على الرؤية والاتجاه الذى ينبغى أن تسلكه لتصل لمأربها. وبين چونز أن إعلان «قوة الحق» قادرة على

تغيير حياة كل من يسمعه.

كان مارتن چونز يعطى من وقته وخبرته كأولوية لتعضيد الرعاة وخدام الجيل الصاعد .. فكان يقضى ساعات طويلة إما فى مشورة فردية أو بالتليفون مع هؤلاء الذين يطلبون مساعدته.. لهذا كان يلجأ له كثير من الخدام لطلب النصح التى يقدمها لهم بكل حب.. ومن واقع عقليته المشخصة وخبرته الغنية وبمعرفته لتاريخ الكنيسة الأمر الذى جذب الخدام لمناقشة مشاكلهم معه..

حالة الأمة :

وتظهر قدرة مارتن التشخيصية بأجلّ صورها فى الخطبة التى ألقاها بعد اعتزاله فى عام ١٩٦٨ .. والتى كان غالباً ما يقدمها فى بعض المؤتمرات كما كان الحال فى مؤتمر المجلس الإنجيلى البريطانى.

واحدة من أروع هذه الخطب - باسم - «حالة الأمة» The State of the Nation التى قدمها مارتن چونز بعد حصوله على شهادتى BS, MB بحوالى ٥٠ عاماً .. حيث يؤكد فيها على المنطق السببى الحريص مستعرضاً الأعراض - ثم مشخصاً لهم المرض (المشكلة) وأخيراً مقدماً لهم وصفاً للشفاء الوحيد.

قدم مارتن چونز تحليله لأهم عدة كتابات حديثة مثل «حياة المستقبل Survining the Future» لأحد الفلاسفة وأساتذة التاريخ الإنسانى «أرنولد توينبى» - معلقاً بأن الفجوة الأخلاقية الحادثة فى المجتمع أصبحت أكبر مما كانت عليه سابقاً - ثم عاد فاستشهد مرة أخرى بأحد المقاطع الكتابية من كتاب «مواجهة الواقع» Facing Reality للأسترالى والطبيب الذى حاز على جائزة نوبل فى الطب، والذى قال إنه فى هذه الساعة الحرجة.. علينا أن نستعيد الأمل والرجاء.. وإلا فسنفقد كل شئ» وقد حصل مارتن چونز على هذه الكتابات - برغم حداثتها- عن طريق قراءاته المنتظمة لبعض الجرائد المتميزة جداً.

وقد رأى چونز أن هذه التعاريف هى خير ما يعبر عن اليأس الذى أصاب البشرية، وعن صراع الإنسان. وأنه إذ يرينا التاريخ أن بريطانيا قد مرت بعصور مماثلة من الانحطاط الأخلاقى لكن الأمر الآن أصبح أكثر خطورة - لأنه فى الماضى .. (فى القرن الثامن عشر، مثلاً) كان الناس فى حالة عدم خضوع، أما اليوم فقد تلوث المجتمع كله بتسمم إذ أنكروا عامة المبادئ الأخلاقية بل والقانون ذاته.. وأصبح الاتجاه العام هو العنف وذهن متمرد على القانون والمجتمع.. والآن.. ما هو دور الكنيسة فى كل ذلك؟ .. إن الكنيسة وحدها هى التى تملك الحق..لذا فمن الضرورى أن نمتحن الأسباب التى أدت لمثل هذه

الظواهر الاجتماعية.

ويعلق چونز على ذلك بأن ـ خط الانحطاط فى المعايير الأخلاقية ـ قد بدأ كرد فعل ضد الأخلاقيات الفيكتورية والتى شوهت حقيقة المسيحية.. وباندلاع الحرب العالمية الأولى .. بدأ هذا الانحطاط (التراجع الأخلاقى)عن طريق الصحفيين والأرستقراطيين (ذو الثقافة الإدواردية البريطانية ـ Edwardian England) والذين ملأوا الصحافة بالموضوعات الهامشية التافهة بدلاً من الموضوعات الهامة، وأصبح التليفزيون وسيلة للاستمتاع والتسلية، وفى كل هذا فشل قادة الكنيسة فى حسم الأمور. بينما دفع سلوك بعض القادة السياسيين ـ الشعب ـ لحالة من السلبية واللامبالاة.

كانت المشكلة الحقيقية فى لاهوت الكنيسة الذى وقف عاجزاً ضد الفلسفة والعلم (فى ذلك الوقت!) فانتشرت النظرية الداروينية ونظرية فرويد التى أحطت من الإنسان كمخلوق على صورة الله وشبهه وجعلته كآلة وحسب، وخسفت بأى نوع من القيود (الحدود الأخلاقية). فأصبحت الداروينية هى الدين وافتخار العلم. وفى المقابل فإن المدافعين عن الإنسان أخذوا الاتجاه المعاكس لذلك تماماً فرفضوا التكنولوچيا النووية وعدم الاعتراف بالمنطق. وفى كل هذا كان الشباب الصغير فى انحراف

بينما انجرف البعض فى التعاليم الماركسية.

فى الحقيقة ـ إن العالم المعاصر ـ كان فى عدم بصيرة لحقيقة هامة ـ هى أن العلاج ليس فى أى شئ سوى الاعتراف بأن الإنسان عاجز أن يخلص نفسه بنفسه ـ بل يبقى الخبر السار ـ بشارة الإنجيل ـ هى الحل والحل الوحيد! قد يستطيع بعض الأفراد المسيحيين أن يحدثوا حركة إصلاح فى المجتمع.. إنما الكنيسة ـ التى هى الجسد ـ يبقى دورها الرئيسى فى إعلان الخلاص الوحيد الذى بيسوع المسيح. وخلال تلك الفترة ـ بدأ العديد من قادة العلم فى الاعتقاد بالنفس ـ واحد من هؤلاء ـ هو الدكتور سكرودينجر ـ طبيب مشهور ـ علق بقوله إن أحد أهم الأسئلة التى يحتاج الإنسان لإجابتها كان «من نحن» ـ إن الإجابة ببساطة ـ نجدها فى الإنجيل ـ فقد خلق الله الإنسان على صورته، أما الإنسان فقد نسى هذه الحقيقة الرائعة بسبب الخطية. ويقول دكتور مارتن جونز فى ذلك.. إن دور المسيحيين الآن أن يعلنوا قضاء الله العادل على الشر والخطية.. وأن المسيح قد جاء ليفدى الخطاة. إن مهمة الكنيسة تكمن فى دعوة الناس للتوبة ثم أن تقدم لها رسالة الخلاص المجيدة. ولهؤلاء الذين يقولون إن الناس لا يريدون أن يسمعوا هذا النوع من الوعظ ـ أقول لهم ـ إن الاحتياج الملحّ الذى تحتاجه الكنيسة اليوم ـ هو لا شئ سوى «نهضة روحية».

حياته العائلية :

قضى دكتور مارتن چونز سنواته الأخيرة ـ مع زوجته ـ بين زيارة ابنته.. حيث ظلا فترة طويلة فى لندن مع ابنته الصغرى آن ـ وأطفالها الثلاثة (إليزابيثت ـ ولد فى ١٩٦٨) ، ريانون (١٩٧٠)، آدم مارتن (١٩٧١). ثم قضيا أيضاً فترة طويلة من أجازتهما فى كمبردج شاير عند ابنتهما الكبرى (إليزابيث). وزوجها وأطفالها الثلاثة (كريستوفر ١٩٥٥) مؤلف هذا الكتاب ، بثيان (١٩٥٨) ، چوناثان (١٩٦١).

ـ وفى مقاطعة بلشام.. كان مارتن ليود چونز يقضى معظم وقته فى الكتابة، أو مناقشة الموضوعات التى نتجت عن عظاته أو فى تدوين آرائه بشأن بعض الكتب التى اشتراها أو استعارها من مكتبته الخاصة. وكان مارتن چونز يعشق مناقشة أحفاده وإثارتهم وكانوا ينادونه بـ «دادكو» وهو مصطلح ويلشى لكلمة «جدى» ..حيث كانوا يتجادلون معه بطريقة لا يجرؤ عليها غيرهم.

ـ أما عن أوقات الراحة ـ وهواياته وهو المفضلة ـ فكان مارتن چونز يلعب الكروكيت مع زوجته وابنته واللتان كان يفوز عليهما بالإضافة إلى لعبة البلياردو، ومع حفيده الأوسط چوناثان.. كان مارتن چونز يستمتع بكل وقته الذى يقضيه وسط أسرته ـ زوجته ـ وبناته وأحفاده..

حتى أقاربه، علاقته بهم طيبة. وكان يناقش عائلته فى كل أمور الحياة ولاسيما أحفاده الذين كان يشاركهم فى أخبار المدرسة وبرامج التليفزيون، وكما كان ليود چورچ (سياسياً امريكياً) يفضل أحفاده الكبار. كان مارتن چونز يفضل أصغر أحفاده الثلاثة.. وقد زرع فيهم چونز حب القراءة بدرجة عالية حتى إنه إذا أعجب أحدهم كتاب ـ كان إما يشتريه له كهدية أو أن يكتب له عنه أو يحكيه له. وكان مارتن چونز ـ أيضاً ـ على علاقة حميمة بأخيه ـ ڤينسنت ، وعائلته. وكانا يجتمعان كثيراً لمناقشة قضايا اليوم والأدب وأخبار الأوبرا .. وقد أصبح أخوه فيما بعد (سيرڤينسنت ليود چونز ـ قاضى المحكمة العليا).. وبالإضافة إلى هؤلاء.. كان مارتن چونز يزور أقاربه حيث يقطن الكثير منهم فى الريف ـ وكان أيضاً على علاقة طيبة بعائلة زوجته ـ وكان يفخر بأنه ارتبط بهم ـ حيث خرج من هذه العائلة اريڤان ڤيليبس العظيم ـ الذى اشترك فى نهضة عام ١٩٠٤.

كتاباته :

تعتبر الكتابة واحدة من أحب الأمور التى مارسها مارتن چونز فى حياته ـ بل وزرعها داخل أسرته أيضاً. كانت معرفته اللاهوتية ضخمة ـ لم يكن أفضل من يعرفون البيوريتانيين فحسب بل وكل ما يخص

نهضة القرن الثامن عشر - بالإضافة لهذا كان مارتن چونز شغوفاً بقراءة الشعر والسياسة والفلسفة، بل إنه كان يطالع الطب يوماً فيوم، حتى إنه في إحدى المرات التي دخلت المستشفى فيها لإجراء إحدى العمليات في عيني وأعطيت دواءً خاطئاً.. ولكن مارتن چونز قد راجع بعض كتبه بهذا الشأن ثم صحح تشخيص الأطباء - وأنقذني في آخر وقت.

وفي نفس الوقت - كان مارتن چونز يحذر ألا يصبح الكتاب كالمخدر! فالكتاب صالح للمتعة والتعليم، لكنه ليس من الصواب أن يقضي الخادم كل وقته في القراءة بحيث لا يمكنه أن يتهيأ روحياً قبل الوعظ والخدمة. ويجب - فوق كل شئ - أن يكون هناك توازن بين اللاهوت الفكري والحياة، بين عالم الكتاب وبين الخبرة المعاشة في الواقع. - وكما يقول بيتر لويس - خادم صغير من نوتنجهام - إن دكتور مارتن كان يخشى نوعية من الخدمة، الخدمة المقامة على لاهوت فقط، والخدمة المقامة على خبرة فقط. لذا هو دائماً يزاوج الحق والعمل، العقيدة والخبرة.

حياته :

أهمية الحق وحرارة الروح - في حياته - قادت مارتن چونز لأن يقبل أي إنسان - وأي جماعة - مهما اختلفت عنه - طالما كانت في المسيح -

وقد كتب فى الخطبة التى قدمها المجلس الإنجيلى البريطانى عام ١٩٦٨ ـ والتى طبعت تحت اسم «ما هى الكنيسة» :

«إن المسيحى ـ هو إنسان مختلف ـ جديد. إنسان مولود ثانية. المسيح يوجد داخله والروح القدوس أيضاً. والمسيحيون هم حقاً جماعة متميزة لأنهم يشتركون معاً فى حياة واحدة، فكما قال بطرس إننا حجارة حياة داخل بناء الكنيسة.

إن الوحدة ـ أهم ما يميز الكنيسة ـ لوحدة عضوية ـ وهذا أمر حيوى للغاية. انظر المثل السابق.. ممن يتكون الجسد ؟ أليس من مجموعة الأصابع واليدين والذراعين و.. كلها ملتصقة معاً.. كيف؟ إنها وحدة عضوية ـ إنها جسد واحد..

إن الكنيسة ليست مؤسسة ـ وليست مجرد تجمع (حشد) من الناس . هؤلاء الناس (المؤمنون) يتميزون معاً بأنهم شهدوا اختبار الميلاد الثانى.. إن هذا الأمر مهم جداً لنتجنب الأرثوذكسية الميتة. فأنا وأنت نحيا فى زمن تعانى فيه الكنيسة من نتائج الأرثوذكسية الميتة.. لذا فدعوتنا أن نبقى واحداً وأن نضع الأرثوذكسية بعد الحياة.. لأن الوحدة مبنية على حياة!

ـ إن هذا ما يجعل الانشقاق خطية. لأن هذا ليس اختلافاً فى الرأى فحسب ـ بل لأنك تقسم المسيح ذاته، أنت تقسم الجسد.

إن هذا ما أعطى مارتن چونز قوة خاصة ـ وهذا الهدف هو ما دفعه لتأسيس (عمل) IFES حيث اجتمع المسيحيون من مختلف الطوائف ـ كجسد واحد ـ لخدمة الإله الحى.. بالرغم من أن مارتن چونز كانت لديه تحفظات كثيرة نحو الاتجاه الكاريزماتى ـ إلا أنه كان دائماً يشجع الإنجيليين الكريزماتيك أمثال مايكل هابر، تيرى ڤيرجو (من الكنيسة الخمسينية) لأنه كان يعلم مدى حاجة هذه الكنائس للتشجيع والنمو..

أيامه الأخيرة :

اضطرته ظروفه الصحية السيئة للتوقف عن الخدمة نهائياً فى عام ١٩٧٩. ثم فى بداية الثمانينيات عاد للوعظ ثانية ـ ووعظ آخر عظاته فى الكنيسة المعمدانية فى باركومب حيث كان راعيها "راى جيديون" والذى أصبح بعد ذلك مسئولاً عن توزيع شرائط خدمات دكتور مارتن. ثم ساءت أحواله ثانية فى يونيو ١٩٨٠ حيث توقف تماماً عن الوعظ. وانتهت خدمته المنبرية ـ بعد ١٥ عاماً من سن التقاعد. وظل مارتن چونز متفرغاً بعد ذلك لنصح وإرشاد الكثيرين ـ وأحياناً كان يقضى بعض الوقت فى الكتابة.. وأخيراً فى ديسمبر ١٩٨٠ ـ وافق مارتن

چونز ـ بعد محاولات كثيرة لإقناعه بكتابة ذكرياته (وقدمها بكل حب لعائلته) لصديقه الحميم والناشر ـ إيان موراى.

بعد ذلك قضى د. مارتن الفترة الباقية فى مستشفى الصليب حيث خضع فيها لعلاج كيميائى حديث وهو ما أدهش الكثيرين .. إلا أن الحس الطبى داخله جعله يقبل هذا العلاج الحديث، وكان مؤمناً بأن الله أراد له أن يحيا عدة شهور أخرى..

وفى فبراير عام ١٩٨١، شعر مارتن چونز بأن مهمته على الأرض قد انتهت.. فطلب من عائلته أن يتوقفوا عن الصلاة من أجل شفائه لأنه مستعد لمقابلة المجد السماوى.. ومات مارتن ليود چونز فى سريره وسط أسرته يوم الأحد الموافق ١ مارس ١٩٨١ الذى يوافق أيضاً ـ العيد القومى لويلز. وفى جنازته التى أقيمت فى نيوكاسل إرويلين (وهى نفس الكنيسة التى وعظ فيها ڤيليبس خلال نهضة عام ١٩٠٤).. جاء أكثر من ١٢٠٠ شخص لوداعه، وفى ذكراه السنوية فى العام التالى ـ تجمع أكثر من ٣,٥٠٠ شخص جاءوا من كل أنحاء العالم ـ ليس حزناً ـ إنما ليشكروا الله من أجل خادمه الغير عادى.. لم تكن وفاته ذكرى حزينة بل كانت بهجة لانتقال قديس عظيم ـ للمجد العتيد أن يأخذه..

- وبعد موته .. انتشرت كتبه فى كل مكان - وكانت بمثابة إصلاح فكرى - خاصة تلك التى كتبها بشأن الروح القدوس.. وبفضل كتاباته.. جاء كثيرون من الخلفية الأرمينية وانضموا للفكر الإصلاحى والوعظ التفسيرى لأول مرة فى التاريخ.

وقد كان لكتابه «لماذا يسمح الله بالحرب» Why God Allow War علاقة شديدة فى نفس الوقت الذى دخلت فيه بريطانيا عدة حروب جديدة.. بالإضافة إلى سلسلة عظاته من سفر المزامير والتى تم تجميعها ونشرها فى مجلد بعنوان «تمتع بحضور الله Enjoy the presence of God - وهو نفس المجلد الذى كتبه الدكتور باسم «الاكتئاب الروحى Spiritual Depression.

ومازالت كتاباته الحية تجد طريقها لقراء الأجيال الحديثة، وتطبع شرائط عظاته الآن وتوزع فى جميع أنحاد العالم بواسطة حفيده مارتن ليود چونز (ترست لتجيلات).. لتقدم رسالة الإنجيل للكثيرين.

رجل الله :

يعد مارتن ليود چونز بحق.. صبغة متميزة تجمع بين عبقرية الفكر وحماسة العاطفة. وهذا سر تأثيره وقوة وعظه طوال سنوات خدمته. هذا

الرجل الذى نشأ فى ويلز، وترجع أصول جذوره الروحية إلى حركة الميثودست الكلڤينية.. والذى استمد منها عقيدته لكنه عاد ومزجها بفكر القرن المعاصر.. إنه بحق « منطق مشتعل Logic on Fire. إن بساطته فى الوعظ قد جمعت من حوله المستمع البسيط والمستمع المتعلم بالتعليم العالى.. وبرغم قوة صوته .. إلا أن الذى كان يجذب الآذان هوَ إعلان الحق الذى كان يقدمه بجرأة ـ وبحجة إقناع وبقوة وسلطان..

كتب عنه بيتر لويس يقول :

«بعض الوعّاظ يقدمون للناس أموراً كثيرة إلا الحق! ـ والبعض لا يقدمون أى شئ بخلاف الحق.. أما مارتن ليود چونز فقد تجنب كلا الخطأين.. إذ كان يعظ بالحق ليقدمه للإنسان وليقدم الإنسان للحق.. كانت خدمة مركزها المسيح وأقطابها الناس.. لم يكن أبداً يتبع أسلوب «هوذا الحق ـ اقبله أو اتركه!» لكنه كان يبدأ حيث الناس والاحتياج.. ثم يأتى بهم فى الموضوع الذى ينبغى أن تكونوا فيه.. كانت رسالته منطقية Logic، وعاجلة On Fire.

ـ كان مارتن ليود چونز ميثودستى كالڤينى ـ لكنه كان أيضاً بيوريتانى.. فقد جمع بين الفن التنظيمى وبين الوعظ التفسيرى.. وعاد بهما للكنيسة مرة أخرى.. كما قال فى كتابه «الوعظ

والوعّاظ.. » إن الوعظ لابد وأن يكون تفسيري.. مبنى أساساً على كلمة الله.

وأعاد مارتن الفكر الإصلاحى وأساس العقيدة للكنيسة الإنجيلية .. وإحياء الفكر الإصلاحى مرة أخرى فى بريطانيا بعد إهماله مدة طويلة ـ بفضل حماسته وغيرته المشتعلة..

لقد آمن دكتور مارتن «بالجانب الاختبارى» للحياة المسيحية ـ فى إيمان البيوريتان ـ ولهذا غالباً ما كان يطلق على نفسه اسم «رجل القرن الثامن عشر» .. وكما كتب بيتر لويس عنه قائلاً:

«قدم مارتن چونز رسالة حية ـ لكل زمان ـ عن أهمية الفكر من أجل حياة سليمة.. وفى نظره أن الحياة المنتصرة لا (تقوم) على الخبرة (مزعومة أو حقيقية) ـ بل على الفهم السليم، وبالإيمان بالحق المسيحى الذى يعلن أنك ابن لله.. والعقيدة المسيحية هى الأساس لكل السلام والفرح الحقيقى..

لقد قدم الدكتور چونز لجيل كامل من الشباب الإنجيلى قوة الروح القدوس الممسوحة فى الوعظ التفسيرى واللاهوتى..

كان مارتن ليود چونز ـ خادم صاحب رؤية ـ عن وحدة جسد المسيح ـ

هدفه إعلان رسالة الخلاص لعالم ساقط .. وإذا كان دكتور مارتن يحلم بوحدة إنجيلية حقيقية فى بريطانيا.. فإنه قد حقق ذلك بنجاح مطلق فى مؤسسة IFES التى ساعد على تأسيسها وتعضيدها فى أيامها الأولى وإذا قلنا أن نضع تراثه فى متاحف.. فإن كتبه تعد المتحف الأول لعبقرية ونتاج فكره وعظاته ومحاضراته.. بينما تعد مؤسسة IFES متحفاً آخر من متاحف «فنه» .. والتى بقيت خير شاهد لكل ما آمن به وحارب لأجله.. كان بعقله المتقد يعلم أهمية الأمور التى يجب وضعها أمام العدسة للفحص والدراسة ثم لاتخاذ الخطوات اللازمة بشأنها.

وأكثر من ذلك .. فإن الـ IFES يعد بحق اتحاد فريد لكل جسد المؤمنين ـ بطوائفه ـ وألوانه وأجناسه.. جسد واحد مركزه المسيح..

أما أعظم متاحفه على الإطلاق.. فمنهم هؤلاء الآلاف من البشر الذين تغيرت حياتهم بفضله سواء عن طريق كتبه أو عن طريق احتكاك مباشر معه..

وأخيراً.. دفن مارتن ليود چونز فى مدافن عائلة فيليبس فى ويلز الحبيبة. ـ وفى نفس القرية جاءت منها عائلة أمه.. وهناك أيضاً دفنت زوجته التى ماتت بعد ١٠ سنوات بالضبط من وفاته، وكتبت على مقبرته الكلمات التى أراد دائماً أن يتذكره بها الجميع، وهى نفس

كلمات بولس الشهيرة لأهل كورنثوس :

«لكنني لست أبغى أى شئ بينكم.. إلا المسيح يسوع وإياه مصلوباً».

الفصل الرابع

چيمس پاكر James Packer

چيمس پاكر في كلمات :

في عام (١٩٢٦)... ميلاده

(١٩٤٠)... طالب في جامعة أكسفورد، ثم تخرج في عام (١٩٤٨)

(١٩٤٨)... كلية "أوك هيل" ـ لندن

(١٩٤٩)... العودة إلى أكسفورد

(١٩٥٢)... الرسامة كخادم في برمنجهام

(١٩٥٤)... زواجه (تبنيه ثلاثة أطفال)

(١٩٥٥)... قاعة تندال ـ حيث يقوم بأعمال تعليمية أكاديمية في بريستول

(١٩٦٠)... يصدر الكرازة وسلطان الله

(١٩٦١)... عودته إلى أكسفورد ـ لايتميرهاوس

(١٩٧١)... يصدر كتاب ـ "معرفة الله"

(١٩٧٣)... عودته إلى بريستول ـ وتدريسه في كلية الثالوث

(١٩٧٨)... أستاذ في كلية رجنت وڤانكوڤر/كندا..

ولد اللاهوتى المعروف چيمس إنل پاكر فى جلوستر عام ١٩٢٦ - وهو ابن چيمس برس پاكر الموظف الحكومى فى شركة خطوط السكك الحديدية، وزوجته دورثى مارى پاكر - مدرسة.. - كان طفلاً انطوائياً مولعاً بالاطلاع - ماهراً يفضل القراءة والدراسة على أن يكون اجتماعياً مع أقرانه من الأطفال.. كانت أسرته فى الأصل من مقاطعة أكسفورد لكنها نزحت إلى جلوستر التى كانت على الجهة الغربية لبريطانيا.. وكان جده حارساً - لينور ليون - فى كالفورد - فى وادى ستروو - ثم عمل جده كمزارع فى مقاطعة أكسفورد، وفقد جده كل رأسماله عندما ألم مرض خبيث بقطيعه... وهو (أى پاكر) جاء من أسرة انجليكانية - ولكن كما قال لى.. لم نكن نتحدث عن المسيحية ولم يكن يحب الذهاب لمدرسة الأحد.. ولكن فقط كان يحضر الكنيسة مع والديه ولكن كان ابن أحد الخدام النيوتريان(١) يثير شكوكه فى المسيحية.. وعندما بلغ الخامسة عشر من عمره - رفض أفكار النيوتريان وبدأ يفكر بعمق، ولكنه لم يشك أبداً فى حقيقة الله. وقد قرأ پاكر الكتاب المقدس بجانب عدة كتب دينية أخرى فى المكتبة المحلية - ودافع عن الإيمان الانجليكانى فى مناظرات مع الملحدين فى المدرسة..

---

(١) مدرسة الوحدانية التى تؤمن بأن الله واحد لا ثالوث - ويطلق عليهم (منكرو الثالوث) - المترجم

وعندما بلغ پاكر السابعة عشر قرأ كتابين شهيرين (إس. س لويس) وهى مسيحية فحسب، ورسائل Screw Tape Letters، ولكن المسيحية أبقت فى نفسه مجموعة أفكار.. وحتى هذا الوقت لم يكن لپاكر علاقة شخصية مع الله حتى حاول بعض أصدقائه القدامى الذى اختبر المسيح أن يشرح له ما حدث معه.. وكيف غير المسيح حياته، ولكن پاكر كان متحيراً جداً بالنسبة لاختبار زميله.. وفى عام ١٩٤٥ - اكتسب پاكر مكانته فى كلية كوربوس كريستى فى أكسفورد.

أكسفورد والتجديد :

ذهب پاكر لأكسفورد باحثاً عن الحق ودرس اللغات اليونانية واللاتينية والتاريخ والفلسفة، وأثناء الفصل الدراسى الأول اشترك مع فرقة موسيقية تعزف الجاز كعازف لآلة الكلارينيت. كان پاكر (مازال) متحمساً لفريق الجاز، وقد وجد فى الموسيقى تجربة عاطفية جيدة.. وقد أعجب پاكر بالموسيقيين مثل كنج أوليفر، لويس أرمسترونج، مورتون، بشيرت، وبانك چونسون، وقد شعر أن فريق الجاز الذى بدأ من العشرينات (فى شمال أمريكا) يعد أعظم إنتاج حضارى ذو قيمة حتى الآن.

وقد شارك پاكر بوجهة نظره هذه مع أصدقائه المقربين : هانزر وكماكر

وفرانسيس شيفر، وقد لاحظ أصدقاؤه المعاصرون شغفه وحبة العميق للجاز كنقيض لموسيقى الأوركسترا والتى تعكس شخصيته الانطوائية ـ ولكن بالنسبة له ولروكماكر كان الجاز المصاحب للموسيقى هى عمل ينمى المشاعر..

ولم يكن پاكر يعزف موسيقى فقط بل أيضاً يعمل فى المكتبات بجدية، وقد حفظ وعده بأن يتصل بالمسيحيين فى الجامعة لذلك انضم پاكر لخدمات إنجيلية كان ينظمها الاتحاد المسيحى فى جامعة أكسفورد، وهناك استمع إلى عظة كان يقدمها الواعظ المعروف القس ايرل لنجستون من وايموث ـ حتى إنه قال "لقد سقطت الغشاوة من عينى وأبصرت الطريق".

ويذكر پاكر اختباره أنه كان عادياً ولم يكن مثيراً.. لكنه جعله يدرك أين ينبغى أن يكون.. توقف پاكر عن عزف الجاز جزئياً لأنه شعر أنه لم يكن يعزف جيداً ـ ولكن اختباره الإيمانى الجديد صنع نوعاً من الاختلاف.. فقد انضم الآن إلى مجموعة "الاتحاد المسيحى" المعروفة باسم "القراءات" حيث تقام مساء كل سبت ـ وكان هذا يتعارض مع فريق الجاز الذى كان يقوم بالعزف فيه فى نفس التوقيت. وكان السبب الحقيقى لقراره هذا مؤسساً على ما جاء فى ١كو٦:١٢ "كل الأشياء تحل

لى ـ لكن ليس كل الأشيـاء توافق" لأنه كـونه مـسـيـحى ـ كـان يـحل له عزف الجاز إلا أن ارتباطه بالموسيقى جعل منها أولوية أخرى..

وساعده فى بداية طريق الإيمان سى. بى هاريسون والذى كان معروفاً للعـديد من الطلبـة باسم "هارى بين" وسـاعـده أيضـاً زمـيله فى الاتحـاد المسـيحى "رالف هيـولم" . حيث كـان هيـولم يحضر فى كنيسة سانت الذات التى كـان يعتـبرها أضعف من كنيسـة سـانت اريبى التى كـان يحضرها معظم أعضاء الاتحاد المسـيحى فى أكسفورد أيام الآحاد ـ للعبادة.

لذا وبالرغم من انضمامه لجماعة الاتحاد المسيحى ـ إلا أن قراره بأن يتبع هيولم ويحضر كنيسة سانت الذات.. وقد كان لهذا القرار أثر سلبى إذ رفض من انتخابات الاتحاد المسيحى الذى رشحه لها چيمس هيوستن لكونه "لا يمكن الاعتماد عليه".. الأمر الذى تستغربه اليوم..

اكتشاف اليـيوريتان (التقويين)[٢]:

ذاعت سمعة پاكر فى كامبريدچ عندما عين أميناً للمكتبة فيها.. لما عرف عن پاكر من شغفه بقراءة الكتب، وقد أهدى القس بيكرد (شيخاً

(٢) جماعة دينية ظهرت فى بداية القرن السادس عشر ـ ترفض الاختلاط والاندماج فى المجتمعات المدنية الحديثة بكل صورها ـ المترجم.

علمانياً ضريراً) باكر مجموعة من الكتب اللاهوتية ـ من بينها ـ مجموعة كتب "چون واين John Owen" الذى كان من أعلام التقويين (البيوريتان) ـ فى القرن السابع عشر، وكانت تتضمن هذه الكتب مجموعة من أشهر النبذ مثل "الخطية الساكنة" والتى تجاوبت مباشرة مع احتياجات باكر.. بل وكانت وقفة هامة فى حياته، وكان لها تأثير كبير على مستقبله، فالعقيدة التى اكتشفها لم تكن مجرد علماً جافاً ولكنها دراسة عملية عن الإله الحى. وكان فى ذلك الوقت يوجد العديد من التعاليم الخاطئة فى أكسفورد وبعضها كان موجوداً داخل الاتحاد المسيحى نفسه مثل التعليم الذى يقول إنه حتى هؤلاء الذين اختبروا التجديد يحتاجون الى اختبار آخر أعمق عندما يقبلون "التبرير" بالإيمان، فإن الصراع سيزداد. ولكن چيمس باكر أدرك أن هذا التعليم غير صحيح ليس فقط للحياة بل للاختبار المسيحى.. ولكنه كان فى هذا الوقت شخصياً منعزلاً تماماً ـ وقد جعلته هذه العقيدة الخاطئة قلقاً جداً.. وقد شعر أن هؤلاء الذين يتبعون هذا التعليم إما أنهم متشردون تماماً أو أنهم يضحكون على أنفسهم بأنهم يستطيعون الخضوع لوصايا وتعاليم الله..

وفى كتابه "معرفة الله" ـ فى فصل بعنوان ـ "التجارب الداخلية" أشار چيمس باكر إلى أن الكتاب المقدس ضد هذه العقيدة، وقد قرأ

باكر كتاب "الأسقف رايلى العظيم" عن القداسة والذى اكتشف فيه أن رايلى أسس تعاليمه فى كثير من الأحيان على عقيدة البيوريتان.. وقد وجد أن عقيدة الاستنارة الداخلية لقلب الإنسان هى عقيدة حقيقية ـ فقد أعطت له اهتماماً وبصيرة روحية عميقة ـ واكتشف بعض الطلبة الآخرين أن البيوريتان أعطوهم نفس الأساس الكتابى الصلب وتلك العقيدة الراسخة التى كانوا يبحثون عنها.. ومنهم رايموند جونسون الذى أصبح فيما بعد مديراً لمنظمة كيرترست ـ ومنهم أيضا ـ إليزابيث ليود جونز ـ والدتى ـ والابنة الكبرى للدكتور مارتن ليود جونز..، وكانوا يتقابلون فى مطعم بريطانى ليناقشوا القضايا اللاهوتية التى تعرض أمامهم وكانوا على اتصال ببعضهم من حين لآخر..

الدعوة للخدمة :

نما لدى باكر إحساس عميق بأن الله يدعوه للخدمة المتفرغة وليكون له دور تعليمى فيها.. وقد لمعت الفكرة أمامه فى حوالى فترة ثلاثة أشهر ـ وفى أحد أيام الآحاد الطويلة، وبالتحديد مساءً ـ خلال خلوته أمام حضور الله ـ تأكد أنه ينبغى أن يدخل الخدمة.. وقد شعر باكر مثل مارتن ليود جونز ـ أن الخدمة ليست مجرد شعور داخلى بالدعوة بل إنها دعوة خاصة من الله لا يمكن رفضها.. لكنه استمر فى تردده ـ

وربما يرجع هذا إلى كونه انطوائياً وقادراً على القيام بمهام العمل الرعوى ـ وقراءة كتب البيوريتان والتى شجعته على اتخاذ قراره.. وقبل تخرجه فى عام ١٩٤٨ ـ جاءه عرض "بعناية الله الصالحة" من كلية اللاهوت الانجليكانية فى (أوك هيل) ـ بالقرب من لندن ـ لأنهم كانوا فى احتياج لتدريس مادة اللغات الكلاسيكية لتلاميذ المرحلة المتوسطة وشخص آخر لتدريس اللغة اليونانية.. وكان فى نفس الوقت يستعد لبدء التدريب على رسامته للخدمة الانجليكانية.. ولكنه بدأ يتردد ثانية إذ كان يعلم أن (أوك هيل) ستكون مجالاً مختلفاً خاصة وأنه سوف يدرس بعض الفلسفة... كان عاماً دراسياً رابعاً، فقد درس رسالة أفسس وتخرج كل تلاميذه، ووجد پاكر نفسه شغوفاً ومستمتعاً بمهنة التدريس برغم أنه لم يتدرب عليها.. وفى أوك هيل أصبح ـ پاكر قريباً من آلان سبتسر الذى كان معلماً للكتاب المقدس، وقد استفاد آلاف الطلبة من كتابه "فتشوا الكتب" الذى قوى وشجع علاقتهم وفهمهم للكتاب المقدس. وبعد سنة ـ عاد پاكر إلى أكسفورد حيث قلت الاتجاهات الفكرية القديمة التى أثرت على عقله مثل الأفكار التقوية فى جماعة الاتحاد المسيحى والتى كانت تنادى بالتقوى الشخصية.. بينما كان هناك الأثر الرعوى والاختبارى الناتج عن قراءة كتابات البيوريتانيين ـ أمثال پاكستر واوين وهذا جعل پاكر أن ينضم مثل

مارتن ليود چونز لاتحاد الكنائس المستقلة الحرة.

ثم كان هناك ما وصفه پاكر بـ "التراث الإنجيلى البروتستانتى" فى كنيسة انجلترا.. حيث كان شيفر يشعر بأن التراث له ركيزتان : الأولى هى البروتستانتية الوطنية - التى قامت ضد الكنيسة الكاثوليكية وضد أصحاب النبذ (المقصود بهم الأنجليكان الذين حاولوا العودة بالكنيسة إلى عصر الطقوس فى القرن الأخير)، وكان ذلك قبل صدور كتاب الصلاة ١٦٦٢ - بهدف تثبيت تقاليد العبادة البروتستانتية التى يحتويها هذا الكتاب.. إذ شعر پاكر أن هذه المجموعة تتجاهل التميز الحقيقى الذى تتمتع به الكنيسة الانجليكانية فى عقائدها وليس فى احتفالاتها أو فى شكل عبادتها..

الركيزة الثانية : هم الانجيليون التقويون الذين ترجع أصولهم لنهضة القرن ال ١٨، ويركز هؤلاء الانجيليكان على الفوز بالمتجددين وتقسيمهم لمجموعات شركة.. إلا أن العقيدة هنا لم تكن فَعّالة الأمر الذى دفع بكثير منهم أن يتحولوا إلى اللاهوتية التحررية..

وللأسف فإن الركيزتين السابقتا الإشارة إليهما والخاصة بالبروتستانتية والكرازة - لم تتضافر جهودهما فنتجت كنائس لها غيرة بروتستانتية لكنها لا تهتم بالكرازة... وكنائس كرازية ليس لها أساس

من الفكر الإصلاحى.

أما باكر فقد وجد فى الأسقف رايل امتزاج العقيدة والكرازة.. حتى إن كتاباته أثرت فيه كثيراً وأكسبته "فكراً إنجيلياً انجيليكانياً" الذى استقاه وتأكد فيه بل وزوده بأطار عقيدى وبمشورة رعوية وكرازة استطاع باكر تأسيس فكره الخاص عليها..

ولأن رايل والبيوريتان كانا كليهما كالڤينيين، كان باكر ميالاً أيضاً لنفس الاتجاه... ـ لكنه ـ مثل مارتن ليود چونز ـ كان يدعو نفسه "كالڤينى ـ الكتاب المقدس" أكثر من كونه كالڤينى نظامى ـ وبعد قراءته رسالة العبرانيين عدة مرات ـ عاد فقرأ رسالة رومية مما رسخ عنده هذا الفكر الكلڤينى.. وقد كان باكر يؤمن أيضاً أن الله قادر أن يجعل التعليم فى متناول الجميع وفى مستوى الذين من درجة الرهبانية الثالثة".. وأن هذه هى مهمته..

الشخص الثانى الذى أثر فى شخصية باكر هو مارتن ليود چونز "الدكتور" الذى كان يعتد بوجهة نظره وأطلق عليها "المنزلة الأسمى" ـ وقد أعجب باكر جداً بوعظه عندما سمعه لأول مرة فى إحدى أمسيات الآحاد فى كنيسة ويستمنستر خلال عامى ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩. وقد قال عنه "لقد جعلنى وعظه أشعر بالله" أكثر من أى شخص آخر.. حيث

كان مارتن چونز يعظ عن "الوعظ الحقيقى" من متى ١١ ، وكان استماعه لمارتن چونز يعد بمثابة الاستماع لفريق أوركسترا كامل بعد سماع عزف بيانو منفرد ، وقد تعلم منه پاكر "عظمة الله ـ ورفعة النفس البشرية".

آفاق جديدة :

كان عام ١٩٥٢ عاماً خاصاً فى حياته، فقد تعرف على "كيت" زوجة المستقبل فى مؤتمر انعقد فى نورث دونر فى كنت ـ ولأن المتكلم كان مرتبطاً بموعدين فى نفس الوقت فقد اقترح على پاكر أن يأخذ دوره فى تقديم العظة.. كانت كيت ممرضة فى مستشفى سانت بارثوليمو فى لندن ـ حيث تلقى مارتن ليود چونز تدريبه الطبى.. وقد تزوجا پاكر وكيت فى عام ١٩٥٤ ـ فى نفس العام ـ الذى تزوجت فيه إليزابيث إليود چونز من فريد كاثروود.

ـ ولبيكر ـ ثلاثة أطفال ـ تبناهم، هم :(روث) التى تزوجت وعاشت فى بريستول بينما لم يزل نعمى ومارتن يعيشان مع والدهم فى كندا... حيث أصبح چيمس پاكر أستاذاً فى جامعة ڤانكوڤر.. وكان يعود إلى بريطانيا على الأقل مرتين فى السنة ليرى عائلته التى تتضمن أخته التى عاشت فى ريدنج وأصدقاءه ـ ليود چونز ـ وبعض الجيل الجديد الذى

تأثر من كتاباته..

- رسم بيكر قسيساً عام ١٩٥٢ - وأصبح راعياً مساعداً لوليم ليثم - راعى مصلح موهوب - وبالإضافة لذلك... انضم پاكر منذ البداية مع الدكتور مارتن چونز فى مؤتمر دراسات البيوريتان والذى كان يعقد بانتظام - كل عام - فى كنيسة ويستمنستر. كما اشترك أيضاً فى نهضة اللاهوت الإصلاحى الذى ترأسه الدكتور مارتن چونز فى بريطانيا. لكن پاكر بقى على عقيدته الانجليكانية لأنها تراث الكنيسة الانجيلية، ومكث فيها حتى يعمل من أجل الإصلاح والتجديد الداخلى.. وبالنسبة له كان الانجيليون سواء الذين من الكنيسة المستقلة أو الانجليكانية "كليهما يركز على التقوى والصلاح"، لذلك كان متمسكاً بقراره ولم يندم قط عليه.. وكان يرى أن الطقوس لم تكن ذات أهمية مطلقة.. إذ كانت فكرته التى بدأت منذ عام ١٩٥٢ بأن الذين ينتمون للكنائس المستقلة (الحرة) [المتمسكون بتفسير اللاهوت الإصلاحى] كانوا يشجعونه على بقائه انجليكانياً.. وستأتى أهمية هذا الموضوع فيما بعد فى الستينات عندما ناشد الكنسيون المستقلون أمثال - مارتن چونز - أتباعهم الإنجيليين أن يتركوا الكنيسة فى انجلترا وينضموا لاتحاد الكنائس الحرة المستقلة فى الخارج.

مجادلاً بارعاً..

كان پاكر يدرك تماماً أن الجانب الأبرشى لخدمته لم يكون دعوته الحقيقية. لذلك فى عام ١٩٥٥ وصل إلى مغزى دعوته ألا وهو التعليم. بدأ پاكر أولاً كمحاضر فى قاعة تندال فى بريستول - كلية اللاهوت الانجليكانية، ولكنه سرعان ما وجد نفسه مطلوباً كمتحدث فى اللاهوت وبالتحديد فى مؤتمرات انترڤيرسيتى Inter Varsity، وكذلك فى مؤتمرات طلبة اللاهوت، وبينما كان يقتبس من أفكار مارتن - چونز - كان پاكر له تأثيره على العديد من الأجيال الذين أصبحوا خداماً وأساتذة بعد ذلك.

ويفسر روبر هورن بأنه حتى الخمسينيات من هذا القرن - كان الإنجيليون يقظين لاهوتياً لأن العديد من الطلبة الإنجيليين قد فقدوا معتقداتهم المميزة عندما التحقوا بالدراسة فى جامعة اومتى - وبالتالى فإن الإنجيليين تراجعوا إلى التُّقوية - العالم غير العقلى بالنسبة لهم. وبالتالى ظهرت فى الساحة قضايا روج لها اللاهوتيون المتحررون.. وقد بذل مارتن چونز جهداً كثيراً ليبدد هذا الشعور بالنقص، وأيده پاكر فى ذلك عن طريق إلهام مجموعة من الشباب اللاهوتيين بأحساس عقلى عن الثقة بالنفس فى مواجهة اللاهوت المتحرر والذى لم يكن له وجود

من قبل..

وحقيقة أن الشخص بإمكانه أن يكون إنجيلياً تماماً بوجهة نظر محافظة كتابياً - وبدفاع عقلى معاً فى وقت واحد، لهو إعلان مطلق لكثير من الناس الذين استمعوا لكلمة پاكر فى كتاب "فضح كامل التحررية" - حيث قدم فيها صورة كلية من الدفاع الإنجيلى عن الحق الذى استقاه الطلبة من مصادر مختلفة..

الأصولية :

كتب پاكر كتاباً أكسبه شهرة كبيرة كإنجيلى هو "الأصولية وكلمة الله" الذى صدر عام ١٩٥٨ وفيه أسس پاكر دفاعاً صلداً عن الموقف الإنجيلى - وقد أظهرت حملات بيللى جراهام التبشيرية فى ١٩٥٤، ١٩٥٥ نوعاً من الإدراك الجديد للمذهب الإنجيلى - تبعه نمو سريع للاتحادات المسيحية فى الجامعات. وقد أدى هذا إلى نوع من الذعر والشعور العدوانى من جانب المؤسسات المهددة للكنيسة واتحاداتها - وهو أن الإنجيليين قد تهاونوا كثيراً مع رواد الظلام وأعداء العقل والتفكير.. وكان للناقد الحاد "ميشيل رامس" دوره الهام بمقاله "أصوليتنا الإنجليزية" والذى كان هدفه نقد إرسالية چون ستوت.. ثم تبعه هجوم آخر حاول أن يظهر العقيدة الإنجيلية كما لو كانت ظاهرة

جديدة وأنها مجرد رد فعل للدراسة الكتابية الجديدة والاكتشافات العلمية الحديثة.. لذلك طلب من پاكر أن يدافع عن هذا الاتجاه ـ فى قاعة تندال... حيث أوضح پاكر أن الأمر برمته لا يحتاج إلى إجابة مطولة وحاسمة، وأن الأصولية هى العلاج.. لم يكن الكتاب يظهر ضعف الموقف الليبرالى المتحرر فحسب بل أظهر الإيمان الانجيلى العقلى والذى يستحق الدفاع عنه، وأن المذهب الإنجيلى هو الذى يميزهم عن هؤلاء الأصوليين ـ أضداد العقل ـ ووضع الحركة الليبرالية الانجيلية فى صورة كاريكاتيرية.. وكان يهدف پاكر للتشييد والبناء من خلال المجادلة لوضع مدخل حقيقى للكتاب المقدس.. وقد أظهر پاكر أن المذهب الانجيلى ليس استنارات داخلية منعزلة ومتفرقة ـ كما تصورها ـ المسكونيون واللاهوتيون المتحررون ـ لكنه لاهوت منظم ومتكامل ومؤسس على أساس واحد فقط. أما عن الانشقاق الانجيلى ـ الليبرالى ـ فقد كان سببه موضوع "مبدأ السلطان" وهى النقطة التى يفضلها الليبراليون (المتحررون). وقد قال پاكر فى ذلك "إن المسيحية الجديرة بالتصديق هى التى تركز على سلطان الكتاب المقدس" ـ بينما وضع الكاثوليك التقليد، والليبراليون العقل الإنسانى كسلطان محل الكتاب المقدس ـ الأمر الذى أبعدهما عن الحق...

ويعتقد پاكر أن المذهب الانجيلى ليس هو إلا مسيحية من حيث

المبدأ.. وقد نسيت الأصولية هذا من مبدأ خوفها من استعمال العقل، وهكذا فقدت العقلانية الانجيلية ـ ويناقش پاكر هذا الموضوع قائلاً "كل الحق هو حق الله" وأن المنطق الصحيح لا يشكل خطراً على الايمان الصحيح، وهو عقلانية واثقة، وتعبير قوى عن الايمان بالله الذى كلامه حق، وعلى هذا فإن العقل ـ التفكير هو جزء من التقليد الانجيلى التاريخى.. وينبغى على الانجيليين أن يرفضوا أولاً الرقعة الأصولية من بينهم ـ بعدها يستطيعون ببساطة أن يطلقوا على أنفسهم أنهم مسيحيون.

أما الليبراليون المتحررون فقد فشلوا فى رؤية السلطان كقضية مفتاحية، لذلك فهم لا يعرفون عما يتحدثون. فموضوع السلطان هذا مهم جداً لأن المسيحية مؤسسة على الحق وعلى ما يعلن الحق الالهى بأن الانجيلية مؤسسة على الموقف المسيحى الأصيل وهو أن الكتاب المقدس كامل ومفهوم.. وهو كلمة واحدة تجمع العهدين القديم والحديث معاً ـ وتطبيق هذا السلطان يفهم فى أن الكتاب المقدس يجب أن يسيطر على الطرق والافتراضات التى ندرسه بها.. مع العلم بأن الموقف الليبرالى بصفة عامة غير موضوعى، ويرتكز أساساً على العقل البشرى. كما فشل هؤلاء أيضاً فى رؤية الكتاب المقدس كعمل إنسانى متكامل وعمل إلهى تماماً فى نفس الوقت. فالكتاب المقدس هو رسالة الله.. وليس

مجموعة كتابات متميزة تحتوى على عناصر من الحق ـ فالكتاب هو موحى به من الله ليس فيه أي خطأ.. وادعاء الليبراليين بأن الإنجيليين إظلاميين وغير عقلانيين لهو ادعاء باطل، وبينما هم يقولون ذلك ـ يرفضون مواجهة كل الوقائع عن طريق رفض المنطق المسيحى..

ـ على المسيحيين الحقيقيين أن ينقادوا بالإيمان المعقول المنطقى ـ ونقصد بالمنطق هنا ـ أن نقبل تعاليم الله ـ والمنطق قد يكون علمياً أو شيئاً آخر ـ ويعنى تقييم الأشياء وتقديرها حق التقدير، وتحليل الكتاب وليس التشكيك فى حقيقته !

والأهمية الثانية فى العقل هو تطبيق كلمة الله فى حياتنا، وللأسف فأن كثيراً من مسيحيي اليوم قد نسوا هذا لأن الله "كما يقول پاكر ـ دائماً أمين على كلمته" وهذا نراه فى موقف يسوع ـ فى انجيل متى ـ بأن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك ـ ومن كل قدرتك.. فالعقل هنا أحد الطرق فى توصيل رسالة الإنجيل للآخرين.. ومن ثم فأنه ليس هناك صراع بين العقل والإيمان إنما المعركة الحقيقية هى بين الإيمان ورفض العقل أو بكلمات أخرى ـ بين السلطة والذاتية.. لقد اختلط عقل الليبراليين بالتفكير الدنيوى المعاصر ـ الأمر الذى أدى إلى تشويه أفكارهم فى الكتاب المقدس.. وهذا ينطبق أيضاً على الليبرالية الحديثة

التى تعترف بالمسيح وبالأمور الفوق طبيعية Supernatural ـ ولكنها للأسف لا تقبل المنطق وتعترف بحقيقة موقفها.. وتصطدم بالمنهاج القديم وذاتيتها..

يجب أن يدرك المسيحيون أنهم قد أدركوا حق الله فقط من خلال شهادته لنفسه ـ عن طريق كلمته فى الكتاب المقدس ـ وقد كتب پاكر كتاباً لجيل الخمسينات ـ كان بمثابة ـ "إصابة قوية للهدف" لأن پاكر لم يكن يتحدى الخصم بعنف فحسب بل كان يقدم أفكاره بطريقة تعطى الإنجيليين عقيدة كاملة عن الكتاب المقدس، وقد عبر هذا عن ما يؤمن به الطلاب اللاهوتيون الأحداث إنما بطريقة عقائدية نظامية..

ـ وقد غير كتاب پاكر ومحاضراته فى المؤتمرات ـ عقل وتفكير جيل كامل من الطلبة حتى أن بعضهم أصبحوا خداماً ومعلمين، وبطريقته هذه حول طريقة التفكير الإنجيلية التى كانت سائدة إلى طريقة أخرى تسود فى أيامنا هذه، وأصبح الناس يثقون فى الكتاب المقدس دونما خوف من العقل ـ وقد قدم پاكر العقيدة بطريقة مثيرة أمام عامة الناس والتى كانت من قبل مضجرة ويتجنبها عامة الناس.

قاعة تندال :

كان پاكر محاضراً نشطاً فى قاعة تندال - حتى إن ديك فرانس والذى أصبح أستاذاً للعهد الجديد فى كلية الكتاب المقدس - بلندن - قد علق على محاضراته قائلاً... "لقد جعلنا نشعر بالأفضل"حيث كان پاكر يدرس الكتاب المقدس واللاهوت التاريخى واللاهوت المنظم - وقد أيقن الطلاّب بأنهم إذا استطاعوا أن يدونوا محاضراته لسوف يحصلون على فكر لاهوتى ولامع مما يجعل من السهل قرائتها بعمق فيما بعد... فهو ينتقل للأفضل - ويلقى نظرة فاحصة - ثم يبدأ فى الحال. أما فى مناقشاته - فلم يكن پاكر مترفقاً مع هؤلاء الذين لا يثابرون حتى تتضح المسألة ويكون دائماً ماهراً فى طريقة تناوله للأسئلة...

- وكما عرفنا من قبل - لم يكن پاكر اجتماعياً - ولم يكن قوياً فى الجانب الرعوى أيضاً.. ويذكر بعض طلابه.. أنه لم يكن مجادلاً سلساً حتى فى أثناء تناولهم للوجبات - لم يكن يعزف أبداً على الكارينت أمام الطلبة فى تندال - لكن - كمارتن چونز - كان يحتفظ بذاكرة قوية ودقيقة للأسماء -

- وقد وصف ديك فرانس زيارته مع پاكر للاتحاد المسيحى فى أكسفورد - حيث أعطى محاضرة كتابية صلدة.. بعدها - قدم پاكر رسالة

أخرى قوية ـ جذابة ـ لكنها لم تكن ذات مستوى رفيع كسابقتها..كان باكر فى كل أحاديثه، دائماً يعلم الناس ألا يفكروا فى أنفسهم، وربما يكون هذا أعظم مساهماته فى الخدمة..

الكرازة وسيادة الله :

فى عام ١٩٦٠ ـ أوشكت إرسالية لندن على الانهيار ـ فوكل باكر للمساعدة هناك.. وكان باكر يظن أن خدمة الإرساليات لم تكن موضوعه ـ لكن الأحاديث التى قدمها للطلبة عن هذا الموضوع أوضحت خلاف ذلك... فقد أنتجت كتاباً مميزاً "الإرسالية وسيادة الله"، وبفضله أصبح اللاهوت المصلح أكثر شيوعاً خاصة بين الطلبة. وبالنسبة للناس العاديين كان كتابه "مُرسل من الله" ذا فائدة كبيرة. وقد وضح فى هذا الكتاب أن فكرة عدم التزام الكالفينيين بالكرازة ليس حقيقياً.. فبفضل إيمانهم ـ هم قادرون أيضاً على الكرازة الفعالة للآخرين.. وأكمل باكر... "إن هدفى هو إزالة الشك بين الجمع بسيادة الله والتسليم الكامل له مع مسئولية الإنسان أمام الله.. بل إن العكس صحيح، فأن الإيمان هو الذى يقود المؤمنين بنجاح لإتمام الكرازة.. وأن الإنسان غير قادر على تخليص نفسه بدون الله.

وقد علق باكر أن من المهم أن نتذكر أمرين :

أولاً : مسئوليتنا هى دعوة الخلاص، وأن نذهب لتلمذة جميع الأمم،

ثانياً : إن الكرازة لن تنجح بدون الله.. فأن قوة الخلاص هى من الله نفسه صاحب الدعوة.. أما إذا اعتقد البعض أن الكرازة متوقفة على الإنسان ذاته، وليست على حق وعمل الله.. فأنها بهذا تصبح فلسفة أو عملية غسيل مخ - إنما ليست كرازة - لأنها لا تعلن بيسوع المسيح وقوة الروح القدوس..

إن الكرازة فتحدث له تشوها كبيراً وعبّر عنها البعض بمصطلحات ليست صادقة لمجرد أنها تؤثر على السامعين.. إن نتيجة الكرازة الحقيقية هى حدوث تجديد فعلى..

ويقوم تعليم العهد الجديد على أن الكرازة هى الوعظ بكلمة الله عن طريق المؤمنين - الكنيسة - جسد المسيح.. وأن الموقف الإصلاحى المغالى الذى لا يرى أهمية الكرازة بالانجيل - فهو مخطئ.. وأن أى شخص صغيراً أم كبيراً - بسيطاً أو متعلماً أن يقدم رسالة الخلاص بالكرازة.. إن المهم فى الأمر هو الشهادة - هو أن تقدم رسالة الخلاص بغض النظر عن أن تحصد فى وقتها، فالمهم هنا هو جعل رسالة الإنجيل واضحة ومٌقدمة بأمانة ..

فى قوة الروح القدس :

إن مشكلة البعض نحو الكرازة كعمل أساسى ومهمة على الكنيسة هو عدم الثقة فى قوة وعمل الروح القدوس - وأن النعمة فى حياة المؤمن قادرة على ملئه بالرجاء لكى تنجح دعوة الخلاص وتثمر..

وكما أن الكرازة أساس عملها الروح القدس - إلا أن الإنسان عليه دور هام فى نشر الدعوة مثل توزيع النبذ ووضع الملصقات، وغيرها، بشرط أن تكون هذه المجهودات كلها موضوعة تحت سلطان وسيادة الله لكى تأتى بثمار حقيقية لها.

ومشكلة البعض الأخرى فى عدم الإيمان والثقة برؤية ثمر.. أو هؤلاء الذين يجعلون من الكرازة نشاطاً خاصاً.. لكن السر الحقيقى لإنجاح الكرازة هو الصلاة التى ترفع العمل كله. وبجانب الاتجاه الإدارى الجيد باستخدام كافة الوسائل التكنيكية الفعَّالة فى الكرازة.. الأمر الذى نشَّط من عمل الكرازة كثيراً فى بريطانيا..

ويجب أن تكون الكرازة بلغة الوقت الحاضر - فهذا أمر مهم للغاية.

وهناك ٣ محاور هامة فى عملية الكرازة هى :

١ - وضع تكنيك كرازى فعَّال.

٢ ـ احتياج الإنسان الحقيقى للتوبة ولبشارة الإنجيل.

٣ ـ الأمانة فى عرض رسالة الخلاص.

وأخيراً الإيمان والثقة الكاملة فى عمل الله بالروح القدوس ـ فالله قادر على ما لا يستطيع عليه إنسان ! فكما يقول بولس فى أعمال ١٨ ـ إن الله هو الذى قواه ليستمر فى الخدمة.. فليس هناك سحر فى الطرق الكرازية ـ إنما ـ كل شئ بقدرة الله. وقوة شدة عمله..

ـ علينا أن نثق فى الإله الذى يقيم الموتى ـ ويغير قلب الإنسان ويعطى الخلاص فى حينه... ودورنا يتوقف على مدى أمانتنا فى إعلان الحق الذى بيسوع المسيح.. وهكذا فإن رسالة الخلاص التى نقدمها ـ لن تضيع هباء ـ إنما ستظهر قوة عمل ونعمه الله فى الكلمة..

ـ علينا أن نتمتع بالثقة والجرأة فى الكرازة وألا نحبط إذا لم نحصد الثمر فى الحال.. وفوق كل شئ ـ فإن الصلاة هى عامل هام وأساسى فى تحقيق ثمار الكرازة.. بالإضافة إلى سلطان الله الذى يملأ قلب المؤمن بالثقة فى قدرة الله ـ لا قدرته الذاتية.

الدفاع عن الحق :

أصبح پاكر واحداً من القادة المفسرين للموقف الإصلاحى فى

بريطانيا.. واستمر مع مارتن چونز فى دورهما لدراسة البيورتيانية (التطهرية) خلال مؤتمر ويستمنستر..

- وقد حاول رئيس الأساقفة - (فيشر) وآخرون أن يقودوا الأساس البروتستانتى عن طريق تغيير المبادئ والعبادة وتغيير الـ ٣٩ بنداً أيضاً[٣]

لاتمير هاوس ومناقشة موضوع الوحدة :

فى عام ١٩٥٤ - واجه پاكر اتهامات عديدة بعد مناقشة حول موضوع الدفاع ضد اللاهوت الليبرالى المتحرر.. وشعر نائب رئيس قاعة تندال بقلق شديد بشأن هذه المنازعات فاقترح إنشاء معهد آخر فى أكسفورد لتبنى هذه القضية. وكانت الموافقة كبيرة على هذا المشروع حتى إن التبرعات وصلت إلى - ر١٨ ألف جنيه استرلينى - على أن يصبح - هذا المركز - مركزاً انچليكانياً متخصصاً هدفه مساعدة الانچليكان الإنجيليين فى دفاعهم ضد الليبرالية داخل الكنيسة البريطانية.. وأطلق على هذا المركز اسم «لاتميرهاوس» وهو اسم أحد قادة الإصلاح الذين استشهدوا..

---

(٣) الـ ٣٩ بنداً تشرح نظام قوانين إيمان وعقيدة الكنيسة الأسقفية الانجيلكانية فى إنجلترا.

ولكن ظهرت الصعوبات فى نقص الإنجيلية البريطانية ذاتها ـ فقد سافر هاجى (ارد كامب هاجى ـ أحد أقرب أصدقاء مارتن چونز) إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث أصبح أستاذاً زائراً لكلية اللاهوت فى ويستمنستر للعلوم اللاهوتية فى فيلادلفيا ـ وبدأ ريتشارد كوتسى عام ١٩٦١ فى محاولة لإقناع پاكر أن يترك قاعة تندال فى بريستول ويأتى ليعمل كأمين مكتبة فى لاتميرهاوس بعد ذلك ـ ترك كوتسى المكان وأصبح پاكر بمفرده حيث ذهب بيكوث من بريستول إلى أكسفورد ليعمل كمساعد لكوتسى وكان ذلك فى عام ١٩٦٣.

ـ وكانت أولى مهامه هناك هى مساعدة الذين يحاربون مكيدة اتحاد الكنيسة فى إنجلترا مع الميثودست[٤] حيث كان الكثيرون يرفضون هذه المكيدة، لأن الخدام والقسوس الميثودست لم يرسموا بواسطة الأساقفة لكن السبب الحقيقى من وجهة نظر الانجيليين كان فى موضوع اللاهوت المتحرر الذى تخلل فكر الميثودست.

ـ كان پاكر يقبل تماماً أن فكرة عائلة الله يجب أن تكون متحدة وأن يتمتعوا بشركة العشاء الربانى مع بعضهم البعض وفى كنائس

---

(٤) الميثودست مذهب بروتستانتى ـ من رواده چون، وتشارلز ويسلى، وتؤمن بإمكانية نوال التقديس التام على الأرض.

بعضهم ـ لكن الوحدة الحقيقية ليس هذا فحسب بل هى وحدة الإيمان المبنى على حق الكتاب المقدس فى وحدة المحبة والالتزام الجماعى بنشر الإنجيل .. هنا يمكن أن تنشأ وحدة عضوية كنواة يمكنها أن تكبر وتتطور حتى تتكمل فى النهاية.. لذلك فقد كان پاكر يعرض باستمرار مكان القضايا العقائدية فى كل المناقشات، وكانت الوحدة تعنى له اشتراك كل الكنيسة بكافة طوائفها معاً فى خدمة نشر الإنجيل فى بريطانيا.

ـ فى عام ١٩٦٣ كان الموضوع الأساسى الذى حققت فيه الكنيسة الانچليكانية هو وحدة الكنيسة.. وكان الخصم الوحيد هم الأنجلو ـ كاثوليك .. وقد تم تعيين پاكر عضواً فى اللجنة المفوضة لبحث هذه القضية... وقد استحسنت اللجنة الوحدة بين الكنيستين على أن يتم ذلك على مرحلتين، ولكن تقريرها شمل ملاحظة اعتراضية من بيكر فهو لم يكن فقط ضد المبدأ الذى تقوم عليه الوحدة وهو تخفيض الناحية العقائدية إلى الحد الأدنى منها... ولكنه أيضاً يواصل المرحلة الواحدة التى تضع الكنائس أمام القضايا العقائدية التى كانت تحاول تجنبها ـ وكنتيجة للتعاون الإنجيلى والأنجلو كاثوليكى فشلت خطة كنيسة انجلترا..

النمو نحو الوحدة :

أثناء المنافشة، كان پاكر واثنين من الإنجيليين الذين اشتركوا معه وهم كولين بوشتان ومايكل جرين - قد عملوا مع اثنين آخرين من قادة الأنجلو - كاثوليك - هم كانون اريريك ماسكال، وجراهام ليونارد (الذى أصبح فيما بعد أسقف لندن) - وقد شعروا أن بينهم أرضية مشتركة أكثر من الماضى وكان هذا مشجعاً على اكتشاف المزيد، وكانت النتيجة أن أربعة منهم (كان ميشيل جرين بعيداً) كتبوا كتاب تحت عنوان «النمو نحو الوحدة» وبالطبع فأن پاكر قد شارك بالجزء التعليمى الخاص بالعقيدة التى هى أساس أى كنيسة فى المستقبل، وكان الأنجلو كاثوليك على عكس الليبراليين سعداء تماماً بأن يكون الـ ٣٩ بنداً أساس عقيدتهم.. وتم مناقشة موضوعات بالتفصيل مثل الكتاب المقدس والتقليد، والأسرار (مثل العشاء الربانى) والأساقفة والخدام المرتسمين من غير الأسقفيين، وكل العقائد الرئيسية الأخرى تمت مناقشتها فى هذا الكتاب مع إشارات لإمكانية الاتفاق والتعاون.. وبعدها تعرض الكتاب لموضوع الوحدة واستمر الكتاب فى مناقشة التطبيقات العملية لكنيسة واحدة جديدة.

وكانت هناك مذكرة ملحقة به (١٩٦٩) توضح أن :

« معتقدات وممارسات الكنيسة المتحدة يجب أن تحكمها مبادئ لاهوتية مع إشارة واضحة للكتاب المقدس، ويجب أن تفى الكنيسة بأيمانها بالمسيح كما جاء فى الكتاب المقدس، وأن تسعى لكى تحيا دائماً تحت كلمة الله - وأن تصلح وتعيد تشكيل طريقة حياتها وفقاً لذلك.

والوحدة المحلية يجب أن تكون موجهة حسب إرساليتها والاجتماعات المحلية - كما ينص عليها الكتاب - مهمة جداً (شعر پاكر وآخرون أن مؤيدى الوحدة يمكن أن يكونوا أفضل في الاقتراب إلى الرأى الأساسى) وأن الوحدة الحقيقية يجب أن تتعامل ديناميكياً وأن تنمو وتكون مرنة، وهذا يتماشى مع مفهوم الكنيسة بأنها «ذاتية الإصلاح». حقاً إن الإصلاح هو أساس الوحدة وهذا ألح على پاكر دائماً.

وقد عبر الكتَّاب الأربعة فى كتابهم عن اهتمامهم بأن تصبح الوحدة موجودة برغم الاختلاف والتنوع، فأإذا كان لجسد المسيح أعضاء كثيرة مختفة فأن حياتنا الكنسية يجب أن تكون عادلة فى هذا بلاشك. إن هناك اختلافاً بين الأعضاء فالواحد صالح والآخر شرير وطبيعة الحياة الكنسية أن تشجع الحياة الصحيحة لهؤلاء الأعضاء معاً.. وأيضاً يوجد

اختلاف حيث أن المواهب التى أعطاها الله سواء بالطبيعة أو بالنعمة ليست واحدة بل أنها مختلفة لأبنائه المختلفين ـ وهو يريد أن تستثمرها كنيسته وتحافظ على غنى وتنوع القدرات التى بها.

ووجهة النظر هذه تعتبر طبيعية بالنسبة لشخص فى كنيسة بها تنوع واختلاف فى التأكيدات العقائدية مثل كنيسة إنجلترا.

ولكن بالنسبة للكنائس الأخرى مثل الكنائس الحرة ـ ذهب باكر إلى أبعد من هذا فى بحثه عن طريقة للتوفيق بينهم وبين الأنجلو ـ كاثوليك وقد قام بتنازلات عديدة في هذا المضمار، مثلاً ـ بالنسبة لموضوع السلطة ـ وبالنسبة لعديد من المصلحين كان الأنجلو كاثوليك لا يختلفون كثيراً عن الروح الكاثوليكية، واحتفظت الكنائس الحرة بعلاقات مع باكر بعد الانشقاق الذى حدث فى ١٩٦٦ ـ وحتى بعد أن أعلن الإنجيليون الإنچليكان رفضهم لكل الأدوار التى قام بها باكر وما تبعه من نتائج. فى عام ١٩٦٧ـ كان باكر يؤمن بالكرازة بالإنجيل وكان يؤمن أيضاً بالحوار الأكاديمى ـ نظراً لخلفيته الأكاديمية.

مفترق الطريق :

كان باكر من هؤلاء الذين قرروا البقاء داخل كنيسة انجلترا ليدافعوا

عن عقائدها التاريخية ـ وكان هذا ضد دعوة الانسحاب التى أطلقها مارتن ليود چونز فى عام ١٩٦٦.

وقد أصدر پاكر كتاباً بعنوان «الدلائل»، فقد عبر پاكر أن الإصلاح من الداخل وليس من خارج الكنيسة.. وكانت فكرة إصلاح الكنيسة من وجهة نظر مارتن چونز فكرة غير واقعية تماماً. فالبقاء داخل الكنيسة يعنى المساومة.. وهذا ما كان يفعله پاكر وغيره.. بينما اعتقد فرانسيس شيفر أن المحادثة فى هذا الأمر لن تجدى بشئ. ونصح پاكر بأن يترك مؤتمر البيوريتان ـ لكن پاكر كان دائماً يتبنى موقفاً ثنائياً واعياً بحيث يكون انچليكانياً ولاهوتياً مصلحاً فى وقت واحد.. وقد عرف پاكر بأمانته للإنجيل وكان أقرب للكنائس المستقلة ـ من هؤلاء ذوى الفكر التحررى الإنچليكانى..

ـ فى عام ١٩٧٢ ـ توفى أسقف دورهام ثم خلفه البروفيسور ويلز. من أكسفورد ـ وكان قائداً متحرراً، وكان الراديكاليون قد قدموا تقريراً غير مقبول إطلاقاً من جانب الإنجيليين.

وكان الأمر بالنسبة للانفصاليين من الكنائس الإنجيلية يؤكد قرارهم باستبعاد پاكر وهم يرون أنه من الصعب على پاكر أن يكون منهم، وفى نفس الوقت يكون منضماً للكنيسة الإنجليكانية (الأسقفية) مع العلم

بأنه كان حافزه الحقيقى فى الانضمام للجنة المفوضة أن يقوم بتقديم موقف مدافع عن الموقف الإنجيلى الذى يؤمن به هو والمنفصلون على حد سواء.

وتحققت مقولة فرانسيس شيفر بأن الذى يريد أن يبقى داخل الكنيسة عليه أن يقدم تنازلات حتى يحافظ على موقف يمكن الدفاع عنه داخل الطائفة، ومع أن هؤلاء الناس لا يقدمون مساومات على حساب الموقف العقيدي ولكن عليهم أن لا يعبروا الخط الذى رسموه لأنفسهم. ومن ناحية أخرى، هؤلاء الذين انسحبوا، كما يصفهم شيفر يتصفون بقسوتهم المتزايدة نحو الذين بقوا داخل الكنيسة، ولذلك فهم قطعوا أنفسهم من شركة المؤمنين الإنجيليين الذين يؤمنون بنفس الإنجيل الذى لهم.

وبهذه الطريقة انقسمت الكنيسة الحقيقية وتوقف الانفصاليون عن التأثير والمساعدة لزملائهم الإنجليين.

وبالنسبة لپاكر حان مؤتمر البيوريتان مناسبة طيبة فيها تجمع المؤمنون الذين يريدون حياة روحية ويبتغون الوعظ الجيد، وشعر الكثيرون أنه من الأفضل أن يسمح له والإنجليكان المصلحين أن يبقوا فى داخل الكنيسة. ومن الجدير بالذكر أن هذه المجموعات المستقلة قد نمت وازدهرت على يد

خدام مثل ديفيد چاكمان، وروى كليمنتس ورانالد ماكويلى (زوج بنت شيفر، وفي هذا الوقت أيضاً وعلى الرغم من اختلافاتهم الكنسية داقع الانفصاليون عن الطوائف الإنجيلية الأخرى ومدوا يد المساعدة لپاكر ووضعوا وحدة الإنجيل والدفاع عنها فى مقدمة أولوياتهم.

معرفة الله :

بعد قرار الكنائس المصلحة المستقلة بإبعاد باكر أصبح الأمر مؤلماً بالنسبة له، ولكنه بدأ فى السبعينيات من هذا القرن يحذو حذواً آخر عندما كرس طاقاته للدفاع عن الكتاب المقدس، ليس ضد المتحررين فقط ولكن ضد الذين يتظاهرون بأنهم إنجيليين وليسوا كذلك، وهو بذلك حذا حذو شيفر ولم يكرس طاقاته للصراع الطائفى.

كان باكر قد رأى أن العصمة الكتابية أصبحت قضية تحتاج لحسم، بدأ باكر معركته فعلياً عندما أصدر كتابه المعروف «معرفة الله» فى عام ١٩٧٣، وهو الكتاب الذى بيع منه فى ذلك العقد أكثر من نصف مليون نسخة، وامتد تأثيره لأجيال كثيرة من الإنجيليين خصوصاً فى الجامعات. والحقيقة أن الكتاب لم يكن مجلداً لاهوتياً ضخماً فحسب بل أيضاً كتاباً عملياً رائعاً، وهو بالتالى يمكن القراء من فهم العديد من الحقائق الصعبة عن طريق عرضها مرتبة معاً فى جزء واحد، ووضعها

بطريقة منظمة وسهلة الهضم بالنسبة للعامة، وهو بالتالى وضع مجموعة حقائق مفتاحية كانت فى الماضى مبعثرة في عدة كتب، والكتاب يوضح أنه فى زمن نسيت فيه العقيدة مازالت دراسة كلمة الله تناسب العصر وكل عصر.

والكتاب يحتوى على خمسة حقائق مفتاحية :

الحقيقة الأولى : أن الله تكلم بالإنسان وأن الكتاب المقدس هو كلمة الحياة (كلمة الخلاص).

والحقيقة الثانية : أن الله هو الملك والسيد على كل أعماله.

والحقيقة الثالثة : أنه هو المخلص «وهو جوهر المحبة السائدة بيسوع المسيح الرب».

والحقيقة الرابعة : الله ثالوث ـ وهو خطط للفداء والابن حققه والروح القدس طبقه عملياً.

والخامسة والأخيرة : أن التجاوب مع إعلان الله بالثقة والطاعة والإيمان والعبادة والصلاة والتسبيح والخضوع والخدمة.

ومازال الكتاب الأكثر شيوعاً والأكثر فائدة، مع أن الكثيرين لم

يقرأوه حتى الآن، وتكمن الفائدة حتى بالنسبة لمن لم يقرأه كاملاً فى أنه يحتوى على إرشادات وشواهد كتابية تأخذ القارئ فى رحلة عبر أجواء صفات الله وهى كما سبق أن أوضحنا ليست معرفة عقائدية فقط، ولكنها تقود إلى عمق أكثر لحياة التقوى، وكما كتب پاكر «يمكن للإنسان أن يعرف أمور كثيرة عن الله ولكن بدون معرفة حقيقية له، والذين يعرفونه حق المعرفة لهم قوة هائلة مكرسة له، وأفكار عظيمة عن شخصه ولهم التزام وطاعة نحوه.

كما أننا فى حاجة إلى معرفة يسوع المسيح لكى نعرف الآب، ومعرفة المسيح تجعلنا نسعى للسير معه، وهى معرفة تهز أعماقنا ومشاعرنا وإرادتنا وعواطفنا أيضاً، ونحن لا نفعل هذا من أنفسنا بل هو الذى يفعل ذلك معنا.

إن الذى يعزى المؤمنين أن الله يعرفنا «هو يعرفنى» ولن يخيب أمله فىّ، وهذا يعطينا ثقة للعبادة.

أما عن عدم احترام الله وإغفال مجده والتقليل من شأنه هو بالنسبة لپاكر يعتبر وثنية، كما أنه إله إعلان وليس رموزاً، وفوق كل هذا أعلن نفسه من خلال كلمته وصار جسداً أى يسوع المسيح، وهذا موجود فى قلب العهد الجديد فى الجلجثة حيث الوسط (الكتاب يناقش المفاهيم

المختفية لخدمة المسيح على الأرض) وشعر پاكر أن عقيدة الثالوث عقيدة مهملة لذلك فقد صرف وقتاً فى وصف عمل الروح القدس موضحًا أنه بدونه لا وجود للإنجيل ولا للعهد الجديد.

الله ـ منذ الأزل، إله غير متغير وكل طرقه وصفاته الشخصية لا تتغير، ولا تتبدل، كما أن وسائله وحقه لا يمكن أن تتبدل أبداً، كما أن المسيح أيضاً لا يتغير، وهذا معناه أن الاختبار المسيحى اليوم ينبغى أن يكون هونفسه اختبار المسيحيين الأوائل في العهد الجديد.

إله بجلاله وعظمة قوته أعظم مما تتخيل وحكمته تتفق مع قدرته الفائقة وأهدافه، وهذه كلها من صفات الله التى بلا حدود، والله لا يتخلى أبداً عن هدفه وهو أن يحيا الإنسان فى علاقة معه ولمجده، وينبغى أن المؤمنين يرون أن كل الحياة هى فى العلاقة مع الله، تماماً مثلما فعل إبراهيم وبولس، كما أن الله يوصل حكمته للبشر من خلال كلمته، ونحن لا نعرف خطته ولا نراها، ولكن نحتاج أن نعرف البعض منها حتى تزداد ثقتنا فيه، ولكى نطيع الله ونتمتع بالمواهب التى أعطانا إياها.

والله كلمته حق، فى أزمنة الكتاب المقدس، الملك يتكلم بمصطلحات ومراسيم وخطب ليؤسس علاقة وطيدة مع الشعب، والله

يفعل نفس الشئ معنا، بالشريعة والوعد والعهد كما أعلن فى الكتاب المقدس.

الله محبة، وثمار محبته محورية وأكثر أهمية من المواهب نفسها، كما أن النهضة ليست مجرد وقت تظهر فيه المواهب بعلامات معينة، بل عندما تسود رغبة شديدة وشوق عارم نحو انسكاب محبة الله فى قلوبنا بقوة عظيمة حيئذ تظهر النهضة.

الله أيضاً إله العدل والنور، ومحبته مقدسة، كما أن محبته هذه هى الصفة الرئيسية لنا نحن المسيحيين، وهو ليس رقيقاً فى علاقته مع الآخرين، وهو فوق الكل عبر عن محبته لها فى عطية ابنه الوحيد لنا كمخلص يخلصنا من كل خطية ويغفر لنا آثامنا ويأتى بنا إلى علاقة عهد جديد معه.

ولكن السؤال الآن لماذا يتذمر المؤمنون وينقسمون ويصيرون فاترين، بينما فعل المسيح كل شئ لأجلهم؟ ولماذا لا يظهرون محبتهم بعضهم نحو بعض ؟

ثم تحدث پاكر عن نعمة الله وتضمن الموضوع قضية «الكرازة» قبل أن يمضى قدماً فى إيضاح أن الكتاب المقدس يعلمنا أن الله قاض، وهذا

يعطى المؤمنين «إعلاناً لصفات الله الأدبية، التى تنتقل لتكون الميزة الأدبية للحياة البشرية، وبالرغم من موضوع غضب الله من الموضوعات التى عادة ما يتم تجاهلها إلا أنه تعليم كتابى له وزنه، فلا ينبغى أن تكون تلك منطقة محرمة، لا يجب الاقتراب منها، على العكس فغضبه دائماً ما يكون قضائياً وعادلاً، وهو أيضاً يعبر عن تصميم الله على عقاب الخطية. إن قلب الإنجيل فيما فعله يسوع على الصليب، وقد رسم الله طريقاً واحداً فريداً للفداء واتقاء غضبه، فالله ليس «سانتا كلوس إله اللاهوت المتحرر». وبالرغم من أن الكفارة حقيقة غير شائقة إلا أنها رسالة محورية فى العهد الجديد. «عندما تكون على قمة الكفارة وحقيقتها فأنه بأمكانك رؤية الكتاب المقدس بصورة صحيحة».

امتياز المؤمن الأسمى :

بعد ما قام پاكر بشرح رسالة الإنجيل بطريقة واضحة تحول إلى الناحية العملية لحياة المؤمن، بدأ پاكر بأن الله هو أب لكل المؤمنين وأن عملية التبنى تمت من خلال دم يسوع المسيح وهو «الامتياز الأسمى الذى يقدمه الإنجيل» والتبرير هو البركة الأولى، ولكن التبنى أسمى لأنه «يدخلنا فى العلاقة السامية مع الله، علاقة التبنى». والموعظة على الجبل هى دستور العائلة المسيحية، فالتبنى يعطى «أخلاق الحرية

المسئولة» التى هى أساس حرية اقترابنا من الله فى الصلاة والعبادة.

ويمكننا أن نصف رسالة العهد الجديد بأنها «التبنى بالكفارة» والتبنى يوضح المجد الذي فعله الله ويتضمن الوعد بالميراث الأبدى - شركة مجد المسيح، واستمر پاكر يعدد النتائج العملية للتبنى بما فيها دور الروح القدس.

وتحدث پاكر عن الأخلاق المسيحية وعن مشكلة الإرشاد الشائكة وعالج أيضاً «التجارب الداخلية» التى تزعج الحياة المسيحية، ويدحض پاكر من تجاربه الشخصية فى إكسفورد، أنواع التعاليم الخاطئة التى شاعت بدون قصد مثلما يقال أحياناً إن المؤمنين يمكنهم أن يعرفوا الانتصار التام على الخطية فى هذه الحياة، لذلك يذكر پاكر قراءه بأن المؤمن يحارب ويجاهد يومياً وأن الخطية جزء من هذا الصراع، وأن محاولة الادعاء بالانتصار التام عليها هى ضرب من الخيال، كما أن هذه المحاولة تنتهى بأن تضع المؤمنين فى حياة الملل والضجر من كثرة الفشل، كما أن نتيجة هذا إذا تفحصنا الأمر ملياً هو واحد من اثنين، إما مؤمنين غير مسئولين يتصفون بالطفولة الروحية أو أنها تنتج تفككاً فى الإيمان الإنجيلى، إنها تمحو كل التعاليم الكتابية عن تهذيب الله لأبنائه و«تفقدنا إدراك طريقة وهدف النعمة» التى بها يقربنا الله نحن

الخطاة إليـه، وهو لا يفعل هذا كنوع من التدليل لأولاده، ولكنه بصفة دائمة يرجعنا إليه عندما ندرك كم نحتاج إليه، وعلق پاكر «غير واقعى ما أصاب المسيحية المعاصرة وغير صحيح أمام الله». وتبع پاكر هذا بفصل يرتكز على تفسير رسالة رومية تحت عنوان «كفاية الله» وهو يضم عقيدة لاهوتية متينة مع تطبيقات عملية، لا يوجد الآن دينونة للمؤمن فهو يستطيع أن يصمد أمام الهجوم مع الله الذى هو ترسه ودرعه الواقى.

كتب پاكر - مثل مارتن لويد جونز - فى كتابه «الفتور الروحى» يذكر المؤمنين «التفكير الإنجيلى يصحح التفكير العاطفى» وأن الجلجثة تثبت أن الله هو سيدنا الواهب كل شئ لنا وفيه لنا الأمان الكامل. لذا فلا يخاف المؤمنون، مع أنهم يخافون، لأن فى أعماق قلوبهم يخافون من تبعيات تكملة مشوار الحياة المسيحية، وقد نسوا أن الله يعطينا كل شئ، والأكثر من ذلك «إنه ما من شكوى أو اتهام سوف تحرمنا من امتيازنا» لأن الله هو الذى يبرر، ومن ذا الذى سيشتكى، وللمسيحيين فى هذه الأيام أولويات كثيرة ليس من بينها الأولوية الحقيقية وهى أن يتعلموا أن يعرفوا الله فى المسيح، وبالطبع فأن كتاب «معرفة الله» تعامل مع هذه الموضوعات بالتفصيل أكثر من الوارد هنا.

وكتاب پاكر فى الأساس له هدف رعوى، لذلك وجب قراءته بدقة لأنه أراد أن يجمع هذا الكم من المعلومات فى جزء واحد. وربما كانت هذه التحفة الرائعة فى اللاهوت النظامى لپاكر التى كان ينتظرها المسيحيون لوقت طويل ليس مجرد بحث أكاديمى يتعلمونه بل أيضاً كتاب عملى يساعد طلاب كليات اللاهوت حتى إن الكثير منهم حزن على أن پاكر لم ينشر كتابه هذا من قبل. ولكن من الواضح أن پاكر كرس جهوده منذ الخمسينيات لمساعدة جنود الخط الأمامى (يقصد طلاب ودارسى اللاهوت) من ناحية الآداب والكتابة. ومع أنه لم يكتب كتابه الأول للعامة ولكن بالتأكيد كان لهذا الكتاب تأثيره القوى على أفكار العامة في الأجيال اللاحقة.

معركة لأجل الكتاب المقدس :

كان پاكر يردد دائماً فى كتابه «معرفة الله» أن الله تكلم لشعبه من خلال كلمته ـ الكتاب المقدس.

أصبحت المعركة لأجل الكتاب المقدس معروفة فى أمريكا بسبب الادعاء القائل بأن الكتاب المقدس به أخطاء وإذا صح هذا كيف نثق فيه؟ فأذا كان بالكتاب المقدس أخطاء، فأن الكثير من التعاليم الروحية التى به يمكن أن تكون خاطئة، ونتيجة لهذا الهجوم رأى

انجيليون كثيرون مثل شيفر وپاكر أن الدفاع عن المكتوب أضحي ضرورة ملحة وعاجلة.

بالرغم من أن پاكر في سنة ١٩٧٠ عاد إلى كلية الثالوث في بريستول (وكانت تندال قد انضمت إليها) فأنه عومل بجفاء من مواطنيه، إلا أن الإنجيليين في الولايات المتحدة طلبوا منه المساعدة بصفة متزايدة. وكان الكثيرون يدعون أنهم إنجيليون، وبالرغم من هذا فأنهم ينكرون العديد من العقائد الإنجيلية وفي مقدمتها عصمة الكتاب المقدس واستحالة وقوعه في الخطأ، فقد علّم هؤلاء الإنجيليون الجدد بأن الكتاب المقدس معصوم في كل النواحي الروحية والأخلاقية، ولكنه يحتوي على أخطاء في نواح أخرى تاريخية وعلمية، لذلك فأن الكتاب المقدس من وجهة نظرهم غير معصوم. وجاء الكثير من هذا التعليم من كلية فولر للعلوم اللاهوتية في الولايات المتحدة، ومن هؤلاء الذين نحوا نحوها في التفكير، وهذا بحسب ما جاء في هجوم عليها نشره هارولد لندسل.

وفي سنة ١٩٦٥ عقد مؤتمر في ونهام، بالولايات المتحدة في محاولة لإيقاف هذا الانحراف، فقد أرسل پاكر للمؤتمر ولكنه اكتشف أن محاولة الاستقطاب من أصحاب وجهات النظر المختلفة كانت في أوجها، لذلك

لم تكن هناك نتيجة إيجابية لرأب الصدع.

وفي ١٩٧٣ دعـا شـخص مـشـيـخي يدعي ر. سي. سـبرول R.C SPROUL إلى اجتماع للمدافعين عن العصمة. ولكن هذه المرة جاء المؤتمر بنتائج ملموسة، وتمثلت هذه النتائج في شكل كتاب بعنوان (كلمة الله المعصومة) وقد شارك باكر في هذا الكتاب بفصلين كاملين، وفي تجمع تال شعر باكر ومعه آخرون أن الحاجة إلى مؤتمر دائم أصبحت ملحة، لذلك عقد المجلس العالمي لعصمة الكتاب المقدس، وكان للمجلس هدفان مزدوجان، أولاً أن يقاوم التعاليم القائلة بعدم العصمة ثم يستطيع ترتيب تعليم خلاق في مستوى أكاديمي لائق يبدأ ببرنامج تعليمي لكافة الناس، وهذا التعليم يستخدم أيضاً في الكنائس، وكانت معظم هذه المؤتمرات تعقد في شيكاغو في عام ١٩٧٨، وفي سان ديجوني في عام ١٩٨١، تم تعريف معنى العصمة وتحديد مفهومها في شيكاغو. وتحدد في سان ديجو صلة هذه العصمة بالموضوع تطبيقاً، وأصبح الكتاب المقدس كتاباً يمكن الوثوق به، وفي ١٩٨٢ عقد اجتماع للدارسين في مدينة شيكاغو عن طرق التفسير الخاصة بالكتاب المقدس، وكان باكر العقل المدبر والمخطط في كل الأحوال والأهم هو خاتمة كتاب - تكلم الله.

وفى مقال له عن الحرية ـ السلطة والكتاب المقدس، أشار پاكر أن العصمة قضية عملية عميقة، وهى ترتبط بمعرفة الله والثقة فيه وطاعته، وإثبات وجوده فى طريق الحياة، وأشار إلى أنه من الخداع أن تفكر فى اختلاف الآراء حول المعنى الذى تحويه العصمة أو عن مصادر تعاليم الكتاب المقدس، فبأن هذا لا يقف عائقاً أمام المرء فى علاقته بالله والتطبيق الأخلاقى فى الحياة لأن المحل الأساسى هو ما نعلمه ونتعلمه عن سر الحياة الخارقة والممَجدة لله، تلك الحياة التى تسر قلبه، والدخول إلى هذه الحياة يتأتى بقبول وطاعة تعاليم الله كما هى معلنة فى الكتاب المقدس.

الحرية الحقيقية ـ حرية من الخطية، حرية فى الله، ولأجل حياة البر، وهى حرية توجد فى العلاقة الشخصية مع الله والرب يسوع المسيح وهى قمة سلطان الكتاب المقدس، وهى حريةٌ معطاة لنا من الله لنتمتع بها، فإذا كان لنا فى قلوبنا تجديد روحى للمجتمع ولكنائسنا ولحياتنا الخاصة وجب علينا أن نعمل الكثير من أجل ما هو جدير بالثقة، الكتاب المقدس المعصوم ككلمة الله الموصى بها والمحررة للبشر.

بريستول وأزمة الكيان الإنجيلى :

غادر پاكر أوكسفورد فى عام ١٩٧٠ وأصبح رئيساً لقاعة تندال فى

بريستول ولكن في السنة التالية رتب الأسقف اندماج ثلاثة من كليات اللاهوت الإنجيلية فى بريستول - كجزء من سياسة تعليمية عامة - لذلك وجد پاكر نفسه رئيساً مشاركاً مع إليك موتير، فى كلية لاهوت الثالوث الجديدة، واكتشف پاكر أنه لم يكن له في هذه الكلية الكبيرة غرفة «للمناورات العسكرية» مثلما كان له فى تندال. قام پاكر بإدخال تعديلات على المنهاج الدراسى هناك وغيره حتى أصبح هناك نموذجاً تعليمياً متناسقاً، وذلك لكى يستطيع إعداد تعليم أكاديمى وتدريبات رعوية مترابطة تعيد الطلبة. وكان هذا غير ممكن من قبل فى كلية الثالوث، فبدأ فى الحال فى ترتيب أوراقه، وكان يعمل على الأقل عشرة ساعات أسبوعياً كعمل إدارى شاق بالإضافة إلى عمله فى التدريس وواجباته فى المشورة والرعاية للطلبة. وكان نادراً ما يجد وقتاً للجلوس للتأمل أو التفكير أو الكتابة. وبالنسبة له كان المؤتمر الذى عقد فى كيل نونتجهام ١٩٧٧ ليس بالحدث الجلل لأنه لم يكن يؤمن بضرورته ولكنه وافق على المشاركة فيه فقط بتوزيع ورقة بحث عن الكريستولوجى (٥) وشارك فى التخطيط له.

وكان القرار بإبعاده من جانب زملائه الإنجيليين المستقلين يعنى أنه لا يستطيع العمل المزدوج داخل وخارج الكنيسة.

(٥) العلم الذى يبحث فى طبيعة المسيح [المترجم]

وقد شعر پاكر أن النهضة هى الموضوع الأساسى، وأن الفرص سانحة لهـا ، وأن الذين يشـاركـونه رؤيتـه هم الـكنائس الإنجـيليـة الحـرة. وفى ١٩٧٨ صدر كتـيب بعنوان «مشكلة الهوية الانجليكانية الإنجيليـة» وفيه تعرض للنقد الذى صاحب مشاركته فى كتابه «النمو نحو الوحـدة». وتقرير اللجنة المفوضة «الإيمان المسيحى» وقال فى هذا الكتيب إنه مازال إنجيلياً. وفى حديثه عن العقائد الأساسية للإيمان ذكرهم پاكر بأن كل ما هو إنجيلى هو واحد، الثالوث ـ ألوهية المسيح ـ القوة والإيمان ـ التبرير بالإيمان خلال موت المسيح على الصليب ـ كل ما يؤمن بسلطة الكتاب المقدس بأولوية الكرازة ومشاركة مركزية المسيح روحياً فى الشركة بالإيمان مع الرب المقام، وأن كل الاختلافات ما هى إلا اختلافات ثانوية وداخل العائلة الواحدة، وعلى أى حال هذه الاختلافات هى أجراس نحو وحدة إنجيلية حقيقية عندما توجد المبادئ الأساسية، هذه الاختلافات توجد مشكلة أساسية للإنجيليين الذين بقوا مخلصين للمبادئ الأساسية وفى نفس الوقت استمروا داخل كنيسة إنجلترا.

وقد حلل پاكر الموقف التاريخى والدور التفسيرى للإنجيليين داخل الكنيسة الانجليكانية خلال القرن العشرين : أولاً : وقد تفاقمت المشكلة بعد مؤتمر كيل، فقد قرر الإنجيليون أن يبحثوا عن دور إيجابى فى

الأحداث الكَنسية وشعروا أنهم يجب أن يفهموا مشكلتهم وأن يحددوا هويتهم عن طريق تقييم إيجابى للفكر الكتابى عن موقف كنيستهم، وأن عليهم أن يبحثوا عن النهضة فى الكنيسة.

والبعض داخل الكنيسة الانجليكانية يرى أن الكنيسة موجودة فى عالم ساقط وهى ناقصة التقديس لذلك فهم يتحججون بتلك الحجة، ولا يرون أن كنيستهم قد شاخت وأنها فى حاجة إلى حيوية وتجديد. وهكذا أصبح داخل الكنيسة الانجليكانية ازدواجية عقائدية. وبالطبع فإن الكنيسة الانجليكانية كانت سبباً مباشراً فى دحض آراء معينة، وأن منها علماء يحاولون إصلاح ما أفسدته الآراء الهرطوقية، وبسبب هذه الفائدة الكبيرة التى عادت مما فعله هؤلاء المكتفون اللاهوتين فإن الانجليكان الإنجيليين يعتقدون أنه من الأفضل أن نصبر عليهم، ومن الأفضل أيضاً أن ندحض الهرطقة ونفند عن طريق المنطق التحليلى وليس عن طريق استخدام عصا كبيرة نضرب بها المؤلف الذى يضايقنا.

ثانيــا : يرى الإنجيليون أنه جزء من مهمتهم فى كنيسة إنجلترا أن يخدموا انجليكان الحاضر والمستقبل والقبض على المفاتيح المغلقة لوجهات النظر وإظهارها بأنها غير دقيقة وغير ملائمة. وبالرغم من أن پاكر يرى أن اللاهوت الإنجيلى نقى وصحيح إلا أنه يرى أنه بالإمكان

التعلم من المواقف الأخرى بالمناقشة، وكان پاكر دائماً ما يذكر بهدفه الواضح ألا وهو اللاهوت المصلح ـ المشورة الرعوية والعبادة المصلحة داخل كنيسة انجلترا. وبينما كانت هذه المجادلات تستغيث بپاكر (وهى مجادلات عن التقليد التاريخى للمذهب الانجليكانى وقدرته على النمو والتطوير ظهرت لكثيرين ـ بما فيهم من أعجب بالمعارك التى خاضها دفاعاً عن الإيمان ـ على أنها مرافعة أو دفاع خاصاً ولم يروا فيما عمله كسباً ساحقاً لكتاب پاكر «معرفة الله». بالإضافة إلى ذلك كان بيكر مايزال ينظر إليه على أنه انجليكانياً وأن الكثير من آرائه اللاهوتية يمكن أن يتجاهلها الذين اتخذوا موقفاً منفصلاً عن الكنيسة.

الدعوة لكندا :

طلب منه عدد من الأمريكيين الإنجيليين أن يزور أمريكا كأستاذ زائر ليتحدث عن موضوع الساعة «الدفاع عن الكتاب المقدس». وبينما هو فى موقف لا يحسد عليه فى بريطانيا كان الأمريكان يطلبون منه أن «أعمل أشياء تبدو لى ذات مغزى»، فهو قد شعر أن الناس تطلب منه مواصلة الطرق التى تفتحت أمامه. وطلبت منه عدة كليات لاهوتية (على نحو غير متوقع) أن يعمل أستاذاً بها ضمن هيئة التدريس، منها كلية ريجنت وڤانكوفر (كندا) وكلية لاهوت إنجيلية أخرى غير طائفية،

ولم يكن عليه واجبات إدارية ولا مثل هذه الالتزامات الرعوية للطلبة مثلما كان في كلية الثالوث، بل كان لديه متسع من الوقت للتأمل والتفكير والكتابة، هذا العرض جعله يدرك أنه كشخص غير مؤهل وضع فى دائرة محكمة الخلق فلا يستطع الفكاك، وفى كندا لم تعد للإحباطات والمعاناة التى كانت على كاهله فى انجلترا مكاناً فى حياته، فقد كان يريد أن يرى كنائس بريطانيا وقد اطلعت بمهامها الكتابية الأساسية بأن تخدم الكنائس احتياجات المناطق المحيطة بدلاً من أن تفقد الكنائس نفسها فى الاجتماعات الكبيرة والمهرجانات، ولكنه لم يشعر يوماً ما أنه نجح فى مهمته بإقناعهم بفعل هذا، فبالنسبة لكثيرين من الانجليكان لم يكونوا يهتمون بالإصلاح أو التجديد بل كانوا قانعين بالعيش فى سلام دون إخلال بالنظام أو ما يعكر صفوهم. والكثيرون منهم لم يشغلوا أنفسهم بالكرازة فى كنائسهم بل كانوا متكلين على الذين فى الخارج يكرزون بالنيابة عنهم. لقد كان فى كندا بعيداً عن هذه الإحباطات التى كثيراً ما ألمت به. لذلك ففى ١٩٧٨ قبل العرض وأقام فى كندا منذ ذلك الحين، ولكن كان مايزال يذهب إلى بريطانيا. وفى ١٩٨٣ دعته مجموعة من خدام الكنيسة الانجليكانية وخدام الكنيسة الإنجيلية المستقلة ليحاضر فى مؤتمر لديها وقد تحدث فى الموضوع الأساسى «الدفاع عن المكتوب» وبعدها وجه الدعوة إلى الانجيليين

للعودة إلى الوحدة التى كانوا يتمتعون بها فى الخمسينيات وأن ينبذوا الانقسامات الطائفية، فاتفق معه معظم الحاضرين خصوصاً من جيل الشباب الذين كانوا يمثلون الكنائس النامية والناجحة، وعبر الإنجيليون عن وجهة نظرهم بأن النهضة هى التى ستجلب الوحدة، والنهضة هي ما يتوق إليه كل الذين يحبون الإنجيل، وكانت هناك موضوعات أخرى ولكنها تعتبر أقل أهمية إذا ما قورنت بما طرحه الإنجيليون.

فى ذلك الحين أصبح پاكر مشهوراً بسبب كتابه «معرفة الله» واكتسب سمعة وشهرة واسعة بين الأغلبية الانجيلية وأصبحت السنوات التسع السابقة لنشر الطبعة الأولى من الكتاب سنوات مشغولية بالنسبة له أكثر من ذى قبل، وكان مقيماً أساساً فى ڤانكوڤر ولكنه أيضاً كان مطلوباً فى كل أنحاء العالم بسبب آرائه وتشجيعه وأيضاً حكمته.

واستمر اشتراكه فى المجلس العالمى لعصمة الكتاب المقدس حتى حل المجلس نفسه فى سنة ١٩٨٧ ، وقد سجل پاكر أن «الله بارك عمل المجلس العالمى لعصمة الكتاب المقدس» حتى يعزل الرافضين للعصمة وليحث الإنجيليين عامة على مبدأ الثقة التامة فى الكتاب المقدس وفى سلطانه». وقد عبر پاكر عن سعادته وشعوره بالامتياز أنه شارك فيه، وفى الواقع لقد كان لپاكر نفسه كشخص موثوق فيه الدور الكبير من

أن يجعل الآخرين يدركون أن الكتاب المقدس كتاب موثوق فيه وأن الإيمان بالعصمة جدير بالاحترام من الناحية اللاهوتية، وكواحد فى موقع أكاديمى كان يؤمن، وينظر إليه على أنه أمر غاية فى الأهمية عندما احتدمت المعركة بشدة فى الولايات المتحدة. قاطعت إحدى الطوائف وهى طائفة المؤتمر المورانى الجنوبى (أو المعاهدة) الموضوعات الأخرى، لذلك دعى پاكر ليحاضر فى عدة مؤتمرات وكليات للكنائس المعمدانية الجنوبية، وكما قال لى «أدركت أن هذا عرض باتخاذ موقف عقلانى وسط بين الأصولية والمحافظة الذاتية (التى تتعلق بالخبرات الذاتية).

واشترك پاكر فى تحرير الجرائد والمجلات المسيحية، فقد كان محرراً استشارياً للمجلة المعروفة «المسيحية اليوم» وكانت بمثابة الآلة التى نقلت أفكاره لأناس كثيرين فى أنحاء العالم، وكما قال لى «هذا الجمع بين وظيفتى كأستاذ وعملى فى الجرائد والمجلات أعطانى إثراءً كبيراً». وقد أدرك الكثيرون أن اشتراكه مع هيئة التحرير قد أثرى المجلة اللاهوتية، وهو يوافقهم على هذا على استحياء. وهو يرى أن مهمته داخل المجلة تنحصر فى توسيع نطاق الفيتامين اللاهوتى المقدم للناس.

والقاسم المشترك فى معظم كتاباته الرئيسية أنها تشد انتباهنا وتبقى أعماله الأدبية ذات مستوى عال حتى إن الكثير من الناشرين يتمنون لو أن يصاحب هذا المستوى العالى من الكتابة إنتاج كمى أكبر، فعندما يبدأ مشروع كتاب جديد يكون هناك حماس زائد يشكل ضغطاً على الدكتور پاكر لإنجازه بسرعة، ووجد الناشرون أن الانتظار لسنين قليلة حتى تأتى المسودة لا يضيع هباءً بل جاء بثروة هائلة تستحق لأجلها الانتظار.

وكتاب من كتبه معروف فى بريطانيا باسم «بين عمالقة الله». وفى الولايات المتحدة باسم «البحث عن التقوى» صدر سنة ١٩٩٠ وفاز بجائزة أحسن إنتاج أدبى مسيحى صدر فى بريطانيا فى عام ١٩٩٠، وهى كتابة تاريخية جيدة، وبعض أجزاء منه تعود إلى سنة ١٩٥٠، لذلك كان القراء منتظرين بلهفة تجميعها فى كتاب واحد ولم يخب أملهم، وقد أثبت پاكر بما لا يدع للشك مجالاً أن البيوريتان (التطهوريين) ليسوا أساساً عمليين ولكنهم قوم يسمعون لله الحى، وبالتالى فهم يؤسسون حقائق أساسها دراسة الكتاب المقدس، وهذا ما نحتاج أن نسمعه فى القرن العشرين، إنها الديانة العملية التى لا يفوقها شئ.

وبصف پاكر النجاح الذى حققه كتابه «أنه مشبع نظراً لطبيعته الأكاديمية السهلة كما يلى» فى بحثى وجدت بين الحضور إنجيليين غير راضين عن حياتهم الروحية، كانوا يريدون عسكرى روحى مؤسس على عسكرى لاهوتى بدلاً مما يقدم لهم فى كنائسهم والمؤسسات المعاونة للكنيسة.

وأحد المجالات التى كان فيها البيوريتان على حق هو موضوع «عسكرى روحى مؤسس على عسكرى لاهوتى»، وهذه فى عقيدتهم عن الروح القدس. وكان هذا أحد الموضوعات التى تناولها كتاب آخر لپاكر بعنوان «السير مع الروح القدس KEEPING STEP WITH THE SPIRRIT الذى صدر فى عام ١٩٨٤، ومن الأمور التى بينها پاكر فى هذا الكتاب أنه كم هو مضحك هذا الكم الهائل من الشجار بين الإنجيليين حول موضوع واحد.

اختبارات البيوريتان توضح بصفة جلية، أموراً مثيرة تحدث لهم هى ليست ناتجة عن انسكاب الروح القدس فى حياتهم، ولكن بسبب أنهم لا يستخدمون تعبيرات جدلية معاصرة، فإنها كما يوضح پاكر إمكانية متاحة للحصول على اختبارات روحية متميزة دونما أن تصبح «كاريزماتياً»، والشئ الذى يلفت نظر القارئ هو درجة التوازن الملاحظ

فى هذا الكتاب، فهو فى حين يوضح أن لب الحركة الكاريزماتية كتابى إلى أبعد الحدود، وهو شخص وعمل المسيح، إلا أنه يوضح أنه يوجد حقائق وممارسات يؤمنون بها ويمارسونها وهى ممارسات فاشلة إذا تعرضت لاختبار كتابى، وهى حقيقة تنطبق على غير الكاريزماتيين أيضاً فى قضايا وموضوعات أخرى، وعليه فهو لم يصادق على الحركة الكاريزماتية ككل، ووضح بجلاء أن جماعة الكيان الإنجيلى ليس ما ينبغى على الكاريزماتيين فقط أن يتعلموه بل حيث يحتاج معظم الإنجيليين أن يتعلموا مما قاله الله عنهم خلال الكاريزماتيين. ووضح باكر أن هؤلاء الكاريزماتيين لهم نفس الأرضية المشتركة مع السواد الأعظم من الإنجيليين، ولكن أنصار الكاريزماتيين تطوروا كثيراً، فقد كانوا يتصفون بالرزانة فى شمال أمريكا إلا أنه ظهر منهم من يعتمد على التشويش الذهنى الناتج عن قصص واختبارات حدثت ومازالت تحدث، وهذا كان مصاحباً للحركة منذ بدايتها.

وقد أشار باكر فى أحد كتبه : «إلا أن مجموعة من الروم الكاثوليك قد أصبحوا من زمرة أصحاب اللاهوت المتزن، وأصبحوا جماعة يمكن أن توصف من ناحية بأنها كاثوليكية. ومن نواح أخرى بأنها مصلحة»، هذا الكتاب يراه البعض من أحسن الكتب التى كتبها فى السنين الأخيرة، إن لم يكن الأحسن، حيث إنه أسهل فى قراءته من كتابه

السابق ـ معرفة الله ـ ذى الطابع الكلاسيكى، وعنوان هذا الكتاب «ألم من أجل القداسة» ومعروف فى أمريكا بعنوان «اكتشاف القداسة». وهذا الكتاب مزيج رائع من اللاهوت السامى والروحانية العملية، وعلاوة على ذلك نجد فى كلمات شوك كولسون الآتى «لا يوجد من هو مؤهل أفضل من پاكر لتوجيه هذه الدعوة»، وكما كتب پاكر «كل كتاباتى من البداية ذات طابع تطبيقى مشيراً إلى تقوى خالصة وقداسة بالمعنى الواسع للكلمة».

إنها دعوة واضحة أن نرجع إلى حيث يريدنا الله أن نحيا، هكذا يصفه پاكر :ـ

الشكل الذى اتخذه الكتاب يعكس إيمانى أنه هناك حاجة أن نطلق صفارات الإنذار بأن هناك انحراف جانبى بالنسبة للقداسة الشخصية التى كان لها ميل عام بين المسيحيين الغربيين أثناء سنين خدمتى، ليس الميل الذى يمكن للمرء توقعه، وذلك لأن الكتاب المقدس يركز بشدة على أن المسيحيين مدعوين للقداسة، وأن الله يسر بالقداسة ويغضب لعدم القداسة لأنه بدون قداسة لن يرى أحد الرب ولكن تغير اهتمام المسيحيين من السعى نحو القداسة إلى التركيز على القضايا العامة التى لا تحمل تحدياً أخلاقياً للفرد، هذا هو الواقع، وبالنسبة لى واقع مؤلم ومحزن

ويحتاج إلى من يعدله.

وبقى الموضوع الذى كان يشغل حيزاً من دراسة پاكر المبكرة عن البيوريتان لأنه كان قد قال فى ذلك الحين «إن موضوع البيوريتان هو موضوع كتابى صميم وقضية اهتمام عام لكل من يرى أن معنى الحياة المسيحية، أو ما ينبغى أن يكون عليه المعنى ـ هو مسرة الله. وفيما بعد أصدر پاكر مجلة لاهوتية (عرض لاهوتى شامل) التى جعلت الكثيرين سعداء حيث لم يصدر كتاب اللاهوت المنظم، وقد باشر عمله فى مجموعة سلسلة التفاسير المرتقبة التى تبلغ اثنى عشر مجلداً أو أكثر فى التفسير الواضح للكتاب المقدس، مع أنه غير مشهور كمفسر إلا أنه يتمتع بها كثيراً.

بالإضافة إلى بعض البنود القليلة التى تنقص الكتاب المرتقب عن اللاهوت المنظم، كما أنه كما يقول «أضع على ورقة كل شئ أشعر أن العالم المسيحى قادر على أن يراعيه عندما أرحل». معظمنا ممن تباركوا بشدة مما كتبه عبر السنين، نأمل له فى عمر طويل. وكما قال صديق عمره ريموند جونستون «إن رفعة مقام پاكر بين الإنجيليين ترجع إلى كفاءة ذهنية»، فقد أعطى ترابطاً منطقياً للعقيدة الإنجيلية فى وقت كان طلاب اللاهوت فى حاجة شديدة إليه.

كـمـا أن الكتب مثـل «مـعـرفـة الله» بإعطائهـا «بناء عـام للإيمان المسيحى» تعطى مساعدة جمة للطلاب والمؤمنين عامة لأجيال متتالية، لذلك لم يعد طلاب اللاهوت يخشون المتحررين وأفكارهم، فقد أشهر باكر إفلاسهم، وهو مع مارتن لويد جونز صنع اللاهوت المصلح على الخريطة بعد ما عانى من فترة ركود، فقد أظهر نظرياً - كما فعل لويد جونز عملياً - أن شعب الإصلاح ليسوا فقط ملتزمين بالكرازة مثل الذين يؤمنون بوجهات نظر مختلفة بل أنهم فى الواقع قادرين على أن يكرزوا من قاعدة أكثر منا. ومع أن الكثيرين لا يوافقون باكر على بقائه فى الكنيسة الانجليكانية إلا أنه قادر على إبداء أسباب منطقية للذين تبعوه فى قراره ووافقوه عليه، وفوق كل شئ فى فترة كان الإنجيل فيها يهاجم، وفى وقت تعرض فيه الكتاب المقدس للهجوم ليس من الخارج فقط بل أيضاً من الداخل، نقول إنه فى هذا الوقت أظهر باكر أن الموقف الإنجيلى هو موقف مسيحى صميم، وهو موقف مدافع عن رسالة يسوع المسيح التى تؤيد العصمة التامة للكتاب المقدس فى كل مواقعها، وقد أظهر باكر أن اللاهوت ليس علماً جافاً عندما يمارسه الناس الذين لهم التزام نحو نهضة الكنيسة، وأن العقيدة أبعد ما تكون عن الجفاف أو الجدب، وهى مفتاح كل الاختبار المسيحى الذى ينبغى أن يكون بهجة وفرح لكل مسيحى.

الفصل الخامس

بيلى جراهام Baley Graham

بيلى جراهام فى كلمات :

فى عام (١٩١٨)... ميلاده فى ٧ فبراير

(١٩٣٤)... تجديده أثناء حملة كرازية قادها مورد كال هام.

(١٩٣٩)... رسامته كخادم معمدانى.

(١٩٣٤)... زواجه من روث بيل.

(١٩٥٠)... بداية برنامجه الإذاعى (ساعة القرار)، وتأسيس هيئة بيلى جراهام للكرازة.

(١٩٦٠)... تأسيس مجلة (القرار).

(١٩٧٤)... مؤتمر لوزان الدولى للكرازة العالمية.

(١٩٨٢)... زيارته لموسكو.

(١٩٨٣)... مؤتمر امستردام للكرازة المتنقلة.

حياته المبكرة :

ولد وليم فرانكلين جراهام الشهير بـ (بيلى) فى ٧ فبراير ١٩١٨، وهو ابن فرانكلين ومورو جراهام - والجراهاميون كانوا اتحاد أسرى قديم يعمل بالزراعة (خارج شارلوت) فى ولاية نورث كارولينا. وكان الوالدان من البداية غير مهتمين بالدين ولكنهما تغيرا فى ١٩٣٣ وبصفة خاصة بعدما تعرض فرانك جراهام لتجربة مؤذية.

وفى خريف ١٩٣٤ تغيرت حياة بيلى أيضاً عندما جاء المبشر الملتهب موروكاى هام إلى المدينة، وحتى ذلك الوقت كان بيلى طفلاً ريفياً فى سن المدرسة مهتماً بالألعاب الرياضية ومتفرغاً للمزاح والتهريج. ومن رأيه أن هام كان متعصباً متهوراً، وتدريجياً ولكن بثقة أصبح بيلى مقتنعاً بخطيته. واكتشف أن المرء يمكنه معرفة المسيح شخصياً.

وقرب آخر الحملة الكرازية كان قد قرر أن يعيش مكرساً حياته للمسيح. ويتذكر صديق الطفولة جرادى ولسن أن بيلى الذى كان بالطبيعة خجولاً جداً وجد نفسه فجأة يخاطب الجماهير. وفى عام ١٩٣٦ أقنعه المبشر چيمس چونسن أن يشهد عن المسيح أمام المساجين، وكانت هذه بداية عمله الحقيقى ككارز مع أنه لم يكن يدرك ذلك.

كان بيلى أساساً ينوى الالتحاق بجامعة نورث كارولينا، ولكن لأن والدته تأثرت بالمبشر (بوب چونس) الذى كان يدير كلية فى تينسى لذلك قرر بيلى أن يذهب إلى هناك عوضاً عن الانضمام لزملائه (جراندى، ت. و ولسن) ولكى يشغل وقت فراغه كان هو وأخوه ولسن يبيعون فرش الأسنان. كان بيلى مخلصاً فيذكر جراندى أنه صدق ثرثرة البائع التى كان يرددها وكان على وشك أن يدمر أسنانه بالفرش. تحولت كلية (بوب جونس) إلى الخطأ، فلم تكن كلية علمية أكاديمية وأبعد ما تكون عن الالتزام الذى كان بيلى ينشده، لذلك تحول بيلى إلى مكان آخر - كانت أمه قد وجدته - معهد الكتاب المقدس فى فلوريدا بالقرب من تامبا. وفى هذا المكان قضى بيلى ثلاث سنوات ونصف سعيداً. وفى سنة ١٩٣٧ شكر بيلى مرشده الجامعى چون ميندر، وكان قد منح فرصته الأولى فى الوعظ وابتدأ بيلى يتحول من مجرد فتى ريفى لا يعول الهم إلى واعظ ملتزم وجاد. أعجب بيلى فى البداية باثنين من المؤمنين وجدوا مذنبين فى ذلة أخلاقية خطيرة. وهذه الواقعة جعلته يدرك أنه فى حاجة للاعتماد على الله شخصياً، فقد كان قد تأثر بالوعاظ الزائرين وبصديقه وزميلة دراسته (اميلى)، وليكون واعظاً رأى أنه فى حاجة لتكريس تام، لذلك فى مارس عام ١٩٣٨ فى مكان يدعى (١٨ الأخضر) بالقرب من معهده قرر أن يصبح سفيراً ليسوع المسيح.

بداية خدمته :

بدأ بيلي جراهام خدمته الوعظية بنشاط جديد ولم يضعفه اعتراض إميلي. وقد ساعد في خدمة المناطق العشوائية في تامبا. وفي ضجة الاجتماع بالإنجيل في تامبا، وقد عمل بجهد وغيرة ما لا يجعل القول إنه ينتقص الكفاءة. وأحبه المعمدانيون بصفة خاصة مع أنه كان في الأصل مشيخياً، ولذلك رسم قسيساً معمدانياً في ١٩٣٩. وانتقل في السنة التالية إلى ويتون في الينويس (ILLINOIS) ليدرس الانثروبولوچي في كلية مشهورة هناك. وكانت روث بيل واحدة من زملاء الدراسة وهي ابنة المرسل الأمريكي الشهير في الصين (الدكتور نيلسون بيل). وفي عام ١٩٤١ تم خطبة بيلي جراهام وروث بيلي وكانت روث مشيخية وكانت أكثر ثقافة، لذلك ساعدته على اتساع أفقه، وبصفة عامة فأن خطبة روث كانت سليمة لتعكس الإتقان الزائد في كتابها هذا هو دورها. وكان لها قوة روحية عميقة، فكانت معيناً هائلاً له في السنوات التالية. فقد أمدته بالحب الشديد والأمان الذي كان يحتاجه، وأيضاً منحته نصائح وأفكاراً جيدة في وقت الضرورة. لقد كانت روث بيل نموذجاً لما يجب أن تكون عليه الزوجة المسيحية، وكان أيضاً هذا الزواج مثالاً وتشجيعاً لكثيرين، وقد تم في ١٩٤٣، وبعدها انطلقت خدمته بدون توقف، كانت خدمته الرعوية في (وستون سبرنجر)

بالقرب من شيكاغو، ولكن خدمته ما لبثت أن توسعت حتى طلب منه أن يتولى مسئولية البرنامج الإذاعى (أغانى فى الليل بالاشتراك مع چورچ بيڤرلى شيا). منذ ذلك الحين قد تحركا حسب طلب القس (تورى چونسون) فى جمع شبابى حاشد لأجل المسيح فى شيكاغو.. وقرر بيلى جراهام أن يلتحق بالعمل العسكرى كراع، ولكنه شعر بالمرض ولذلك بدلاً من أن يقبل وظيفة مكتبية استقال من عمله لكى يركز على العمل مع «الشباب لأجل المسيح». لذلك قام بسلسلة من الجولات السياحية حول الولايات المتحدة وكندا، وبعد ذلك زار بريطانيا مع «شباب لأجل المسيح» سنة ١٩٤٦ وكان الفريق أمريكياً فى سلوكه وارتكبوا عدة غلطات اجتماعية منها الإقامة فى فنادق باهظة التكاليف فى حين كان شعب بريطانيا يعانى نقصاً فى الطعام، ولكن جراهام تعلم أول درس وهو الحساسية نحو الحضارات الأخرى، وقد ساعده هذا الدرس فيما بعد فى رحلاته التبشيرية فى العالم الثالث. وحدث تحول آخر فى حياة بيلى جراهام فى سنة ١٩٤٧ عندما طلب منه وليم بيلى رايلى الذى كان قد تجاوز الثمانين من عمره، وكان رئيس مدارس نورث وسترن فى مينا بوليس أن يخلفه فى منصبه، كان جراهام ممانعاً فى البداية ولكن عندما توفى رابلى بعدها بشهور فإن هذا أكد العرض وتعين بيلى جراهام رئيساً وزميل الطفولة ت. و ولسن نائباً له. وكان الشعار الذى اتخذه للمدرسة

هو «المعرفة على نار» ولكنه تعب من الأعباء الإدارية. وبينما هو محتفظاً بوظيفته تجده فجأة يقوم برحلات تبشيرية ويعقد اجتماعات فى أنحاء البلاد. عاود الزيارة لأوربا حيث تقابل مع (داوسون تروتمان) مؤسس النيفيجاتورز (البحارة). وقد تأثر به كثيراً حيث مكنه تروتمان من رؤية أنه من المهم متابعة المؤمنين المتجددين حديثاً بمكان عقد الاجتماعات، وهى السياسة التى كانت مفتقدة فى الاجتماعات التبشيرية الكبيرة حتى تلك التى كان يعقدها جراهام نفسه. وقد حضر بيلى جراهام اجتماعات مجلس الكنائس العالمى التى عقدت فى امستردام فى عام ١٩٤٨، وكان تعليقه على ذلك حسبما ذكر مؤرخ السيرة الذاتية الخاص به (چون بولوك) ـ أنه لن يتردد فى كسر المناطق المحرمة فى دائرته من أجل انتشار أوسع للإنجيل، وهذه وجهة نظر مختلفة عن تلك التى كان يرددها معاصروه الإنجيليون أمثال (مارتن ليود چونز، فرانسيس شيفر). وبعد مرور بعض الوقت من عودته من أوربا مر بيلى جراهام بأزمة روحية كانت لها أثر كبير فى مساعدته على تكملة مشوار الكرازة. فهو لم يكن قد حصل على أى تعليم لاهوتى وشعر بحاجته الشديدة إلى مستوى معقول من المعرفة أكثر من المستوى الذى وصل إليه، وكان صديقه الذى يدعى (شوك تمبلتون) قد أصبح غير راض عن النقص السائد داخل منظمة شباب لأجل المسيح، لذلك قرر

الالتحاق بكلية برنستون للعلوم اللاهوتية، وكان العنصر السائد هو التعليم المتحرر (الليبرالى) الذى جعله يشك فى سلطة الكتاب المقدس وجعله بالتالى يناقش الأمر مع صديقه، حتى أن الشكوك بدأت تتسرب إلى عقل جراهام أيضاً، فهل كان إيمانه بسيطاً بقدر ما كان إيمان تمبلتون ثابتاً. ذهب جراهام إلى مؤتمر فى كاليفورنيا، وهناك صلى طالباً إرشاد الله، وقد تأكد أنه لا يستطيع الإجابة على كل تساؤلات تمبلتون العقلانية، ولكنه أدرك أنه من هذه اللحظة يستطيع أن يقبل الكتاب المقدس بالإيمان بكلمة الله، وأصبحت العبارة «الكتاب يقول» واحدة من أشهر تعبيراته، ولم يتعرض لأى شئ فى إيمانه الراسخ بكلمة الله، وأصبح هذا الإيمان واحداً من العوامل الرئيسية لنجاح خدمته الكرازية، وأصبح له رغبة قوية أن يسلك كاملاً أمام الله وأمام كلمته أو كما قال «أى أعنى حقاً ما أعظ به وأعيشه».

وربما نستطيع أن نقول إننا نشكر تلك الظروف التى منعته من دراسة اللاهوت لأنها كانت سبباً مباشراً لبساطته ووضوحه عندما يتكلم.

الكارز الناجح فى أمريكا:

ساعده إخلاصه وثقته الواضحة أن يصبح بين ليلة وضحاها أكثر المبشرين شهرة فى الولايات المتحدة ليس فقط من ناحية الأهمية ولكن

لكونه الأكثر احتراماً بينهم، وبدأت حملة لوس انجلوس التبشيرية فى سبتمبر ١٩٤٩ وقد أديرت بسهولة ويسر وأصبح جراهام معروفاً فى العالم المسيحى بأنه رجل يتمتع بسرعة بديهة ولسان بارع وشخصية منبرية جذابة، وبالإضافة إلى تمتعه بتأثير روحى أعطاه الحق فى قبول واسع لدى الجماعات الدينية المختلفة فى كل أنحاء أمريكا. ومع هذا كان مدركاً لقدرته المحدودة حتى إنه قال لمجلة «الحياة المسيحية» فى يوليو ١٩٤٩ إنه «يصلى منذ عدة سنوات ليس ليكون واعظاً عظيماً ولكن ليكون رابح نفوس عظيم.

وكان من قراراته أن تمتد حملة لوس انجلوس الكرازية لترقى من كونها حدث ثانوى إلى نجاح مشهود على المستوى القومى. وكان الإذاعى المشهور جداً ستوارت هامبلن صاحب البرنامج الإذاعى الشهير الذى كان يذاع على الهواء مباشرة، قد تجدد، وكانت شهادته عبر الأثير قد أحدثت ضجة كتلك التى صاحبت تجديد المجرم چيم ڤاوس لكون هامبلن مشاكساً فى إذاعته، هذه الأحداث جعلت جراهام وفريقه يعتزمون مواصلة العمل.

ثم أصدر هيرست الشخصية الصحفية اللاحقة ـ أوامره للمراسلين الصحفيين بتتبع جراهام، فأصبح مبشر نورث كارولينا

صاحب شهرة واسعة.

ففى ٣١ ديسمبر عام ١٩٤٩ نبهت مجلة «اليوستراند» أن هناك موجة من النهضة الدينية يقودها مجموعة من خدام الإنجيل الحارين الذين كان منهم بيلى جراهام أكثر حرارة، هذه النهضة اكتسحت أمريكا.

ولوحظ فى مخيم لوس انجلوس أنه كان يأخذ بألباب الحاضرين كما أنه ينوم ٦ آلاف شخص مغناطيسياً كل ليلة بتقديم عرض مشوق وبقدرة كبيرة على الإقناع وصوت رائع جميل، وقد سبقته شهرته إلى بوسطون، وهى منطقة يعتقد أنها أكثر مناطق الولايات المتحدة تحجراً ومقاومة لرسالة الانجيل ولكن للمفاجأة كانت النهضة كما يقول جراندى ولسون إن الزيارة كانت «أقرب إلى نهضة عظيمة لم أر مثلها من قبل. وعندما انتهت خدمته كان تعليق مجلة الـ «ريبوتر» فى مقالها «كيف أتت أرض بعولة BAULAH[1] إلى بوسطون، فقد بلغ العدد أكثر من ١٠٠ ألف شخص فى سبعة عشر يوماً، وبلغ الحضور في يوم ٢٦ يناير ١٩٥٠ حوالى ١٦ ألف، وبعدها انهمرت الدعوات عليه للوعظ فى

(١) أرض بعولة تشير إلى أرض النهضة والرخاء كما تشير إلى أرض أورشليم الجديدة فى سفر الرؤيا وهى بهذا جاءت بحسب المفهوم الوارد فى إش (٦٢:٤).

أماكن مختلفة، من كولومبيا وجنوب كارولينا، وتحدث مع رجال الدولة. وحضر الحملات التبشيرية هنرى لوسى وهو صاحب مجلتى التايم ولايف، وكما ذكرت مجلة كريستان هيرالد أن هذه الحملات الثلاث تعنى أن «غرب وشرق وجنوب الولايات المتحدة قد تجاوب مع رسالة الإنجيل»، وفى ١ مايو ١٩٥٠ علقت مجلة «نيوزويك» NEWSWEEK العالمية الشهيرة بالقول إن جراهام أثبت بهذه الطريقة أنه يستحق عن جدارة لقب «مبشر أمريكا الحى» والمقال ليس مؤيداً لمسيحيته الإنجيلية بل أنه يلقى الضوء على سببين أساسيين لنجاحه. فقد تخيل المرجانترى (قدم تخيله هذا فى رواية تتصف بالخيال المحض» أن الكرازة أصبحت مخزية فى عيون الكثير من الأمريكيين.

وفى الواقع لقد أساء مبشرون كثيرون لأسماء الخدام المحليين حتى نفر منهم الناس بسبب مناشدتهم الدائمة للناس لجمع المال، وهم يصفون هذه الأموال بأنها «عطايا المحبة». وقد لاحظت النيوزويك أن جراهام يختلف عن الكثير من الكارزين، وهو لا يزور أى مدينة إلا بدعوة من خدامها المحليين، وأضافت أيضاً أن جراهام لا يركز أبداً على «عطايا المحبة» وأن مرتبه من مدارس نورث ويسترن يبلغ ٨,٥٠٠ دولار سنوياً، وهو يمثل مصدره الرئيسى للدخل، وتغطى اللجان المحلية بقية المصاريف.

وقد لاحظت مجلة «لوك» المصورة فى ١٤ يونية ١٩٥٠ أن هناك سبباً آخر هو «خلو الفريق المرافق له من الأخطاء السلوكية»، وهم فى الواقع كانوا على دراية بالسمعة السيئة التى اكتسبتها حركة النهضة كحرفة، لذلك جاهد جراهام أن يحفظ خدمته نظيفة، وبالمناسبة فان فريق جراهام الذى أصبح يضم المرنم الشهير «كليف باروز» يرتدى ملابس أنيقة كتلك التى يرتديها جراهام شخصياً، وكما علقت الـ «پاثفيذر» بقولها إنه «كمتحدث وخطيب ساحر أيضاً يرتدى أحدث أربطة العنق ذات الألوان الزاهية المتناسقة» وبالنسبة له ينبغى أن تكون الكرازة فى شكل جذاب وأنيق لتساعد على ربح النفوس.

ويذكر ت. و ولسن رئيس فريق جراهام أن جزءاً من نجاح عمل الفريق أنه يعتمد على عناية الله فى العمل، حتى إن المجلات والجرائد العادية أدركت أن شيئاً ما يحدث فقد قالت مجلة «لوك» فى عددها الصادر فى يناير ١٩٥١ إنها تشك فى أن جراهام سوف يتمتع بنجاح أعظم من هذا الذى حققه فى السنين الماضية فى أى وقت آخر».

امتزجت الولايات المتحدة الأمريكية بنوع من الشعور الدينى لم يكن موجوداً منذ بداية القرن، إنها رسالة النهضة القديمة لمودى تشعل ثانية نيران الأحداث المعاصرة، وأصبحت كل البدائل للإيمان الدينى تسقط للتو

عند ما يظهر بيلى جراهام على الساحة.

وكان على العلماء أن يعترفوا أنهم مع أنهم قادرين على السيطرة على حركة الذرة إلا أنهم غير قادرين على السيطرة على البشر.

فقد اشترت الاشتراكية والفاشية حرية الإنسان بوجود الأمان والسعادة ولكنها لم تعط شيئاً فى المقابل، وفشلت هذه الايدلوچيات مما جعل الناس يبحثون عن الإيمان الشخصى.

وبالطبع فإن هذه الجماهير سوف ترجع إلى المسيحية الانجيلية، وليس إلى الليبرالية التى تنتشر وسط الحروب، وقد مضت المجلة فى ملاحظاتها «إن النمو الإيمانى المسيحى أصبح ملحوظاً داخل الجامعات مع ملاحظة تلاشى التأثيرات العصرانية»[٢]. فقد حدثت تغيرات يمكن ملاحظتها بسهولة، فقد عبرت النهضة الحواجز العنصرية والطبقية فى الجنوب المنعزل عندما بدأ المعمدانيون لأول مرة يعاملون المؤمنين السود بروح المساواة.

---

(٢) العصرانية حركة سعت إلى تأويل تعاليم الكنيسة لتناسب العصر من النواحى العلمية والفلسفية فى بداية القرن العشرين [المترجم].

جراهام يواصل نجاحه :

وصف اللاهوتي الإنجيلي لويس دروموند الأمريكان بأنهم شعب «يحبون البطل» وأصبح جراهام واحداً من هؤلاء الأبطال، وناله من حب الأمريكان جانباً، ولكنه مع هذا كان يعرف السبب الحقيقي في كل ما حققه هو، لذلك قال لمجلة «الحياة المسيحية في يناير ١٩٥١. كل المجد والتبجيل والاستحقاق ينبغي أن ترجع لله والروح القدس. فإن الروح القدس هو الذي يقنع وهو الذي يجدد وهو الذي يتولى العمل بعدما نذهب ونترك المكان فعلاً، إنها كلها أشياء خارقة وأفعال غير طبيعية، وكل ما نفعله نحن هو الشهادة للنعمة المخلصة ولقوة ربنا يسوع المسيح وأنا عندي يقين أن أي إنسان يقدم للناس رسالة الإنجيل بطريقة بسيطة، ولكنها مصحوبة بقوة الروح القدس، فإنه يجب أن يتوقع نتائج إيجابية إذا كان يتحدث لغير المؤمنين».

والمتابعة، خصوصاً عن طريق الكنائس المحلية ضرورية لبناء المؤمنين الجدد على تعاليم عقائدية سليمة لكي ينموا في الإيمان، وعندما يأتي جراهام إلى الفقرة الخاصة بتقديم الدعوة لمن يطلب الخلاص بالتقدم للأمام في نهاية كل رسالة، فإنه يوضح «أنا أوضح للمتقدم للأمام بطريقة مباشرة وصريحة أنه متقدم لطلب التجديد والخلاص، والعمل

الحقيقى يقوم به الروح القدس» والكنيسة تقوم بالمتابعة بعمل الروح القدس أيضاً، وهذا ما يجعل جراهام يختلف اختلافاً كبيراً عن غيره - فهو تحت سلطان من أعطاه القوة التى جعلت حتى المعارضين يقفون مشدودين لما يقول.

الخدمة تمتد :

امتدت خدمة جراهام سريعاً، لذلك أسس جراهام مؤسسة تدعى مؤسسة بيلى جراهام الكرازية، وذلك حتى يحافظ على الجانب المادى لخدمته، وحتى يكون نظيفاً تماماً قرر ألا تؤخذ «عطايا المحبة» ، حتى جراهام نفسه كان يتقاضى مرتباً ثابتاً، وأيضاً كانت المؤسسة تدفع مرتبات للعاملين بها ، وللفريق المرافق له. وكانت هذه المرتبات والمصاريف تأتى من ميزانية مخصصة لذلك، وعليه فيستطيع الفريق أن يقدم خدمته مجاناً دون انتظار المقابل من هؤلاء الذين قدموا الدعوة إليه.

(علماً بأن التكاليف الخاصة بالرحلات الكرازية مثل الدعاية وتأجير القاعات، وما إليه، يمكن تغطيتها محلياً)، وكان على جراهام أيضاً أن يغطى تكاليف البرنامج الإذاعى الجديد «ساعة القرار». فد كان جراهام من البداية معارضاً لبدء هذه السلعة الإذاعية، ولكن الميزانية الضرورية

للبرنامج وصلت فى الميعاد الذى حدده لها كعلامة أو إرشاد ، ثم أصبحت الإذاعة تبث برامجها لحوالى ١٥٠ محطة إذاعية، وقد بدأ البث الإذاعى فى ٥ نوفمبر ١٩٥٠.

وغير الفريق أسماء التعبيرات الكرازية التى كانت تستخدم، فقد أعطى اسم «الانتعاشيات» للحملات الكرازية التي يقومون بها واستخدم لقب «مشير» بدلاً من «العامل الشخصى»، وأصبحت هذه التعبيرات تأخذ بالألباب منذ ذلك الحين، وكانت أعظم مساهمات جراهام للمسيحية فى الولايات المتحدة هى تدعيم المصالحة الحقيقية والمتكاملة بين السود والبيض. وهو الحدث الذى نشط فيه جراهام إلى أبعد الحدود (حتى أن هذا كان عى حساب التدعيم الضخم الذى يأتيه من الأمريكيين البيض)، وهذا سيصبح من أهم عوامل نجاحه فى بلاد العالم الثالث بصفة عامة وفى إفريقيا بخاصة.

وقد سجلت المنطقة الجنوبية من أمريكا ـ حيث نشأ جراهام ـ أعلى معدلات التفرقة العنصرية، ولكنها لم تكن موجودة حتى جاء إلى الشمال لدراسة الانثروبولوجى فى هويتون WHEATON، جاء إلى الشمال ليرى السود وقد أصبحوا مساوين له تماماً. وهذا أصبح واقعاً أيضاً فى الجنوب عندما ابتدأت حملاته الكرازية فى الجنوب تقدم

مساعدات هامة فى هذا المجال.

امتعض الجنوبيون من دعوة الشماليين المتحررين لهم بالتعاون مع السود، ولكن جراهام كان جنوبياً أبيض مثلهم، ولكنه فى حملته الكرازية فى كاتانوجا فى عام ١٩٥٣ طلب ترتيب المقاعد بحيث تخلط بين السود والبيض. وفى حملته الكرازية إلى دالاس حاولت اللجنة المحلية فرض التفرقة العنصرية، فقد رأى جراهام أحد العاملين الزنجيين فى الفندق الذى يقيم به، لذلك وجد أن الفرصة سانحة لإثبات وجهة نظره بطريقة عملية، فقد جعل الزنجى يصعد معه فى نفس المصعد متفاخراً به بدلاً من تركه يتسلق السلالم الخفية.

وبعد قرار المحكمة العليا فى ١٩٥٤ بتحريم التفرقة العنصرية وجعلها مخالفة للقانون كان جراهام مصراً على أن حملاته الكرازية أتت ثمارها، وأصبح موقفه من التفرقة العنصرية محل تقدير الرئيس أيزنهاور، وهذا قربه أيضاً من السناتور ليندون جونسون الذى كان يقود حملة فى واشنطون لأجل حقوق الإنسان، اتخذ بيلى جراهام خطوات لتحسين المتابعة في حملاته الكرازية فقد أقنع داوسون تروتمان رئيس النيفجاتورز (البحارة) أن يتولى مشروع التدريب على المشورة، وقد تم بالفعل. ثم أعطى الفرصة لمؤمنين مؤهلين، أن يقوموا بخدمة الوعظ،

وكان معظمهم من العلمانيين، وأن على المشيرين[٣] أن يعتبروا أنفسهم «مولودين روحياً» وعليهم أن يتذكروا دائماً حقيقة أن «المسيح هو الذى يخلص» وأن «الوسيط الأعظم هو الروح القدس»، وأن كل القرارات يجب أن ترجع فى الأساس إلى الكنائس المحلية، وفى نفس الوقت أصدر جراهام كتابه الأكثر مبيعاً «سلام مع الله» وبدأ كتابه كعمود دائم فى الصحف، وتشعبت مشروعاته حتى أنه بدأ فى إنتاج أفلام «مع أنه رفض عروض كثيرة بأن يصبح نجم إنتاج هوليود».

المبشر العالمى :

مبشرون كثيرون نجحوا فى الولايات المتحدة، ولكن شهرتهم لم تتخط الحدود، ولكن بيلى جراهام أثبت فى ١٩٥٤ أنه قادر على أن يصل لأناس من حضارات مختلفة عن الحضارة التى نشأ فيها، فقد دعاه الاتحاد الإنجيلى البريطانى فى عام ١٩٥٢ أن يقوم بحملة كرازية فى بريطانيا ـ فقد أعد المكان لاستقبال الحدث وهو ميدان هارنجى فى شمال لندن، وعقدت اجتماعات صلاة فى أنحاء العالم المختلفة، وتم تدبير كافة الاحتياجات المادية لتغطية نفقات الرحلة ومصاريف الإقامة، ولكن لسوء الحظ لم يكن الفريق على معرفة كافية بالبلاد الأخرى، ـ وهى

(٣) المشيرين : أفراد الفريق (الاسم الجديد الذى اتخذوه).

الميزة التى مكنتهم من النجاح فى خدمة أعالى البحار فيما بعد. وكان من نتيجة ذلك أن كراسات الدعاية التى طبعوها أحدثت موجة من المعارضة ألقت بظلال ثقيلة على الحملة.

وجاء فى الكراسة الدعائية الأخيرة، إنجلترا التاريخ هى إنجلترا التى حياتها ـ شعباً وأفراداً ـ ترتكز فى كل أمورها على الله، والملكة الحالية تؤيد هذه الحقيقة.

وإن كانت قنابل النازى قد هدمت كنائس كثيرة وساد جو من الإحباط فى هذا الوقت إلا أن ما لا تستطيع قنابل هتلر أن تفعله، أن تجعل العلمانية وتوابعها الشريرة «تكتمل» وامتلأت حديقة هايد بارك الشهيرة بالخطباء الذين يتكلمون فى كل شئ تقريباً «ولكن الأكثر فعالية هو أنهم أصبحوا يتكلمون فى الاشتراكية».

إن أكثر من ٩٠ فى المائة من البريطانيين لا تربطهم علاقة بالكنيسة، لذلك كتب جراهام «إن النهضة الدينية هى فقط القادرة على أن تعطى الشعب الإنجليزى التكامل الأخلاقى والاستقرار الضروريين ليقفوا معنا فى الأيام القادمة». وللأسف فقد احتوت الكراسات الدعائية على خطأ مطبعى، فبدلاً من كلمة العلمانية أو الدنيوية SECULARISM جاءت مكانها الكلمة SOCIALISM بمعنى الاشتراكية، ولهذا ساد احتجاج قوى

عندما اكتشف مراسل الـ «ديلى هيرالد» هذا الخطأ. وكنتيجة لهذا لم تلق الدعاية الجماهيرية التى صاحبت زيارة جراهام لبريطانيا الترحيب اللازم. وكان عليه أن يقضى وقتاً عند وصوله فى شرح وتوضيح أنه لا ينوى أن يكون سياسياً، ولكنه وافق على الوعظ فى إنجلترا استجابة لدعوة خاصة تلقاها من المسيحيين المحليين، بدأت الحملة فى ١ مارس ١٩٥٤ بعظة ألقاها جراهام من يو ٣:١٦، وكان عدد الحاضرين يتزايد ببطء ملحوظ، ويذكر «موريس رولاندسون» زميل جراهام الإنجليزى - لكى يتجمع أكبر عدد من المستمعين لابد من أن تحدث «هزة عظيمة» تسود كنائس إنجلترا.

لقد قام المبشر البريطانى توم ريس فى عام ١٩٤٠ بعدة حملات كرازية نجحت أكثرها ومهدت الطريق أمام حدث مثل الذى قام به بيلى جراهام، ولكن لأن عدد المتجددين تزايد بثبات فأصبح من الملاحظ أن بريطانيا لم تشهد مثل هذا منذ زيارة مودى لها منذ عدة عقود.

فلقد لوحظ فى جراهام بساطة الإنجيل التى تلمس القلب، وهذا جعل الكثيرين يجدون شيئاً جديداً وشيقاً أو كما قال رولاندسون «اختبار يمكن ملاحظته».

وكتب چون بولوك أن بيلى جراهام حرر البريطانيين من تحفظهم فى

الكلام، وأصبح فجأة لديهم سهولة فى التحدث عن الدين.

ولم تشارك كل الكنائس الإنجيلية ولأسباب سبق ذكرها ـ ولكن العديد منها مثل كنيسة ويستمنستر كانت سعيدة أنها ستشترك بدورها مع المتجددين حديثاً، وبينما كان مارتن لويد جونز آسفاً على وجود متحررين على منبر بيلى جراهام إلا أنه كان سعيداً للغاية أن يرى جراهام بصفة خاصة فى كنيسة ويستمنستر، وعندما كان جراهام فى وقت ما يشعر بالمرض أخذه للعرض على متخصص معروف لديه فى شارع هارلى.

وتفهم جراهام أن عدم مشاركة بعض الكنائس فى جولاته التبشيرية لا يعنى نقصاً فى الالتزام نحو الكرازة بقدر ما هو اختلاف بين المؤمنين هنا هو اختلاف فى طرق وأساليب إعلان البشارة، وكما أشار رولاندسون أن المؤيدين للكرازة بالحملات وخصوصاً الحكماء منهم لايدعون أن أسلوبهم هو الأفضل عليه، ولكنهم يدركون أنها واحدة من الطرق التى باركها الله لإعلان ملكوته. فكنيسة ويستمنستر كما سبق أن ذكرنا مع أنها من الكنائس التى لم تشارك فى الحملة الكرازية إلا أنها تعلن كلمة الله وتذيعها بأمانة كل أسبوع، وشهدت العديد من الحالات التجديدية، وعندما وصل المتجددون فى هارنجى (على يد جراهام) إلى أبواب

الكنيسة وجدوا ترحيباً حاراً جداً. ووصل عدد الذين استمعوا إلى وعظ جراهام فى نهاية فترة الحملة إلى أكثر من ١,٨٦٩,٠٠٠ وتجدد منهم ٣٧,٦٠٠، وقال جراهام لمجلة ديلى سكيتش إنه يأمل أن الكثير منهم يكونون مؤثرين فى أبناء وطنهم، بل وفى العالم، ولكن أكثر شئ هزّه من الأعماق هو التأييد الذى لقيه من الكنائس.

وبعد رحلاته إلى أوربا عاد جراهام ثانية إلى بريطانيا سنة ١٩٥٥ لأجل القيام بحملة كرازية فى اسكتلندا، وهنا ولأول مرة استخدم نظامًا مهمًا أصبح جزءاً تكميليًا لا يتجزأ من عمله، فقد عمل خطة للصلاة التى صلى فيها المؤمنون فى الكنيسة المحلية لأجل أصدقائهم غير المؤمنين الذين يهتمون بهم والذين يرغبون فى انضمامهم إلى اجتماعات الحملة التبشيرية لكى يُعترف بهم، وكما كان فى هارنجى أصبح العديد من المتجددين خدامًا فى الكنيسة، وهناك من شعر أن التأثير الأكبر لهذه الحملات الكرازية على المدى البعيد هو فى أن عدد من الاكليروس الحاليين بدأت حياتهم الروحية منذ ١٩٥٤، ١٩٥٥.

كارز عبر العالم :

جاءت إرساليتان تبشيريتان ليست بمستوى النجاح الذى حققته إرسالية إنجلترا كانتا فى ويمبلى وكمبريدج وقد أتبعهما جراهام بزيارة

ناجحة ومفيدة إلى الهند، وكانت هذه الرحلة هى الأولى إلى دولة من العالم الثالث.

أدرك جراهام - مثل مارتن لويد جوتز فى IFES أن الشعب غالبًا ما يكون أكثر تجاوبًا مع الإرسالية التى يقوم بها أفراد من حضارتهم ومن بلادهم. حينئذ سينظر الشعب للإنجيل على أنه حقيقى لأجل وثاقته بحضارتهم وقربه لأذهانهم وطريقة تفكيرهم، غير أنه لن يعرض لتشويش التغريب أو استياء أعداء الإمبريالية. وحقيقة كون جراهام من الغرب الغنى هى التى كونت هذا المفهوم لديه. وفى مدرسة هنرى مارتن للمسلمين تقابل بيلى جراهام مع «الدكتور أكبر حق» وأقنعه بأن يكون كارزاً فى آسيا.

العودة إلى الوطن ومغادرته ثانية :

فى هذه الأثناء توسعت مؤسسته أكثر وأخذت عدة مبان جديدة فى مينا بوليس. وركّب بيلى جراهام آلات مكتبية لتوفير العمال بعد ما تعرض لنقد شديد، فقد أصبح أكثر ضرورة منذ تأسيس مجلة «كريستيانتى توداى» «المسيحية اليوم»، هذه المجلة تحت إشراف تحريرى من المحرر المشهور كارل هنرى اللاهوتى المشهور وهى مجلة مستقلة عن مؤسسة جراهام الكرازية، ولكن المؤسسة تدعمها ماديًا،

ويطلق على العاملين من المحررين والمشتركين فى التحرير «الطليعة العقلية لحركة بيلى جراهام الكرازية» وهى توضح أنه مع أن بيلى جراهام نفسه ليس بالشخص العقلانى المفكر إلا أنه مهتم بالموضوعات العميقة خصوصًا الاحتياج لمقاومة اللاهوت المتحرر بأسلوب قوى ومقنع.

ثم جاءت حملتان كرازيتان، الأولى فى نيويورك والأخرى فى استراليا.

وفى نيويورك وجد بيلى جراهام نفسه مصدراً للهجوم من اللاهوتى المتحرر المعروف رينهارد نيبور لأجل عدم اهتمامه القوى بالقضايا الاجتماعية، وأجاب جراهام أن مثل هذه القضايا مهمة وحيوية، ولكن الاحتياج الحقيقى الذى لم يتغير أبداً هو أن يجد الخطاة الخلاص فى يسوع المسيح.

استمع إلى عظاته فى ١٦ أسبوعاً حوالى ٢ مليون ونصف، وربما كان التأثير الأكبر فى هارلم حيث يعيش الكثير من الفقراء والسود، وقد فكر لمرات عديدة أن يجعل فى فريقه البيض والسود معًا حتى يكون قد اتخذ موقفًا قويًا فى العلاقات العنصرية من الناحية العملية، بالإضافة إلى الناحية النظرية، وقد قدمه مدير منظمة إرسالية «كلمة الحياة» إلى راعى كنيسة أوهايو هوارد جونس، وكان جونس واعظاً أسوداً، وله خبرة

فى مجال الكراز بأفريقيا. قد شعر جونس أن جراهام كان «شيئًا آخر» لذلك فقد "تأثر به على الفور". ووافق جونس على العمل فى الفريق لمدة خمسة أسابيع يعقبها توقف لمدة عشرة أسابيع، وقد استاء بيض كثيرون من وجود جونس، ولكن جراهام أصر أن يعطيه كافة الصلاحيات، قائلاً "أنا لا أبالى كم عدد الذين سيوقفون المساعدة لى"، وقد أقنع جونس العديد من الخدام السود فى هارلم بأن يتعاونوا مع جراهام. وعندما ذهب جراهام فى يوم الأحد لكنيسة سالم الميثودستية احتشد داخل الكنيسة أكثر من ثلاثة آلاف، بالإضافة إلى ألف أخرى على السلالم، مع العلم أن جميعهم جاء تحت المطر، وعندما توقفت الأمطار وبدأت الشمس فى الظهور توافد إلى خارج الكنيسة ٨,٠٠٠ شخص آخر بالإضافة إلى عدد لا يحصى كان يشاهد العظة من الشرفات. وفى بروكلين تجمع أكثر من ١٠,٠٠٠ شخص للاستماع إليه، وقرر العديد من السود القيام برحلة إلى الحملة الكرازية الرئيسية فى حديقة ماديسون.

لذلك طلب جراهام من هوارد جونس أن ينضم للفريق بصفة دائمة، وقد عمل چونس، مع جراهام لمدة عام لينسق العمل فى إفريقيا بحيث يقوم جراهام وجونس برحلة كبيرة إلى هناك فى عام ١٩٦٠، فقد أحدث جراهام تأثيراً لا يقاوم لدى الأفارقة، وأثر فيهم إخلاصه وأيضًا لأنهم لاحظوا أنه يرفض القيام برحلة إلى جنوب إفريقيا لأن هوارد چونس

سوف يكون غير قادر على اصطحابه إلى هناك. وفى عام ١٩٧٢ قبل بيلى جراهام الدعوة لأن يكون متحدثًا فى دوربان وچوهانسبرج (بجنوب إفريقا) شريطة أن يكون الحضور مختلطاً ويجمع بين السود والبيض، ولم ترغب حكومة چوهانسبرج العنصرية فى ذلك وبدأت فى التراجع عن الدعوة. وقد أخبر العديد من أبناء جنوب إفريقيا السود جونس بأنهم صار لديهم اعتقاد بأنهم لن يروا اليوم الذى يجتمع فيه شعب مختلط فيه (أسود وبيض) بدون تفرقة عنصرية، ولكن اجتماعات بيلى جراهام أظهرت أن هذا ممكن.

اتصالات سياسية :

فى عام ١٩٥٠ رأى الكثيرون أنه يمكن اعتبار جراهام سيناتوراً واعداً ممثلاً عن ولايته نورث كارولينا، ولكنه رفض ذلك. ومع هذا لم يغب عن بال الذين يرغبون فى استخدام موهبته لأغراض سياسية. وفى عام ١٩٦٠ وهو عام انتخابات الرئاسة الأمريكية، غادر بيلى جراهام الولايات المتحدة، ليبقى خارج البلاد أطول فترة ممكنة، وكتب مقالاً «من نكون». لم يحدد فيه اختياره فى الانتخابات لمجلة «لايف»، ولكن أصدقاءه الديمقراطيين توسلوا إليه أن يعود، لذلك كتب فى مقال له عن لماذا يجب على المسيحيين أن يقترعوا.

وعن القضايا الاجتماعية تحدث فى احتفالات تولية الرئيس الأمريكى ليندون چونسون فى عام ١٩٦٥ "إن مشاكلنا فى الأساس روحية" وقد شعر أن الكنيسة إذا عادت إلى مهمتها الرئيسية ألا وهى الكرازة وتقديم الإنجيل وهداية الناس للمسيح فأن هذا سيكون أكثر تأثيراً من البناء الاجتماعى للبلاد.

وقد استمر جراهام فى نشاطه فى موضوع العنصرية وقام بعدة حملات كرازية فى ليتل روك فى عام ١٩٥٩، وعقد حملة فى برمنجهام، الاباما فى عام ١٩٦٤ بعد وقت قصير من اندلاع التوتر العنصرى هناك.

كان بيلى جراهام ومارتن لوثر كينج صديقين، ويتذكر چونس أن مارتن لوثر كينج قال لجراهام "إن حملاتك التبشيرية فعلت الكثير لمساعدة العلاقات بين الأجناس العرقية المختلفة أكثر من أى شئ آخر أعرفه، لقد ساعدتنى". وعندما بدأ چونسون حملته لمساعدة السود الفقراء فى الستينات من هذا القرن أيده بيلى جراهام بحماس شديد، ولم يكن رئيساً آخر قد فعل هذا منذ زمن روزفلت، لذلك تأثر جراهام بما فعله چونسون وأثر فيه أنه كان يؤمن بما يفعل إيمانًا بالغًا.

لقد كان جراهام صديقًا للرئيس ليندون چونسون أكثر من أى رئيس

آخر حتى إن جراهام مكث فى البيت الأبيض أثناء رئاسة چونسون (أكثر من الفترة التى أقامها أثناء وجود نيكسون فى البيت الأبيض، ووعظ هناك عدة مرات.

امتداد أوسع للخدمة :

فى عام ١٩٦٠ أنشأ جراهام المجلة الجماهيرية الدورية - «القرار» منذ أظهر البرنامج الإذاعى «ساعة القرار»، وتكرار إذاعة جملاته الكرازية باستمرار أن الضرورة تحتم وجود مجلة جماهيرية، وحققت «القرار» نجاحًا فوريًا منقطع النظير، وكان هناك فكرة إبداعية أخرى وهو إنشاء مدرسة للكرازة تلحق بكل حملة كرازية. وقد حضر سبعة من طلاب كلية اللاهوت فى سنة ١٩٦٠ حملة فيلادلفيا، وفى عام ١٩٦٢ التحق ٢٧ طالبًا ليشاركوا حملة شيكاغو، ولكى يروا الكرازة من الناحية العملية. وفى نوفمبر ١٩٦٢ كانت حملة الپاسو الكرازية مدرسة كرازية لتعليم طلاب اللاهوت (وفيما بعد الرعاة) وتضاعف عدد أفراد الفريق وتم إحضار محاضرين مشهورين من الخارج أمثال كينيث شافن ولويس دروموند (فى ذلك الوقت أصبح جراهام أستاذاً فى كلية اللاهوت للكنيسة المعمدانية الجنوبية فى لوسفيل - كنتاكى) ليعطوا فهماً أكثر عمقًا، وكان هدف هذه المدارس هو جعل الكنائس المحلية تعرف أهمية

الكرازة وطرق تنفيذها ، وكما قال جراهام للخدام فى لوس انجلوس عام ١٩٦٣ "إنه من المفهوم تماماً أن الأشخاص لا يستطيعون إعداد نهضة" وأضاف قائلاً " إن الفترة التى عملت بها فى حملات كرازية أقنعتنى تماماً أن الخلاص من عند الرب".

إن أعظم قوة يمتلكها جراهام هى أنه يدرك تماماً أنه لا هو ولا أى إنسان آخر على وجه الأرض يستطيع خلق نهضة روحية، ولكن الله وحده هو الذى يقدر. ونفس هذا التنبير نبر عليه دروموند وچوزيف الدريك فى مدرسة الكرازة.

وفى مؤسسة بيلى جراهام الكرازية تم إدخال الأفلام كوسيلة أساسية وأصبح «إنسان البعد الخامس» أكثر شعبية، وأيضاً فيلمان آخران عملهما مع كليف ريتشارد هما «درهان ـ وأرضه». وبالطبع فأن هذه الأنشطة تكلف الكثير من المال، وأصبحوا يحتاجون لملايين الدولارات، لذلك تحاول المؤسسة المحافظة بعناية على مستوى الميزانية، ويحاول جراهام نفسه هذا برفض أي زيادة في مرتبه لمدة طويلة، ومواصلة العيش عيشة معتدلة مع أفراد أسرته فى منزله الذى هو عبارة عن كوخ كبير فى مونتريت، فى نورث كارولينا. وأعضاء الفريق أمثال جرادى ولسون قاموا بحملات كرازية صغيرة بأنفسهم خصوصاً بعد ما شعر جراهام

بالمرض لفترة ما فى عام ١٩٦٣.

بريطانيا ــ وبرلين :

شهد عام ١٩٦٦ وعام ١٩٦٧ حملات كرازية لبريطانيا ، ففى عام ١٩٦٧ استخدمت التكنولوچيا الحديثة متمثلة فى استخدام جهاز الكابل الإذاعى، لذلك استطاع شعب بريطانيا رؤية بيلى جراهام على الشاشة فى محطات إذاعية فى بريطانيا كلها. كما استخدموا طريقة الكرازة فى القهاوى وهى طريقة تأكدوا من صلاحها فى حملة نيويورك ١٩٦٩.

وكان العديد من المبشرين قد تجددوا فى حملة عام ١٩٥٤ ، وهذا أثبت لبيلى جراهام خطأ النقد القائل بأن القليل من المتجددين فى الحملات الكرازية سوف يبقون. وكان هناك حدثان صغيران مرتبطين بالكرازة فى تورين وزغرب بيوغسلافيا ، وكانت زيارته لزغرب هى الأولى من نوعها لبلد اشتراكى، واستمع جمهور كثير من المتحمسين لعظة بيلى جراهام فى حقل مفتوح وتحت المطر.

وكان مجلس الكرازة العالمى «الذى عقد فى برلين فى أكتوبر ١٩٦٦ حدث له دلالة حيث كان الداعى الرسمى للمؤتمر (المجلس) هو مجلة

«المسيحية اليوم» وحضره أكثر من ١,٢٠٠ مندوب من أكثر من ١٠٠ قطر تقابلوا تحت شعار «جنس واحد ـ إنجيل واحد ـ عمل واحد». وحضر المؤتمر معظم قادة التيارات المسيحية المختلفة، هذا وقد حدثت تغطية إعلامية كبيرة للمؤتمر فى الصحف والمجلات العالمية، وأصبحت الكنيسة الآن «منظورة» دوليًا ومن كل الأجناس والمتناقضات، إنه الأمريكى بيلى جراهام الذى ساعد على الإسراع بالمهمة، وهى الحقيقة التى يتجاهلها ضعاف البصيرة من العلمانيين الدنيويين الذين لا يملون من انتقاد خدمته، والذين يصرون على رؤيته فقط كأمريكى نتاج المسيحيين الأمريكيين الجنوبيين بصفة خاصة.

كما ذكر كارل هنرى المندوبين أن المسيحيين هم جنس جديد بين الناس وشئ لا تنساه الكنيسة أبداً، وكما أشار بيلى جراهام فى رسالتين «سفراء تحت سلطان» الإنجيل هو الرجاء الوحيد للمجتمع بكونه وثيق الصلة بكل احتياجات الإنسان العصرى. وفى «أحد الإصلاح» شارك فى الصلاة عشرة آلاف شخص من برلين بالإضافة إلى المندوبين، نعم إن حدثاً جللاً قد حدث فى كنيسة ڤتنبرج بلاتس، وأظهر المؤتمر أن جراهام منذ ذلك الحين أصبح رجل دولة إنجيلى عالمى.

سفير الله :

تأكد وضع بيلى جراهام الجديد فى المؤتمرات التالية التى أعقبت مؤتمر برلين - فى سنغافورة فى عام ١٩٦٨ وبوجوتا عام ١٩٦٦ وأمستردام عام ١٩٧١.

فى سنغافورة تجمع من ٢٥ دولة تحت شعار «المسيح يطلب آسيا»، وقد أسس المؤتمر مكتبًا دائمًا للكرازة فى آسيا، وتعين الأسقف شاندوراى من باكستان كأول سكرتير له. تحدث جراهام فى أمستردام، وكاسيرى - أدت الفكرة إلى عقد مؤتمر فى لوزان فى عام ١٩٧٤، وربما كان هذا المؤتمر واحداً من أكبر التجمعات المسيحية المؤثرة منذ الحرب العالمية الثانية، وكانت هناك حملات كرازية خارج البلاد المسيحية المعروفة وهى توضح أن جراهام قد تحول إلى الشكل العالمى الحقيقى، وكما لاحظ هنرى هولى مدير الحملات الكرازية العالمية فى ذلك الوقت أن «بيلى جراهام له مصداقية مدهشة وقبول لدى السامعين من خارج الولايات المتحدة». وجد هولى تعاونًا كبيراً فى ستة عشر عامًا من الحملات الكرازية فى العالم الثالث - حقًا إن الذى جمعه جراهام من جماهير فى هذه البلاد يفوق كثيراً العدد الذى جمعه فى أمريكا.

وفى سول بكوريا تحدث فى خمسة أيام إلى أكثر من ثلاثة ملايين نسمة، وبالطبع كان عليه أن يتحدث إلى جمهوره من خلال مترجم.

ويتساءل هولى «كم أمريكى سيغادر المنزل ليستمع إلى كارز يابانى - يعظ باليابانية من خلال مترجم يترجم له بالإنجليزية؟ راجع التجاوب - والحديث لهولى - مع رسالة الإنجيل بلغة الأرقام أعظم مما كان فى الولايات المتحدة، وهذا حدث فى بلاد مثل اليابان يقطنها فقط ٥٪ مسيحيون.

بعض الأسباب:

يعدد هنرى هولى أسباب هذا النجاح بالإضافة إلى العناية الإلهية يذكر الآتى :

أولا : كما يعرف المؤمنون المحليون فى الولايات المتحدة، أن جراهام يقدم رسالة بدون مساومة، لذلك تتغلغل الرسالة إلى قلوب الناس، وأذهانهم.

كما أن جراهام أيضًا يحافظ على مصادره المالية نظيفة، فقد كانت كل حملات جراهام تسدد محليًا، لذلك فأن حضوره يمثل مصدر تشجيع للكنائس المحلية فى هذا البلد، وهذا ينطبق على رحلاته فى أعالى

البحار منذ عام ١٩٧٤، فقد توقف عن عمد عن ربط هويته الأمريكية بالعمل الذى يقوم به. كما أن الجهود الضخمة التى قام بها (هو وهولى) جعلتهما حساسين للمشاعر المحلية، ويشير هولى فى هذا المجال إلى أن الأمريكيين لا يتمتعون بسمعة جيدة، فقد فرض المرسلون الأمريكيون وسائل أمريكية فى أماكن لا تناسبها هذه الوسائل أبداً وبالتالى أثاروا أعداء المستمعين المحليين.

وقد أدرك جراهام وهول أن كل حضارة تختلف عن الأخرى، وعلى الفريق أن يكون حريصًا لاكتشاف الاختلافات بين كل واحدة وأخرى، ويقول هولى «إن فلسفتى أن ننظر إلى الأمور من خلال عيونهم لذلك فأن الفريق لن يقدم رسائل غريبة على المستمعين بل يعطيهم رسائل تم اختبارها وتأكد من نجاحها، لذلك فسوف يطلب المحليون تطبيق هذه الوسائل عن طيب خاطر، ويخبر هول أتباعه من الأمريكيين ماذا يكون رد فعلهم إذا جاء كارز يابانى إلى الولايات المتحدة؟ الفريق لا يجب أن يرتدى ملابس أمريكية الطراز وبالطبع فأنه يجب عليه أن يظهر فى تواضع جم.

ويشعر هولى أن المثل الصينى لاو ـ تزو هو مبدأ جيد الذى معناه «القادة جيدون فأن العمل يتم»، وهذا المثل يستخدم عندما يقول الناس

إننا فعلنا هذا بأنفسنا ، فإذا كانت الكنائس المحلية تستطيع أن تقول هذا عن نفسها عندما يذهب فريق جراهام فإن هذا فخر لجراهام والفريق ويكون أعظم ما ساهموا به (كقادة جيدون). وفوق هذا كله يؤمن جراهام وهول أن «الروح القدس هو العنصر العامل» ، هو العامل لكل حملة كرازية، وأنه هو الذى ينجز كل الأهداف المرجوة.

اليابان ـ نجالاند ـ وكوريا. فى عام ١٩٦٦ دعت الكنائس اليابانية جراهام للوعظ فى اليابان، ووافق، فأصبحت حملة طوكيو الكرازية فى عام ١٩٦٧. وفى الليلة الأولى امتلأت المقاعد وعددها ١٥,٠٠٠ عن آخرها ، ووصل العدد فى نهاية المطاف إلى ٣٦,٠٠٠ ألف للاستماع إلى الرسالة. وفى نهاية العظة تقدم حوالى ١٦ ألف طالبين الخلاص، ولكن الأكثر إهمية هو الانطباع الذى تركته الكنائس المحلية هناك، فقد قامت الكنائس بأنشطة لإعداد الجماهير قبل وصول جراهام، وكان هذا له تأثير بعيد المدى ومهم للغاية ليس فقط فى رفع روحهم المعنوية ولكن أيضًا فى إظهار لليابانيين الآخرين أنه لا يوجد كنيسة فقط فى اليابان، بل كنيسة وطنية خالصة وليست نتاج أو تأثير الحضارة الغربية.

وقد أحدثت الزيارة التى قام بها فريق جراهام إلى بلاد أخرى نفس التأثير، حتى إنه إذا ساعدت الحملات على اشتعال حركة النمو الروحى

فى هذه البلاد وأصبحت هذه الكنائس تعتمد على نفسها فأن هذا أمر جليل، على أنه ينظر لجراهام فى هذه المناطق على أنه مصادر تشجيع فى هذه المناطق (بنفس الطريقة التى فعلها مارتن لويد چونز من خلال IFES)، وأصبحت هذه أعظم مساهمة يقوم بها جراهام يمكن أن تؤدى إلى انتشار ملكوت الله أكثر من كل أمر أنجزه داخل الولايات المتحدة وأوربا. وكما قال هنرى هول «إن بيلى جراهام فى كلمات قليلة هو كارز العالم».

ويمكننا أن نرى تأثيره المستمر فى حملتين كرازيتين أخريين إلى بلاد من العالم الثالث، الأولى فى نجالاند فى شمال شرق الهند عام ١٩٧٢، وهى التى وصفها چون بولك بمعجزة كوهيما، وكانت المنطقة من المناطق التى تتميز بالقلق السياسى والعنف السلوكى بين الجماهير، وكانت الحكومة الفيدرالية فى الهند ممانعة لإعطاء تأشيرات دخول لجراهام وفريقه، ولكنها وافقت فى النهاية، وتم منحهم التأشيرات، تجمع عدد من القبائل من ست مقاطعات هندية فى كوهيما حيث مكان انعقاد الاجتماعات الانتعاشية وكادت التوترات السياسية المتزايده تتسبب فى البداية فى إلغاء الحملة، ولكن المسيحيين الناجا سافروا لمقابلة جراهام فى بانكوك وأقنعوه أن يأتى، وكان فى استقباله عند وصوله ١٠٠ ألف شخص فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٢، وسلم أكثر من

٤ آلاف شخص حياتهم للمسيح، وهذا يعد بالطبع نهضة كبيرة بالنسبة للكنيسة المحلية هناك.

وجـاءت الرحلة إلى كوريا ـ سول في يونية ١٩٧٣، وقد أدارها مسيحيون محليون، وهي تعد أكبر حدث وعظ فيه جراهام، فقد تجمع ٥٠٠ ألف للاستماع إليه في الليلة الأولى، ووصل عدد الحضور في ٣ يونية إلى أكثر من ١,٢٠٠,٠٠٠، وعند دعوته للجمهور بالتقدم للأمام لتسليم حياتهم للمسيح ركز جراهام على تكلفة الحياة المسيحية حتى يتأكد من أن الذين تقدموا للأمام طالبين الخلاص قد فهموا مشتملات ما يقومون به، ولكن العدد لم ينخفض، فقد تقدم للأمام طالبين الخلاص ومتجاوبين مع رسالة الإنجيل ١٢٠ ألفاً أثناء الرحلة التبشيرية، ولكن جراهام والفريق أدركوا أنه لا يوجد نتائج هائلة حتى على المستوى البشري، فقد كان هذا كله نتاج الصبر والعمل المتواصل الذي قام به المسيحيون في كوريا بين شعبهم، فقد كان هؤلاء المسيحيون مثل الزارعين الذين بذروا وسقوا وكان بيلي جراهام وفريقه مثل الحاصدين، وهذه الحقيقة يؤكدها بيلي جراهام وكل أعضاء فريقه. وقال سترانج هوستن مديره للحملات الكرازية في أمريكا لمجموعة من الخدام الأمريكيين في عام ١٩٨٣ إن دعوة جراهام لا يرجو منها نتائج إذا لم تقم الكنائس بعملها أولاً، فقد كان حوالي ٨٠٪ من المتجددين قد

جاءوا إلى الحملات الكرازية عن طريق أقاربهم وأصدقائهم المؤمنين. وهذا ينطبق على ما حدث فى كوريا وفى كل مكان آخر كان فيه بيلى جراهام. مع العلم أن حملات جراهام التبشيرية لا يمكن أن تكون بديلاً عن الكرازة التى يقوم بها المسيحيون المحليون فى مناطقهم المختلفة، هذا ومازال جراهام وفريقه يؤكدون ذلك أينما يذهبون.

ووترچيت :

كان هناك حدثاً مهماً قد وقع قبلما يصبح بيلى جراهام رجل دولة إنجيلى دولى ألا وهو «ووترچيت»، وكما علق چون لوك أن هذه التجربة كانت حدثًا كبيراً ومنعطفاً خطيراً، واختباراً قوياً لمهمته الأساسية ودخوله الصراع السياسى لوقت كبير سببت له تهديداً كبيراً حتى تخلصه منها، لقد كان لبيلى جراهام العديد من المؤهلات التى جعلته قائداً سياسيًا ممتازاً، وكان معظم السياسيين الأكفاء مثل الرئيس الامريكى أيزنهاور يضعونه فى منزلة عالية، وكان يستمتع بالحديث معهم، وبصفة خاصة عندما يتعلق الموضوع بتبشيرهم بالإنجيل، وكان الرئيس چونسون يشاركه الرؤية فى جعل أمريكا بلداً خاليًا من التفرقة العنصرية، لذلك شجعه على القيام بحملاته الكرازية كوسيلة لمساعدة السود والبيض على اللقاء معًا.

إلا أن جراهام كان قد رفض المشاركة فى الأنشطة الدنيوية، ورفض بيلى جراهام أيضًا المشاركة فى مشروع الحقوق المدنية للإنسان الذى نظمه الرئيس جونسون، مع أنه كان يؤمن بمثل هذه المشروعات، وكان جونسون يحضر الكثير من حملات جراهام الكرازية، وفعل هذا أكثر من مرة. وفى عهد نيكسون وجد بيلى جراهام نفسه مؤمناً سياسيًا، فقد تقابل مع نيكسون فى عام ١٩٥٤، فقد كانت والدة نيكسون من المؤيدين لجراهام، وانسحب جراهام فى رأيه المؤيد لنيكسون فى عام ١٩٦٠ (وأصبح بالفعل صديقًا للبعض من عائلة كينيدى»، ولكنه فى عام ١٩٦٨ شعر مثل غيره من الإنجيليين الأمريكيين أن نيكسون ذا شخصية أخلاقية سليمة وحياة أسرية مستقرة تمكنه من أن يصبح رئيسًا ممتازاً لأمريكا، ويجب ألا ننسى أن كل ما هو معروف عن نيكسون حالياً كان فى ذلك الحين مخفياً تماماً، وبالرغم من أن جراهام لم يؤيد نيكسون علانية، ولكن سرت أخبار أن نيكسون عرض على بيلى جراهام أن يصبح نائبًا للرئيس، ولكن الأمر فى الواقع كان أن الرجلين أصبحا مقربين، وبعد فوز نيكسون فى نوفمبر ١٩٦٨ كتبت مجلة التايم أن «روحانية جراهام تنتشر فى البيت الأبيض»، وانتشر خبر العلاقة بين جراهام ونيكسون بسرعة البرق فأصبحت على صفحات الصحف والمجلات بالرغم من أنها لم تكن صحيحة مثل العلاقة التى

كانت مع جونسون. وكان جراهام يرتكز فى صداقته مع نيكسون أن هناك حسن إخلاص فى الرئاسة نابع أساسًا من الإيمان المسيحى الذى كان يتمتع به ويمارسه والدا نيكسون، وخصوصًا أن نيكسون بارع فى إظهار مشاعره الخاصة، وقد دفع نيكسون تكاليف الحملة الكرازية فى نوكسفيل، وعندما تم تكريم جراهام فى مدينة «شاولوت» كان نيكسون معه يتابعه وهو يتسلم الجائزة، ومع أن جراهام دولى فى تطلعه لكنه كان وطنيًا من الطراز الأول، لذلك كرمه الرئيس مع الوضع فى الاعتبار أن أى رئيس كان سيفعل هذا، وفى عام ١٩٧٢ صوتت الأغلبية العظمى من الأمريكيين لصالح نيكسون لذلك فاز بنصيب كبير من التاريخ الأمريكى، ولكن لسوء الحظ وفى ضوء أحداث المستقبل استخدم تأييد جراهام بصورة علنية لنيكسون لأغراض سياسية، واستخدام نيكسون لأغراضه السياسية مشاركة فى احتفالات الأمريكيين بالمناسبات القومية مثل «يوم أمريكا العظيم»، وهذا جعل النقد المعادى يلصق ببيلى جراهام كونه من ذيل الجناح الأيمن للمسيحى المزيف، وهو عصارة المدنية الدينية الأمريكية، وهو لم يشجب هذا الاعتقاد الخاطئ ولكن ترك نجاحه الذى حققه فى بلاد العالم الثالث يتولى المهمة ويظهر للعالم أن رسالته عالمية.

ومع ذلك فإن ارتباطه بنيكسون ووسط أمريكا فى الذهن الشعبى

معناه أن المبشرين سيرفضونه على اعتبار أنه ظاهرة نابعة من الحضارة الأمريكية وذلك عن طريق تجاهل أنشطته.

وفى كثير من هذه الحالات أثناء هذه الفترة لم يكن جراهام وحده الذى يُهاجَم ولكن إيمانه أيضاً لم يسلم من الهجوم، والذين أرادوا إنكار المسيحية الإنجيلية استخدموا علاقته بنيكسون ضده خصوصًا بعدما فتحت ملفات فضيحة ووترجيت.

بادئ ذى بدء اعتقد جراهام والفريق مثل أغلب الأمريكيين - أن الأحداث تدور فى إطار سياسى ضد نيكسون من جانب الديمقراطيين، ولكن بعد ما بدأت الأمور تتضح رأى جراهام أن المشكلة «علامة على وجود فضيحة أخلاقية كبرى ستواجه الولايات المتحدة».

وفى إجابته عن الأسئلة العدائية يشير جرادى ولسن «أنه يوجد فى داخل كل واحد فينا وترجيت، إن وترجيت، هى الخطية». وكان جراهام يرى أنه من الإخلاص ألا يدين نيكسون صراحة، فقد كان مايزال يؤثر صديقه الخير، وكان هذا سوء فهم منه مثلما حدث من قبل عندما رفض معارضة حرب ڤيتنام ، لذلك تجمع النقد ضد جراهام، وكما يذكر أحد أعضاء الفريق «لقد اشتعلت النار فى أصابعنا من ووترچيت. ولم يكن جراهام قد تحدث عن هذا الموضوع حتى مايو ١٩٧٤ عندما سمع شرائط

البيت الأبيض وأدرك ازدواجية ريتشارد نيكسون، عندئذٍ تكلم مدافعًا عن نفسه مؤكداً أنه هو شخصيًا خدع فيه وأنه كان لديه شكلاً مختلفًا عن نيكسون، وأن نيكسون الحقيقى يختلف عن نيكسون المزيف، وأن هذا سبب صدمة قوية له، وكان موقف جراهام أنه طلب الصلاة لأجل الحاجة للرجوع إلى الله طالبين المغفرة. وفى هذا الوقت رأى الناس جراهام إنساناً مثلهم تمامًا. وأن مواهبه الحقيقية وخدمته الروحية ستسطع بوضوح أكثر بعد تجربة مرت على السياسة الأمريكية، فهو الآن يستطيع التركيز على المهمة الأساسية التى استلمها من الله ألا وهى إعلان الإنجيل لكل الأمم. ولسوء الحظ فشلت الصحافة فى إدراك هذا، فقد كتب مارشال فرادى الصحفى فى مجلة النيوزويك مقالاً عدائيًا تناول فيه السيرة الذاتية لبيلى جراهام بالتجريح قرب انتهاء ووترچيت.

لوزان :

عقد مؤتمر لوزان للكرازة العالمية فى سويسرا فى يوليو ١٩٧٤، وحضره ٢,٧٠٠ مندوب من أكثر من ١٥٠ بلداً فى العالم. منهم النصف من دول العالم الثالث، وقد وصفت مجلة التايم المؤتمر بأنه «منتدى هائل واجتماع على نطاق واسع للمسيحيين لم يعقد مثله من قبل». لقد عقدت مؤتمرات عديدة بعد مؤتمر برلين، ولكن جراهام شعر أن

الوقت قد حان لعقد مؤتمر آخر عالمى. ففى عام ١٩٧١ اجتمعت مجموعة من القيادات الإنجيلية غير الرسمية كان معهم ستاسى وودسى من IFES والأسقف ويان من سيدنى باستراليا.

وفى المؤتمر تم بحث القضايا الحيوية المستقبلية، ودعا عدد من الكنسيين فى العالم الثالث إلى حظر الإرساليات الغربية إلى بلادهم فى المستقبل، وشكل هذا قلقًا بالغًا لأصحاب الفكر الكرازى مثل جراهام، وكان أيضًا هناك قلق أن مجلس الكنائس العالمى قد أصبح مفلسًا من أى قيادة روحية «بالنسبة لموضوع الإنجيل» ومن الناحية الأخرى كان جراهام مدركاً لحقيقة كنائس العالم الثالث وللنهضة الهائلة التى تنتشر فيها.

وظهرت تصورات جديدة ومهمة بين المسيحيين من خلال المؤتمر، كان مؤتمراً إيجابيًا وهو لم يكن مجرد مركز ضد مجلس الكنائس العالمى، وكلنا يظهر الإنجيلية المسيحية على أنها حية ونامية، وبدأ المجلس فكرة ممتازة، ووافق ستاسى وودسى وآخرون على المبدأ. وفى أغسطس ١٩٧٢ فى مؤتمر لوس أنجلوس وافق المجتمعون على أن يبدأ العمل، واختير بيلى جراهام كرئيس شرفى للجنة المنظمة، وأصبح الأسقف دين رئيساً تنفيذياً ودون هوك مديراً تنفيذياً، وبول ليتل مدير البرنامج

وليتون فورد رئيس لجنة البرنامج. واجتمعت اللجنة الرئيسية ست مرات في خلال ثلاث سنوات وأسس مكتباً في عام ١٩٧٣. وكما يذكر دين أن جراهام لم يشترك في كل التفاصيل اليومية، ولكنه كان متواجداً بصفة دائمة لإعطاء النصيحة إذا طلب منه ذلك، وفي الاجتماعات لم يفرض نفسه بل كان مفيداً دائمًا، وكانت قرارات اللجنة تؤخذ دائمًا بالإجماع ولم يتم التصويت إلا مرة واحدة في تاريخها. ويذكر دين أن لوزان لم تكن لتحدث إلا لأجل بيلى جراهام، فهو الذى ضمن أن المؤتمر سوف يكون على أرضية أساسها المبادئ العقائدية، وكان موضوع المؤتمر «دع الأرض تسمع صوته» خصوصًا الـ ٢,٧٠٠ مليون الذين تم تبشيرهم.

والمجلس نفسه، كما يقول دين يمثل «امتداداً عريضاً»، فقد كانت هناك وحدة لاهوتية أساسية مشتركة بين كل الوفود مع اختلاف في الخلفيات، فالبعض كان من طوائف إنجيلية خالصة مثل المعمدانيين الاستراليين، وآخرين كانوا من كنائس مختلفة عقائديًا مثل الإنجليكان، وقد كان موجوداً أيضًا راديكاليين يطلبون عملاً سياسيًا في بلاد العالم الثالث، وكان المسيحيون المحافظون من أمريكا على الجانب الآخر.

وهنا كما أشار دين قد اختيروا جميعًا ليأتوا عندما كتب جراهام للعديد من القادة الإنجيليين يستطلع رأيهم فى مرحلة الإعداد لكى يكتشف إذا كانوا يريدون أن ينعقد مثل هذا المؤتمر أم لا، كانت الإجابة الغالبة هى الترحيب بانعقاد المؤتمر.

كان مؤتمر لوزان نقطة تحول، وذلك لكون أغلب أعضاء المسيحيين الإنجيليين من العالم الثالث، حتى إن المؤتمر أكد أن السيطرة الغربية على الكنيسة قد انتهى وبلا رجعة، وهذا التغير ظهر فى «العهد» وهو الوثيقة التى أصدرها چون ستوت، من توجهات المؤتمر العديدة، وكان چون ستوت يتمتع بدبلوماسية حقيقية مكنت كل الجماعات المختلفة أن يوافقوا على الوثيقة.

أوضح مؤتمر لوزان بما لا يدع للشك مكانًا أن الكرازة والعمل الاجتماعى ليسوا متعارضين. وأن الإنجيليين يمكنهم القيام بالعملين بدون المساومة فى أحدهما، تحدث جراهام مرتين ولكنه لعب دوراً سياسيًا خلال المؤتمر، وقد أحس أن «المؤتمر فعل أكثر مما توقع»، وهذا يرجع إلى رؤيته أن مؤتمر مثل لوزان يضع العالم الثالث على خريطة العالم المسيحى مما جعل چون بولك يقول إن بيلى جراهام أصبح الآن رجل دولة مسيحى عالمى.

البرازيل، أفريقيا، شرق آسيا وأكثر :

تبع ذلك عدة حملات كرازية ناجحة للعالم الثالث، ففى خريف عام ١٩٧٤ ذهب جراهام للبرازيل حيث كان هناك قبل ذلك فى عامى ١٩٦٠، ١٩٦٢، وكانت الكنيسة البروتستانتية فى ذلك الوقت كنيسة نامية بمعدل نمو كبير من الناحية العددية، وأيضًا الخمسينيون ربما بمعدل أعلى من أى طائفة أخرى فى العالم، وقد كان ١٢٥ فصلاً للحياة المسيحية وللشهادة، لتدريب المبشرين فى «ريون» وحدها قبل بداية الحملة، وكان المتوسط الأساسى فى معظم رحلات جراهام التبشيرية ١٠ فقط. ومع أن الحضور كان أقل من المتوقع، إلا أن استاد ماركان شهد تجمعاً أكثر من ٢٠٠ ألف فى الليلتين الأخيرتين.

وفى خلال سنة من انتهاء الحملة طلب المؤمنون المحليون من القسوس البرازيليين أن يزودهم بأكثر من ١٠٠ ألف نسخة من العهد الجديد. وأصبحت الكنيسة الممتدة سابقًا أكثر توسعًا من ذى قبل، وكانت هناك حملة أخرى إلى بلاد الشرق الأقصى، ففى أكتوبر ١٩٧٥ قامت حملة إلى تيابى (عاصمة تايوان)، وفى نوفمبر ١٩٧٥ إلى هونج كونج، وقد شهدت الحملتان تجديد أناس كثيرين. والأهم من هذا كله شكلت الحملة حافزاً شعبيًا للمبشرين المحليين، الذين حصدوا فى حملاتهم أكثر مما

حصدت حملات جراهام نفسه، وهو ما أسعد جراهام لأن هذا ما كان ينشده دائمًا. وفى ديسمبر ١٩٧٦ حضر مجمعاً لقيادات افريقيا عقد فى نيروبى (كينيا)، لذلك فى نهاية ١٩٧٧ نفذ حملة إلى مانيلا فى الفلبين وبعدها حملة إلى الهند للمرة الثانية. وفى سبتمبر ١٩٧٧ ذهب جراهام إلى هنغاريا (المجر) بناء على طلب مجلس الكنائس المستقلة، وقدم العظة أمام ٣٠٠ ألف شاب فى بودابست، وكان بينهم العديد من شباب بلدان شرق أوربا، وحضر حفل عقد على شرفه فى السفارة الأمريكية «كسفير للنوايا الحسنة»، وقد حضره العديد من المسئولين ورجال الدولة المجريين. وفى أكتوبر ١٩٧٨ وعظ فى بولندا بدعوة من المعمدانيين وفيها أيضًا عومل على أنه سفير للنوايا الحسنة، وكان هذا على مرأى ومسمع من الحزب الشيوعى الأعلى الذى حضر أعضاؤه المقابلة، وزار جراهام أيضًا الكنيسة الرومانية الكاثوليكية للقديسة مادونا السوداء فى تشيكوسلوفاكيا، فى محاولة منه لتجميع الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية.

موسكو:

وفى ١٩٨٢ قبل بيلى جراهام الدعوة لزيارة موسكو لحضور مؤتمر بعنوان «العاملون الدينيون لإنقاذ عطية الحياة المقدسة من الكارثة

النووية»، حضر المؤتمر مندوبون مسيحيون وبوذيون وآخرون من أنحاء العالم المختلفة، وقد تسببت زيارته فى جدال واسع النطاق، سوف نتعرض له فيما بعد. وقد كان جراهام مهتمًا بموضوع القنبلة النووية، ولكنه وجدها فرصة أعطاها الله إياها ليعلن الإنجيل «فى بلد لم تتح لى فرصة فيها من قبل». وقد رأى قاده دينيون، على أعلى مستوى، وشاهد أعضاء الحكومة السوفيتية. وقد خلص جراهام إلى أن «هدفى من الذهاب إلى الاتحاد السوفيتى هو هدف روحى، ولم يكن فى نيتى أبداً أن أشارك فى القضايا السياسية أو الأيدولوچية، وقد تحدث جراهام فى واحدة من أكبر الكنائس المعمدانية فى موسكو لعدد من الحاضرين كان مع كل واحد منهم تذكرة دخول. «كان هناك ترتيبًا من عدة كنائس والبعض منهم شارك بصفة غير رسمية (قبل زيارة جراهام بوقت قصير تم الهجوم على ٥٠ أسرة معمدانية وصودرت كتبهم المقدسة وسجن ١٢ منهم، وللأسف لم يتمكن جراهام من رؤيتهم. وفى المؤتمر قدم جراهام مرافعة قوية عن السلام المؤسس على الكتاب المقدس. على أية حال لم ينضم جراهام للمجموعة التى انسحبت من المؤتمر بقيادة هولندا احتجاجًا على رفض منظمى المؤتمر مناقشة التضامن أو البند ٧٧ من الدستور والذى يعنى التضامن مع الجماعة التشيكية المنادية بالحرية، وذلك لأن جراهام أكد أنه لا يرغب فى أن يوقع نفسه فى شراك السياسة، هذا وقد

زاره السيبريون السبعة «الخمسينيين الذين كانوا ما يزالون لاجئين داخل السفارة الأمريكية»، وقد ادعى بعدها أنه واحد من الذين ساعدوهم على نوال حريتهم، وقد كان جراهام حريصًا على ألا يثير مشاعر السوفيت، وقد رغب أن يكون من الممكن له أن يعود إلى الاتحاد السوفيتى فى مرحلة لاحقة فى المستقبل حتى يقوم برحلة كرازية هناك، وكان لقراره بأن يحتفظ لنفسه بظهور أقل السبب فى المناقشة الواسعة بين الإنجيليين المهتمين بشرق أوربا، فلم يكن جميعهم موافقين على هذا.

تشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية :

لم تكن رحلات جراهام إلى ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا فى عام ١٩٨٢ مثيرة للجدل في نتائجها، فقد علق رودلف دامان السكرتير العام للاتحاد المعمدانى لألمانيا الشرقية أن رحلة جراهام إلى جمهورية ألمانيا الديمقراطية أثمرت فى العديد من المتجددين والذين يرغبون فى إعادة تكريس حياتهم خصوصًا بين الشباب، ولكنها أيضًا أعطتنا إحساساً بالوحدة مع الكنائس البروتستانتية الأخرى». وقد أبدى السكرتير العام للمعمدانيين التشيك ستانلى سفيك تقديراً جليلاً لرحلة جراهام لتشيكو سلوفاكيا فى خريف ١٩٨٠ حيث عمل فترة الرحلة كمترجم لبيلى جراهام، وقد دعا الاتحاد المعمدانى جراهام بعد فترة

قصيرة من زيارته لموسكو ووافق على الذهاب شريطة أن تتوافق زمنيًا مع رحلته لألمانيا، وقد منحته الحكومة تصريحاً بالدخول، فقد تأثرت الحكومة التشيكية بآرائه فى قضية السلام. وفى براغ وعظ فى كنائس معمدانية وإخوة، وفى كنيسة هوس فى برنو، وبراتسلاڤا والعاصمة سلوڤاك، وكانت عظته تقدم بالتناوب مع الكنيسة المعمدانية المجاورة، وقد تقابل فى براغ مع رؤساء الكنيسة البروتستانتية فى بوهيميا (تشيكوسلوڤاكيا). وفى احتفال عقد فى السفارة الأمريكية تقابل مع الكاردينال توماساك، وعقد محادثة مع أعضاء مؤتمر السلام المسيحى (بما فيهم أعضاء ليسوا من تشيكوسلوڤاكيا) ومع نائب الرئيس ماتى لوكام.

وأوضحت الأعمال التى قام بها مع القادة الدينيين أو الأعمال الرسمية الأخرى مثل وضع إكليل من الزهور على ضحايا مذبحة ليديس أن هدفه الأساسى هو الكرازة بالإنجيل، وكان هذا مصدر دهشة للكثيرين عندما يظهر على شاشات التليفزيون، وقد أكد على قضية السلام، وفى خطابه الذى ألقاه فى براتسلان فى ذكرى القوات السوفيتية التى ماتت فى الحرب العالمية أكد على أن التضحية التى قدمها الجنود الأمريكيون والروس فى الحرب كانت لتحرير الشعب من النازية، وكانت صورة للتضحية العظيمة التى قام بها يسوع المسيح على

الصليب ليحرر الخطاة. وقد قال فى عدة مناسبات إن السلام له ثلاثة أبعاد: سلام مع الجيران والأقارب، سلام بين الأمم، سلام بين الإنسان والله. وقد تحدث بصفة منتظمة فى هذه الموضوعات الثلاثة.

عودة إلى الوطن :

حولته الحملات الكرازية التى قام بها فى بلاد أعالى البحار إلى المكانة الرفيعة بصورة دولية التى احتلها أكثر من أى مبشر آخر، وفى نفس الوقت كان قادراً على تنمية أعداد الحاضرين فى موطنه الولايات المتحدة، وقد حاول بعض المعلقين وخصوصًا الراديكاليين منهم إن يبينوا أن تأثيره داخل الولايات المتحدة قد تدهور، وقالوا إن الأغلبية جعلت جيرى فالول وليس بيلى جراهام قائداً للحركة الإنجيلية فى أمريكا، وهذا جزء من الحقيقة لأن جراهام قرر بحكمته المألوفة الابتعاد عن السياسة الأمريكية بطريقة لم يفعلها فالول أو غيره، وربما يكون هذا ليس بالأمر السيئ إذ أن هذا يعطى جراهام الرسالة التى يبشر بها مصداقيته فى البلاد التى فيها المسيحية الإنجيلية فى طور النمو. إذ أنه أبقى على صورة محدودة ولكنها نقية، ليست مرهونة أساسًا بوجوده داخل أو خارج البيت الأبيض.

وكان قراره بمقاومة سباق التسلح كما أشار المعلق السياسى المحنك

هنرى فيرلى قد قلل من أنصاره بين المسيحيين السياسيين المحافظين، كما كان لقراره بألا يجعل من قضية الإجهاض أولوية لتحديد من سيصوت لصالحه فى الانتخابات ولكن هذا معناه أنه أصبح يعد كمبشر أولاً وفى المقام الأول، وهو الشئ الذى كان ينتظره منذ ذلك الوقت الذى كرس فيه نفسه بأن يكون سفيراً ليسوع المسيح.

امستردام ١٩٨٣ :

كانت لوزان من أكثر المؤتمرات المسيحية أهمية منذ الحرب العالمية الثانية، وأصبح هناك إدراك فى الغرب أن عصر كنيسة العالم الثالث قد ابتدأ ولكنه لم يكن ما يريده جراهام فى الأساس، وكما قال لأمريكيين فى اجتماع عقد بأورلاند ـ فلوريدا فى ربيع ١٩٨٣ ، بأنه يريد أن يساعد نظرائه الإنجيليين فى العالم الثالث، هؤلاء الذين وضعوا يدهم على ممرات نشر الأخبار السارة ليصمدوا ضد الالتزامات المرعبة، لقد كان لمؤتمر لوزان قرارات راسخة، ولكن جراهام أراد فى الأساس تجميع المبشرين «المتجولين» رجال خط المواجهة حتى يساعدهم ويبتعد عن خدام الكنيسة الذين أصبحت الكرازة بالنسبة لهم جزءاً من وظيفتهم، لذلك قرر جراهام عقد مؤتمر لهؤلاء المبشرين المتجولين، على أن يعقد فى امستردام حيث من السهل الوصول إليها بالطائرة، كما أنها فى بلد من

السهل الحصول على تأشيرة دخول لها، وكان التخطيط للمؤتمر فى يد منظمة بيلى جراهام الكرازية التى سبق الإشارة إليها، وتحت رئاسة والتر سميث، وروعى فى المؤتمر أن يكون هناك تمثيل من مختلف البلاد ولمختلف الأعمار ومن كافة الطوائف المسيحية، وهو الشئ الذى لم يكن ممكنًا فى لوزان، ووصلت اقتراحات المناقشات إلى ١١ ألفاً ولم يكن المكتب قادراً على قبول إلا ٤ آلاف.

وجاء جمع غفير من المبشرين إلى امستردام، من بلاد العالم الثالث من افريقيا والهند ومن أمريكا الجنوبية وبلاد أخرى حيث ينتشر الإنجيل بسرعة، هذه البلاد هى خط المواجهة الأول حيث أتت خدمة جراهام بثمارها هناك، وحيث أصبحت الكنائس نشطة عن ذى قبل وأكثر من نظيرتها فى الغرب نفسه.

واستمع الوعاظ المتجولون إلى محاضرة جراهام فى ١٢ يوليو ١٩٨٣ والتى كانت بعنوان «المبشر فى عالم ممزق»، وتحمس المؤتمر مرة ثانية عندما أعلن جراهام الأجزاء التى يعمل فيها الله فى العالم، وقد وجد مبشرون من الغرب أنفسهم وقد تحفزوا بروح التحدى عن طريق الاتصال بغيرهم، وكان عدد من المندوبين الممثلين لبلاد العالم الثالث لم يغادروا بلادهم من قبل، وحتى يتم ضمان المشاركة الفعالة تم تقسيم المندوبين

إلى مجموعات فى حلقات دراسية داخل المؤتمر، وبالرغم من أن جراهام حرص على عدم الظهور كثيراً إلا أنه لعب دوراً نشطًا فى هذا المؤتمر وتحدث لأكثر من خمس مرات فى خلال عشرة أيام، وكان الحاضرون من ١٣٠ جنسية مختلفة، كما شارك آخرون بعضهم من فريق جراهام وبعضهم من الخارج مثل المبشرة الأمريكية الشهيرة ريبكا كاتلى بيبت، وقد أعطى للحاضرين من مبشرى العالم الثالث جهاز تسجيل لمساعدتهم على الخدمة، وأيضاً مجموعة ملابس مقدمة من وكالة فرانكلين جراهام التجارية باسم : دراهم السامرى، وفى خطابه الأخير أشار جراهام أنه بينما تستحوذ الاحتياجات الاجتماعية على تفكير الإنسان إلا أننا نؤمن أن هذه الاحتياجات يمكن أن تسدد فقط من خلال الإنجيل، فإن حاجة الإنسان الأولى هى أن يولد ثانية من فوق. إن مشكلة الإنسان هى الإنسان نفسه، واتفق معه عدد كبير من مندوبى بلاد العالم الثالث، وقال أحد الهنود المسيحيين إن مشكلة الهند هى فى الهنود، والديانة الهندوسية هى السبب فى الفقر الذى نعيشه، وصلّوا المسيح للهند وسوف تجدون أن الفقر سينقضى كلما زاد انتشار الإنجيل.

ولم يعين جراهام ـ ربما عن عمد خليفة له، فهو يشعر أن الله سوف يقيم رجالاً حقيقيين فى الوقت المناسب. وفى النهاية يمكن القول إن أعظم إنجاز حققه جراهام هو مؤتمر امستردام. هو المبشرين حفاة الأقدام

من بلاد العالم الثالث وهم الذين يشاركونه الدعوة لنشر الإنجيل.

إرسالية انجلترا :

وبالرغم من أن بلاد العالم الثالث هى أكثر مناطق العالم الثالث تأثراً به إلا أن جراهام لم يهمل الدول المتقدمة وغير الشيوعية، فقد قاد إرسالية ناجحة جداً لسيدنى فى استراليا فى عام ١٩٧٩. وفى منتصف ١٩٨٢ شارك فى مجموعة من الحملات الكرازية لانجلترا الجديدة، أو الولايات المتحدة ـ حيث كان التجاوب أكثر من رائع وأكثر مما تخيل المنظمون.

زار جراهام بريطانيا فى عام ١٩٨٠ ليقود بعثات إرسالية فى أكسفورد وكمبردج، الأول فى أكسفورد كانت للمدينة والجامعة وحسبما قال چون بولك شعر جراهام أنه ليس بالنشاط والقوة اللتان كان يتمتع بهما فى أحاديثه فى هارڤارد منذ سنتين بسبب اعتلال صحته وحادثة ألمت به قبل الإرسالية بقليل. وبرغم ذلك شعر كثيرون ومنهم ـ كيثاوستون وهو قسيس فى سانت إبى أن الزيارة كانت جديرة بالاهتمام، وفى كمبردج كان هو المرسل الرسمى للاتحاد المسيحى CIC-CU وكان مشتاقًا أن يعمل بالتعاون مع الأعضاء، وهذا أدهش، جون باركلى، واللجنة والمرسلين المساعدين بأن يطلب عن طيب خاطر

ويصغى لنصائحهم.

وكانت العظة الأولى عقلانية تخاطب العقل لذلك اهتم أن يجعل العظات الأخرى سهلة ومبسطة، وبالطبع لقى هذا ترحيبًا وتقديراً من طلاب أعالى البحار الذين كنت أنا أحدهم، فقد كان عدد كبير من الطلاب على غير معرفة تامة باللغة الانجليزية، وبذلك تجاوبوا مع محاضراته. بالإضافة إلى ذلك وحسب طلب« الاتحاد المسيحى» تخلى جراهام عن عادته فى طلب التقدم للأمام للذين يرغبون فى الخلاص، وكانت كنيسة القديسة مريم تمتلئ عن آخرها فى كل اجتماع مثل أى بلد آخر زاره، ولم يكن التجاوب مع الرسالة أقل مما كان بسبب تغير الدعوة (للتقدم للأمام) وكان أكثر النتائج إيجابية فى الكليات حيث يكون هناك مجموعة صغيرة وحيث تقوم الإرسالية باعطاء قوة دافعة للكرازة.

وعندما تسلم جراهام دعوة موقعة من ١٠٠ منظمة بواسطة التحالف الإنجيلى ـ طالبين منه أن يقوم برحلة تبشيرية واسعة النطاق، وكان من رأى كليف كالشر من «شباب لأجل المسيح» الذى أشار إلى أن الذين مزمع أن يحضروا الحملة التبشيرية سوف يكونون تحت الأربعين وهو نفس السن الذى كان فيه جراهام عندما قاد حملة هارنجى. لذلك طلب

جراهام تأسيس لجنة توجيهية مكونة من خمسة أعضاء قدامى وخمسة أعضاء جدد بالإضافة إلى والد سميث من منظمة بيلى جراهام الكرازية وموريس رولاندسون ممثل جراهام فى لندن.

على أية حال شعر جراهام أن الوقت مازال غير مناسب، وكان يعتقد ذلك حتى حلول ١٩٨١ عندما زارته جماعة من رجال الدين البريطانيين والعمال المسيحيين فى جنوب فرنسا حيث كان فى حملة تبشيرية هناك، وكانت الفكرة التى وضعوها أمامه هى مفهوم جديد للحملات الكرازية، وتم الاتفاق على أن تكون إرسالية تستغرق ثلاث سنوات إلى انجلترا، على أن تكون زيارته جزءاً منها، وتكون كالآتى، المرحلة الأولى منها سنة صلاة وإعداد وكرازة عن طريق الكنائس المحلية، والمرحلة الثانية مجموعة من الإرساليات يقوم بها جراهام نفسه فى عدة مواقع فى أنحاء انجلترا، وأن تكون المرحلة الثالثة مرحلة متابعة فى هذه الاجتماعات بالإضافة إلى كرازة أكثر تقوم بها الكنائس المحلية.

وأدرك جراهام بسرعة أن هذه لن تكون حملة جراهام الكرازية بل هى جهد مشترك مع الكنائس المحلية، لذلك وافق على أن يبقى ثلاثة شهور فى ١٩٨٤ حتى تكون اللجنة قد اختبرت الظروف.

أظهرت كنائس عديدة مواقف إيجابية وتجاوبًا مع زيارته إلى مؤتمر

لباعة الكتب المسيحية عقد فى بلال بول فى فبراير ١٩٨٢، وفى محاضراته فى مؤتمر الإرسالية المصغر الذى تبعه وافق جراهام على المجئ فى عام ١٩٨٤ ليشارك فيما يطلق عليه إرسالية انجلترا.

كتب بوب وليم، وهو وسيط مكتب منظمة بيلى جراهام الكرازية فى إنجلترا أنه تم الاتفاق على أن المرحلة الأولى ستكون لمشاركة الكنائس المحلية حتى تبعث داخلها الحاجة إلى الكرازة فإن دور الكنائس المحلية هو مفتاح النجاح لأى إرسالية تبشيرية، لذلك قدمت حلقتان دراسيتان بعنوان «أعدوا الطريق ـ وهل كنيستى جديرة بالانضمام، والموضوع الثانى هو بمثابة تحريك للكرسى بالنسبة للكنائس لكى تستيقظ من غفوتها وتشعر بأهمية الكرازة، وحتى يضع أعضاء الكنائس تحديًا أمام أنفسهم لتغيير أسلوب حياتهم حتى يكونوا شهوداً للمحيطين بهم، وقد ذكر وليم أن هذا هو العنصر المهم بالنسبة لجراهام أن تكون «مشاركتنا جديرة» لذلك يمكن القول عن إرسالية انجلترا بأنها أكثر من كونها حدث مع نجم متألق «سوبرستار» أنها هى تدريب حقيقى للتعاون وأنها كما قال وليم لا تنتمى كثيراً للكرازة الجماهيرية بقدر ما تنتمى للكرازة الفردية فى نطاق جماهيرى، إنها بداية مع الناس ليصلوا لأجل حياتهم لكى يتجددوا. وبعدها يخرجون ويعملون شيئًا لأجل الضالين فى مناطقهم التى يعيشون فيها، واستخدم وليم القياس البشرى مثلما يفعل

أعضاء فريق جراهام عادة : الكارزون هم خدام يولدون الأطفال والمؤمنون العاديون هم الآباء».

وقد غير جراهام هذا التبشيه الاستعارى واستبدله بالحصاد والجمع حيثما بذرت الكنائس المحلية وغزست، ويعرف أعضاء منظمة جراهام الكرازية أن المستفيد الأساسى هى الكنائس الصغيرة، واكتشف وليم أن هذا ينطبق أيضاً على الوضع فى بريطانيا. تحدث لويس دروموند المؤلف الشهير عن عدة إحصائيات للحملات الكرازية تظهران ٨٠ فى المائة من الذين حضروا اجتماعات بيلى جراهام جاءوا إليها عن طريق أصدقائهم المؤمنين، وأضاف وليم أن ٩٠ فى المائة من المتجددين اعترفو بأن لهم صلات مع مؤمنين مقربين قبل مجيئهم، وكما يعلق وليم «ناس يأتون بناس». فى كنيسة كليفلاند كان فيها ٥٠٠ شخص بعد حملة جراهام الكرازية فى المدينة وأصبحوا ٨٠٠ بعد مرور ثلاث سنوات، فقد جاء الـ ٣٠٠ الإضافيين عن طريق أصدقائهم المتجددين من داخل الكنيسة، والكثير من الثمار التى تأتى نتيجة مباشرة للصلاة.

عندما يسأل جراهام عن مدينة سيقوم بزيارتها لا يسأل عن التنظيمات والترتيبات المالية، ولكن سؤاله الأول يكون «هل الشعب فيها يصلى؟» لذلك قال سترلنج هوستن مدير جراهام فى أمريكا إن

الناس التى تتقدم للأمام طالبة الخلاص هى نتيجة لقوة الصلاة المستجابة، وأشار وليم إلى «العمل الحقيقى يبدأ عندما تنتهى المرحلة العامة للإرسالية، وهذا العمل يتمثل فى المتابعة التى يقوم بها المؤمنون فى كنائسهم، ومجموعات التغذية الروحية، لم يدّع جراهام بأنه يحضر النهضة فى حقيبة، فهو لا يستطيع أن يحصد حيث لم يزرع المؤمنون المحليون.

وكالعادة أدارت «منظمة بيلى جراهام الكرازية» الحملة بالتعاون مع هيئة محلية، وفى هذه الحالة يعمل العاملون فى منظمة بيلى جراهام مثل وليم جنبًا إلى جنب مع شعب إرسالية إنجلترا، فقد كان على وليم أن يعمل مع چاڤين رايد مدير إرسالية إنجلترا، وواحد من أصحاب الفكرة الأساسية للمشروع، وصل وليم من أمستردام فى سبتمبر ١٩٨٣. ليبدأ فى تعيين لجنة استشارية للعمل بالتعاون مع منظمة إرسالية إنجلترا الموجودة فى ذلك الوقت، وكان معه مجموعة من المدراء الذين يعملون فى مكاتب إقليمية مع المدراء المحليين واللجان، وكما أوضح هنرى بوى وهو واحد من أعضاء فريق جراهام الأساسيين أن «منظمة بيلى جراهام الكرازية» تميل إلى مراعاة المشاعر المحلية، لذلك عندما جاء وليم وفريقه أكدوا أنهم لم يأتوا بشكل معين ليعرضوه، ولكن بنصيحة مؤسسة على سنين طويلة من الخبرات وكلها كانت متكيفة مع الاحتياجات المحلية،

وكل مدير من المدراء ليس هو الرئيس بل المدرب للمدير المحلى وللجنة المعاونة، وكل ما تم تم بالتشاور بين إرسالية إنجلترا وأعضاء منظمة بيلى جراهام الكرازية حيث وضح وليم أنه عند ما كانت تنشأ مشكلة ما كان شعاره «دعونا نختار أحسن الطرق» وكما قال «وظيفتى أن أكمل نفسى خارج الوظيفة» وهو يعنى أن هدفه أن يجد أشخاصاً مخلصين يشاركونه رؤيته حتى يصلوا للضالين خاصة بعد ما يتركهم. الكثير من النجاح الذى حققته بعثات جراهام الكرازية ترجع إلى هذه الاتجاه، أما بالنسبة لوليم فإن أهم ما يميز إرسالية إنجلترا كان التركيز على تغذية المتجددين روحياً، بحيث يوضع الذين يبحثون عن النمو فى مجموعات تغذية صغيرة ملحقة بالكنائس المشاركة، وتظهر الإحصائيات أن نسبة من ٧١ فى المائة من الذين انضموا لمجموعات التغذية الروحية مازالوا يشاركون فى أنشطة روحية، وعلى النقيض نجد أن الذين لم ينضموا لمجموعات التغذية ٨٠ فى المائة منهم لا يفعلون شيئاً فى الكنيسة بعد سنة من طلبهم الخلاص، لذلك كان تأكيد إرسالية إنجلترا على ضرورة متابعة الشخص المجدد حديثاً بفعالية.

علاوة على ذلك، فإن نظام مجموعات التغذية هذا يهدف إلى تعليم المؤمنين الجدد كيف أن يدرسوا الكتاب المقدس، وحتى المؤمنين القدامى نسوا أن يشرحوا للآخرين كيف يدرسون الكتاب ويتركون المؤمن الجديد

يغوص في مستنقع من الشواهد الكتابية التى تتحدث عن الأجيال وسلسلة الأنساب، إنه متحمس للتعليم ولكنه لا يعرف كيف يطبق ما قرأه فى حياته اليومية، ولذلك فإن وليم يشرح كيف أن مجموعات التغذية صممت لتجنب هذه المشكلة ولمساعدة الشباب المؤمن على النمو فى الإيمان.

فى مدرسة الكرازة :

كما رأينا سابقاً فى الولايات المتحدة والبلاد الأخرى عندما كانت منظمة بيلى جراهام الكرازية تقوم ببعض الأعمال الكرازية فغالباً ما كان يصاحبها إنشاء مدرسة لتعليم الكرازة، وفى الجزء الذى تناوله هذا الكتاب عن إرسالية إنجلترا ـ اجتماعات فى بريستول لم يتم هذا وقد قضيت أسبوعين مع أعضاء الفريق فى حملة كرازية فى اورلاندو ـ فلوريدا فى سنة ١٩٨٣ ، وحضرت بعض المواسم الدراسية فى مدرسة الكرازة استقيت خلالها معلومات هذا الفصل، وضع خطاب جراهام الافتتاحى لحشد من الخدام وزوجاتهم النقط على الحروف، فقد ذكرهم أن التبشير هو مركز رسالة الله لأيامنا هذه، وقد نسينا هذا كثيراً، ثم أردف قائلاً إن منظمة الله على الأرض هى الكنيسة، وإذا قامت الكنائس بواجبها فى عمل الكرازة فإن الهيئآت المعاونة للكنيسة مثل الهيئة

التابعة له لن تكون هناك حاجة إليها فى الأجيال القادمة، علاوة على ذلك أن الله يستخدم الذى لديه اختبار معه، الله يقضى بين الشعوب، كما لو أن جراهام يسمع وقع أقدام الفرسان الأربعة التى رآها النبى[٤] ربما تستطيع نهضة حقيقية تمنعهم من الإتيان.

كان لدى العديد من المتحدثين فى المدرسة عدداً كبيراً من الخرائط والرسوم التوضيحية، ولكن اثنين منهم فقط لم يحضرا رسوماً توضيحية ولا خرائط أولهما چوزيف الدريشى، الخادم والكاتب الأمريكى الناجح، فقد تحدث للخدام عن أسلوب حياه الكرازة «كيف كان عليه أن يتعلمها فى أشد مناطق أمريكا قسوة، وقال مذكراً إياهم إنه ليس هناك تحولاً فى الدعوة، ولكن أن نحيا الإنجيل المعاش وأن نعيش حياة الشهادة للمخلص المقام.

وكان أكثر المتحدثين تأثيراً هو البروفيسور لويس دروموند، الذى كان قد درس فى إنجلترا، وفى ذلك الوقت يدرس فى كلية اللاهوت المعمدانية الجنوبية فى ولاية كنتاكى. لم يركز دروموند على الرسوم التوضيحية والخرائط، ولكن ركز على سفر الأعمال الذى قدمه بأسلوب معاش، وهذا جعل كل خادم يستمع إليه بإصغاء، وقد أوضح دروموند

(٤) غالباًيقصد الكاتب رؤية حزقيال النبى الأصحاحات ١، ٢ {المترجم}

أن الكرازة الفورية أصبح لا وجود لها، وأصبح لا وجود لآلة سحرية فى وجود الكرازة الثابتة المستمرة التى تأتى بثمار بواسطة الله، الكرازة الارتجالية التى تتبناها الكنائس هى عكس النموذج الكتابى للكرازة، وهناك خمسة أشياء نحتاجها لكى تنمو الكنيسة.

أولا : إعلاء مكان كلمة الله «لابد أن يقنع الخدام الناس بالكتاب قبل أن يقنعوهم بأنفسهم، وما نبتغيه هو تفسير كتابى سليم وليست موضوعات كشراب حلو كما هو حادث اليوم، ويؤمن دروموند مثل چون ستوت ومارتن لويد جونز أن معظم الاجتماعات والكنائس ضعيفة بسبب ضعف الوعظ المقدم لها.

ثانيا : يبين سفر الأعمال لنا أن الصلاة لله صاحب السيادة والسلطان ضرورية وجوهرية حتى إن الكنائس التى بها خدام مصلين هى التى تذهب وتأتى بالآخرين، فإذا كنت تفعل أي شئ تحت سلطان الله فأنك ستأتى بالناس على ركبهم ساجدين، وغالباً ما يشكو الخدام من أنهم لا يستطيعون جذب غير المؤمنين إلى الكنيسة، ولكن دروموند ينبر على أنه عندما يأتى الله، لا يمكن أن تضرب الناس بمضرب عندما يملأ الروح القدس الكنيسة، ويعطى الله الشعب جرأة، فإن أموراً كثيرة حتماً ستحدث حتى لو كان اثنان من المؤمنين فقط

يصليان فهذا يكفى.

ثالثـاً : يرينا أعمال ٨ أن الرعاة عليهم أن «يعلموا الناس كيف يشهدون. وهذه ليست قوة الواعظ التى تأتى بغير المجددين للكنيسة ولكنها مشاركة فى عمل الإنجيل يقوم بها أناس عاديون من العلمانيين من رجال ونساء الكنيسة، وهذه ليست عملية فجائية تتم فى الحال وليست عملية إبهار.

رابعـاً : يبين لنا أعمال ٢ أن الهدف من الكرازة ليس «اختطاف المجددين» ولكن تلمذتهم لابد أن تتخلص من الإيمان العقلى السهل لأن ما يريده الكتاب المقدس هو الإيمان والاهتداء الحقيقيين. وهذا يحتاج إلى وقت وجهد ولكنه سيكون نمواً حقيقياً وليس مجرد فرقعة سريعة !! وهذا ما يجب أن تبغيه الكنيسة.

أخيـراً : يجب أن يستعمل الرعاة مبدأ نمو الكنيسة حسب المكان الموجودة فيه، بمعنى أن ما يأتى بنتيجة طيبة في مكان ما من الممكن ألا ينجح فى مكان آخر، لابد أن يكون هناك «لاهوت صحيح» للخدمة، والنمو (إننا نفعل ما نؤمن به). إن الروح القدس يسكن وسطنا، وبدونه لا يمكن أن نفعل شيئاً، والعمل من خلال الكنائس «هو سمة مميزة لخدمة بيلى جراهام الكرازية، فإذا كانت منطقة مليئة بالكنائس المزدهرة، فغالباً

لن يذهب إليها جراهام بل سيذهب إلى كنائس تصارع لأجل النمو، ويذهب حيث يكون هناك احتياج، فغالباً ما وجد الفريق تجاوباً أكثر فى المناطق التى بها كنائس أقل حيث تكون المهمة الملقاة على عاتق المؤمنين المحليين صعبة وكبيرة أكثر من المناطق التى يكون بها عدد الحاضرين فى الكنيسة كبيراً وبها نوع من الاكتفاء الذاتى.

بريستول :

في الوقت الذى كان فيه جراهام مطلوبًا من كافن ريد وآخرين أن يأتى إلى بريطانيا كانت مجموعة من المسيحيين فى الجنوب الغربى يفكرون ملياً فى نفس الاتجاه، ولكن كان فيهم جميعاً قدر من الطموح، كان أحدهم يعمل مزارعاً وهو أنطونى بوش، وقد تجددت زوجته فى خدمة لجراهام، وهو وجد أن هناك استخفاف من جانب المبشرين المحليين الذين كانوا نشطين من قبل، وبالطبع كانت هناك نعمة لا ريب فيها فى كل هذه الأنشطة، ولكنه يقول «ليس أكثر من ٨٠ كنيسة قد اشتركت فى العمل»، وشعر بوش أن زيارة جراهام سوف تصل إلى كل المدينة وتضع الكنائس فى موقف تعاونى نحو الكرازة، لذلك فى مبادرة منه كتب بوش فى عام ١٩٨٠ لكل القادة والمبشرين من كافة الطوائف، يستطلع رأيهم، وأجاب معظمهم بالقول إنهم سيكونون سعداء أن

يشاركوا فى زيارة جراهام (واحد من القلة الذين شذوا عن القاعدة ولم يشارك أصدقاءه نظم عملاً كرازياً من نفسه)، ثم سمع بوش أن جراهام آت إلى بريطانيا لذلك قرر أن الوقت قد حان لهذه المبادرة الإنجيلية، وهو يذكر «كنا مجموعة إنجيلية قوية، وتم تشكيل لجان لتنظيم الاجتماعات فى منطقة بريستول فى خريف عام ١٩٨٢ تحت إدارة بوش، وفتح المكتب فى أغسطس ١٩٨٢، وأرسل الخدام المحليون تفاصيل كل الاستعدادات للحلقات الدراسية السابق ذكرها، وكان قادة أعضاء اللجان وهى لجنة الحياة الكنسية ـ لجنة الشباب ـ لجنة المتابعة والمشورة ـ لجنة الصلاة ـ لجنة السيدات إلخ، كلهم إنجيليون، ولكن حسب وجهة نظرهم أنه من الممكن أن يكون للخدام غير الإنجيليين تأثير إذا اشتركوا فى العمل، أرسلت المعلومات اللازمة إلى القاعدة العريضة من الخدام المحليين (كما سنرى ـ لم يكن كل الإنجيليين المحليين راضين عن هذا الأمر، وكانت المرحلة الأولى هى الصلاة ـ التدريب والكرازة المحلية، وهذا تم شرحه بواسطة مبشر محلى شهير، هو جراهام لورد من هيئة «الكتاب المقدس الصغير Pocket Testament» وعقدت قبلها بثلاث سنوات اجتماعات صلاة شهرية للصلاة لأجل احتياجات المنطقة، لذلك كان طبيعياً اختياره كمدير للصلاة لأجل منطقة جنوب ـ غرب عندما تذهب إرسالية إنجلترا إلى بريستول، وقد أسس مجموعة صلاة، واتصل

بالكنائس المحلية طالبًا منها المداومة على الصلاة الثلاثية، فقد كانت عبارة عن مجموعات كل مجموعة ثلاثة أفراد، يلتزمون بالصلاة لمدة خمس عشرة دقيقة على أن يقوم كل واحد منهم بالصلاة لأجل ثلاثة من غير المؤمنين، لذلك كان هناك آلاف من هذه المجموعات، ونظمت إحدى السيدات فى «پات» أيام إضافية للصلاة وشهوراً خاصة للصلاة، ووجدت كنائس عديدة أن حياة الصلاة قد تغيرت تماماً نحو الأفضل، وظهر تأثير هذه الصلوات سريعاً، ففى يناير ١٩٨٩ قبل أن يصل جراهام بخمسة شهور إلى بريستول اختبر ٣ آلاف شخص حياة التجديد، وقام هؤلاء المتجددون بالصلاة الثلاثية مع الذين أتوا بهم أيضاً من الذين يصلون الصلاة الثلاثية، وتم عقد فصول دراسية وفصول للشهادة والحياة المسيحية، وكانت الحلقات الدراسية خمسة لمدة ثمانى شهور، وهى صممت لإعداد المبشرين الذين مهمتهم التحدث مع الناس الذين يتقدمون للأمام طالبين الخلاص، ولكن المفاجأه أن عدداً من الذين انضموا إلى الحلقات الدراسية اكتشفوا أنهم أنفسهم لم يولودا ثانية، فعلى سبيل المثال ففى أحد الفصول في پات تجند ١٧ شخصاً من الحاضرين للفصول الدراسية، لذلك فإن العديد من هذه الأنشطة كان الهدف منها الإعداد للمرحلة الثانية، وتجدد آلاف قبل وصول جراهام نفسه، وكما قال بوش : وهكذا فأن المشروع قد اكتمل وأصبح جديراً

بالجهد الذى بذل لأجله حتى لو أن جراهام ألغى رحلته، كان الروح القدس يعمل فى الكنائس، وكان الناس يأتون للمسيح، على طريقة يوم الخمسين بواسطة صلوات وشهادات صغيرة ولكنها فعالة، وتغيرت كنائس عديدة إلى الأفضل باستخدام وسائل وطرق أفضل، وهذا مثلما حدث فى إحدى كنائس المنطقة وهى كنيسة المسيح فى كليفتون، فقد وصل العدد فيها إلى أكثر من ألف شخص يحضرون خدمات صباح الأحد، وهذا حسب ما جاء على لسان القسيس كانون بول برج - وفيها أكثر من ٧٠ فى المائة تحت الـ ٣٥ سنة، وحوالى ٣٠ فى المائة منهم طلبة (كلية الثالوث قريبة منها حيث كان جيمس پاكر نائباً للرئيس). كانت الكنيسة نشيطة جداً من الناحية الكرازية وكان لديها إرسالية خاصة بها يقودها ايريك دبلن، الذى قُاد سلسلة من الفصول الدراسية عن أساسيات المسيحية، ولديه بالإضافة إلى هذا خمسون مجموعة منزلية كل منها يمكن أن تقدم تغذية روحية للمؤمنين الجدد، لذلك أصبحت الكنيسة من حيث المبدأ تميل ألا تشترك فى إرسالية إنجلترا، وأيضاً وجدوا أن الكثير من أعضاء الكنيسة المتجددين حديثاً قد تجددوا عن طريق أصدقاء لهم وليس من خلال الاجتماعات، وكما أشار بول برج أن الإرسالية الكبيرة ليست بالأمر المضمون نجاحه حتى تأتى بالناس إلى الإيمان بالمسيح، وعندما عملت الكنيسة استبياناً أن ١٠٥٨ قد تجاوبوا

مع الاستبيان، (حوالى ٣٩,٥ فى المائة) قالوا إنهم تجددوا عن طريق أصدقاء لهم فى الكنيسة، وجاءت نتيجة التجديد عن طريق الاجتماع الكرازى (١، ٢٠ فى المائة)، ولكنهم فى النهاية غيروا رأيهم وقدروا أن زيارة جراهام ستكون وسيلة مفيدة لأنشطتهم الخاصة، لذلك اشتركت كنيسة المسيح بفعالية فى الإرسالية، كما أصبح پول برج رئيساً لمجموعة الحياة الكنسية، وقد أمدت الكنيسة الحملة الكرازية بحوالى ١٤٠ مرنماً فى الكورس، وحوالى ٨٠ مشيراً، و١٠٠ مدرب لجماعة التغذية الروحية، بالإضافة إلى وكلاء وفريق للمتابعة، واشترى أعضاء الكنيسة أكثر من ٤ آلاف تذكرة حتى يأخذوا أصدقاءهم إلى اجتماعات الاستاد الرياضى، وفى أحد الإرسالية (يوم الأحد) قدم خطاب الحفل الدكتور چون وسلى رايت أحد المشتركين فى إرسالية جراهام التبشيرية (وهو حاصل على دكتوراه فى الفلسفة Ph.D ووعظ لأعداد لا تحصى فى الجامعات وبلدان عديدة).

ونموذج آخر يختلف بعض الشئ عن كنيسة المسيح هو كنيسة جبل الزيتون فى إيلاند، فالكنيسة ذات شعب خمسينى متحمس للكرازة كما يوضح راعيها وارويك شينتون، والكنيسة لديها عمل تبشيرى منتظم كل أيام الآحاد.

وكان حلول وقت الإرسالية حافزاً ويلقى اهتماماً متزايداً خصوصاً فى موضوع الكرازة للجيران، بالإضافة إلى أن الكنيسة قررت أن تقوم بخدمة خاصة ومتميزة مرة كل شهر، وقد لمس شنتون أن أفضل النتائج أن الكنيسة رأت أن الحياة ما تزال تدب فى الكنائس الإنجيلية التى خارج طائفتها، جبل الزيتون هى مسرح طبيعى لفصول الحياة المسيحية والشهادة، وشعور عظيم بالتوحد الذي نما بين كنيسة الكنائس الإنجيلية المحلية، وتم إعداد كل شئ ليكون كبيراً وضخماً، وإذا لم يكن الروح القدس به فهو سينفجر من ضخامته، وقد أضاف أن المعركة حسمت حتى قبلما تطأ قدما جراهام أرض البلاد، وكل ما تم إنجازه تم بعمل الروح القدس وكان مثالاً لسيادة الله وسلطانه، وقد ألحق أيضاً بجبل الزيتون بيتركى وهو الآن مرسل فى كينيا علاوة على أنه رئيس جماعة داخل المدينة.

ويمكننا القول إن التأثير الأكبر لحملات جراهام يمكن رؤيته بوضوح فى بريستول، كما أظهرت حملة البرازيل، فقد كان سكان بريستول مثل غيرهم أصحاب كنائس صغيرة تصارع من أجل النمو، وكانت بعض المناطق مغلقة أمام الإنجيل، وكان كى ومجموعته متجاوبين مع مشاعر الناس هناك، فقد كان الناس يشككون فى كل شئ، فقد كان خدامهم من غير المتفرغين، ولذلك عقدت حلقات دراسية فى المناطق

(بريستول والمجاورة) لاكتشاف أياً من طرق الإرساليات تناسب الاحتياجات المحلية.

كان الكثير من المبشرين يجدون صعوبة فى توصيل الإنجيل فى هذه المنطقة، ولكن آرثر بليست ترك بفطنته الخاصة انطباعاً قوياً في عمال السفن فى هذه المنطقة، فقد زارهم وأعطى إحساساً بالاحترام لهؤلاء الناس وجعلهم يحبون كنائسهم الصغيرة، وقد رآه عمال السفن أنه حقيقى «إنسان» وليس مجرد واعظاً للنساء والأطفال، وهذا كله معناه أن الكنائس بدأت تشعر بالرؤية الموضوعية أمامها، وفى إحدى العمليات بعد ما بدأت الإرسالية حضر عمال السفن الحمالون الاجتماع وكان نصفهم ضيوف غير كنسيين مدعوين للحضور، وكانت الكنائس الصغيرة يحضرها فقط خمسون، وقد تم مساعدتها كثيراً بالشركة بعضها مع بعض، وهى التى أحدثت كل الأنشطة التى تمت بالإضافة إلى أن كنائس السود فى منطقة القديس بولس شعرت بالقدرة على التعاون مع كنائس البيض الإنجيليين المجاورة فى وحدة الإنجيل، بالإضافة إلى إعداد شريط ڤيديو بعنوان «أناس عاديون» وهو يعطى شهادة مقدمة من ثلاثة أشخاص من خلفيات عادية، وهو يوضح عمليات التسكين فى بيوت أعضاء الكنيسة. لم يكن كل خادم فى جنوب ـ غرب قادر على التعاون، وكان الكثير منهم غير مشتركين، فقد

كانوا إنجيليين قد اتفقوا مع رسالة جراهام، ولكنهم شعروا أنهم غير قادرين على المشاركة لبعضَ الأسباب السابق ذكرها، منهم راعى كنيسة كبيرة فى بريستول أعطى أسباباً أربعة لعدم المشاركة منها **أولا** : أنه لا يقبل «التقريرية»، فبينما هو يصلى لأجل خلاص الكثيرين، وهو متأكد أن الكثيرين قد خلصوا، إلا أنه يشعر أن الناس الذين يتقدمون للأمام ربما يظنون مرة أن هذا العمل هو الذى يخلصهم، وهو ما يمكن أن يسبب لهم مشاكل كثيرة فى المستقبل، وربما يظن البعض أنه صار إنجيلياً بمجرد التقدم للأمام، وقد انزعج الراعى عندما رأى عائلات بأكملها تتقدم للأمام طالبة الخلاص وأقلقه أيضاً الجانب التسهيلى لعملية الكرازة، وهو قد أحب أشياء أخرى ذكر منها المرحلة الأولى كلها (الصلاة والكرازة عن طريق الكنائس)، وهو أيضاً لم يكن سعيداً بأن تشارك كنائس غير إنجيلية مثل الروم الكاثوليك، واندهش كثيراً عندما رأى بوستر إعلاناً عن حملة جراهام ملصقاً خارج كنائس لا يبشر فيها بالإنجيل نهائياً، وأوضح بوش أن هذا كان لضمان أن تسمع كنائس غير إنجيلية رسالة الإنجيل، وهو السبب الذى من أجله لم تحدد إرسالية إنجلترا أساس الإيمان، وكذلك فعل ميثاق لوزان. شعرت الكنائس غير المشتركة أن الليبراليين (المتحررين) ربما يستطيعون التسلل بأى طريقة ويطلبون الاشتراك والتعاون، عندئذ يستطيعون بذر بذور الارتباك فى

أعين غير المؤمنين الذين من الواجب أن يشعروا بأنه ليس هناك اختلاف، بارك الله جراهام بلاشك وبارك كرازته بالإنجيل لأنه أصر على وضع أساس إنجيلى ثابت لذلك، لم يشك الراعى لبرهة أن الحملة الكرازية سوف تكون أكثر بركة، أخيراً بدأ التخطيط، مع العلم بأن النهضة تأتى من الله من فوق وليس من خلال أنشطة إنسانية، ودعوة جراهام للناس بالتقدم للأمام هى فى نظره (نظر الراعى) ليست ضرورية لأن الله إذا أراد أن يعمل فى قلب إنسان فيمكن أن يتم هذا فى ساعة أو أيام أو حتى بعد انتهاء الاجتماع بفترة طويلة، فإنه سوف يخلص حتماً حتى لو لم يتقدم للأمام.

جاء إلى اجتماعات الإرسالية ٣٠ ألف نسمة ممثلين لكل أنحاء جنوب ـ غرب إنجلترا، فأصبح معروفاً أنه إذا جاءت النهضة الحقيقية كما حدث فى زمن ويتفيلد، فإنه لن يستطيع أحد أن يوقفها.

جراهام يأتى إلى أشتون جيت :

وبحلول شهر مايو وصل بيلى جراهام إلى بريستول مصطحباً فريقه (بالإضافة) إلي الغرب البريطانى مثل موريس رولاندسون، وكان عدد كبير من أعضاء الفريق القدامى معروفين ومحبوبين مثل كليف باروز الذى كان بمثابة العقل المفكر لأحداث الاستاد الرياضى، وأيضاً المرنم

المعـروف چون پيـفـرلى شـيـا هذان الاثنان مع ث ـ ولس صـديق طفـولة جراهام الذى أصبح رئيـساً معاوناً كـانوا مع جـراهام لمدة أربعين عـاماً، وبلغـة البـشر نـستطيع القـول إن أمـانتـهم والتـزامـهم همـا اللتـان جلبتـا الكـثير من النجاح لجراهام، وقد قال جراهام مرة عن پاروز إنه لم يره أبداً فـاقداً لأعـصابه أو متـوتراً (عندمـا كنت أقضى أسبوعين مع الفريق فى رحلتـه الـكرازيـة فى الولايـات المتـحـدة لاحظت أن هذا ينطبق على كل أعضـاء الفـريق الكبـار) أناس مثـل باروز، شيـا وولسن كـانوا على صلة وثيـقة بـالمسيـحيين المحليين فى أى قطر يزوره جراهام، ويتـركون انطباعـاً قوياً لدى شعوب هذه البلاد.

هناك اثنان من أعضاء الفريق أقل شهرة ولكنهما يستحقان الذكر لما فعلوه فى الخفـاء، هؤلاء هم روسى بوسبى، المصور الشخصى لجراهام، والثـانى هو روجر بالمس محرر مجلة «القرار»، فقد كـانت روح بوسبى المرحة محل تقدير فى جميع أنحاء العالم خصوصًا بين الشباب الذين أحبوا فـيه مرحه وهدوءه، أسلوبه الشيق البسيط، ويقول عن وظيفته إنه يجعل كل أعضاء الفريق الآخرين أقل توتراً، وكان يقوم بمهمته هذه عن طريق المسرح والمداعبـة التى غالبـاً ما تصيب الهدف. وبالمس نوع من الأشخـاص المفكرين، صاحب فكرة معقولة، إنسان أمين تقى يذكر أى شخص يقابله بمواضيع روحية عميقة، بعد ما ينتهى جراهام من عظته

ويطلب من الناس التقدم للأمام يتمشى بالمس بين الناس متخذاً عمل المشيرين، ويستمع إلى قصص من أناس عاديين تغيرت حياتهم من خلال الحملة الكرازية. إنه ليس من السهل أن ينسى أن الحملة الكرازية هى أساساً للأفراد وليست للجماهير، ليأتوا بهؤلاء الأفراد للمسيح. وأهداف بالمس الصحفية هى أن يقوم بعملية التوازن، ويذكر كل شخص بكل شئ.

الليلة الأولى :

كانت الليلة الأولى الافتتاحية فى يوم السبت ١٢ مايو ١٩٨٤، وكانت أيضاً بداية زيارة جراهام كلها، لذلك كانت الإجراءات التمهيدية طويلة على غير العادة، وبدأ الاجتماع فى الثالثة مساءً بعد مقدمة مشوقة قدمها كليف باروز وترانيم من جراهام كتدريك، بعدها تكلم أنطونى بوش وبعدها قدم باروز بول برج الذى صلى لأجل هذه المناسبة، وتونى دان رئيس الجنوب ـ الغربى، الذى كان في أكسفورد مع اليزابيث ابنة مارتن لويد جونز فأعلن بصفة رسمية افتتاح المرحلة الثانية من إرسالية إنجلترا، بعدها تمكن ڤاڤن رايد مدير إرسالية إنجلتر للـ ٣٠ ألفاً المجتمعين أن وصول جراهام كان بالنسبة له تحقيقاً لحلم قديم مدته ٣٩ سنة، وقرأ رسالة تأييد وتشجيع جاءت من أسقف كانتربرى الذى أعلن،

يقولها لآلاف المرات لنا ». وعندما ظهر جراهام على المنبر، حدث تصفيق حار جداً (كان روجر بالمس قد سأل قبل هذا ماذا حدث للتقاليد البريطانية؟).

قال جراهام للحاضرين إنه كان فى بريستول منذ ثمانى وثلاثين عاماً وأنه سعيد أن يرجع إليها ثانية، وبعد أن ذكر بعض النكات، ذكر الحاضرين أن هذا هو يوم وايتفيلد وأن بريستول كانت البداية لأمور عظيمة، وكانت أعداده كبيرة من الحاضرين فى الاستاذ من جنوب ويلز (جعلت جزءاً من إنجلترا بهدف الإرسالية) وبعدها سرد قصة النهضة التى حدثت فى عام ١٩٠٤، وكما قال إن الناس اختبرت التجديد والنهضة الروحية، وربما تكون بريستول بداية لنهضة أخرى فى القرن العشرين، وهو الرجاء الوحيد لعالمنا فى هذه الساعة. والكنيسة اليوم - كما يقول - تحتاج أن تسترد هذه الرؤية، إعلان رسالة الله وعندما لا يكون هناك إنجيل ولا هناك كرازة فأن هذا معناه أنه لا وجود للكنيسة والتجديد هو أن نصبح أحياء فى يسوع المسيح، والناس تحتاج أن تخلص اليوم وإلى الأبد، الله أعطانا ابنه ليموت على الصليب، والمسيح قام من الأموات وسيأتى ثانية، لذلك يجب أن نستجيب لعرض الله المقدم لنا، المسيحيون حول العالم يصلون لأجل إرسالية إنجلترا، ومنظمة بيلى جراهام أرسلت حوالى من مائة ألف برقية صلاة وأعلن بيلى جراهام

أن الله سيستجيب صلواتهم.

بعدها قدم كليف باروز - المرنم الغربى چورچ هميلتون الذى جاء من المنطقة الريفية بشمال كارولينا (مثل جراهام) وقدم شهادته بلغة شعبية، بعدها رنم بعض الترنيمات من الكتاب المقدس (رنم كليف ريتشارد فى الليلة الثالثة أمام أكثر من ٣٢ ألف شخص، ولقى تصفيقاً حاداً، وبعدها رنم المرنم كندريك وترانيم أخرى من المرنم چورچ بيفرلى شيا ، بصوت رائع كالعادة، صعد جراهام أخيراً ليلقىَ خطابه، وطلب من كل شخص موجود أن يصلى، وقال للحاضرين بعضكم جاء بدافع الفضول وهذا حسن، وآخرون جاءوا لأن صديقاً لهم أتى بهم، وهذا أيضاً حسن، ولكن لأى سبب جاءوا ؟ للجميع نوعان من الآذان، نوع جسدى وآخر روحى، إن صوت الله يهمس لكم، إنه يريد أن يعطيكم الحياة الأبدية - اليوم والآن كل إنسان أمام مفترق الطرق يجب أن يختار إما يسوع أو غيره. إن يسوع لا يرضى بالحياد. وعظ جراهام عظته كما لو كان آخر عظة له أو آخر عظة سيستمع إليها الحاضرون. وقد ذكر جراهام الحاضرين أنه ربما شئ كهذا لن يحدث فى هذا المكان (مقدمته كانت غالباً متشابهة فى كل ليلة) وأردف قائلاً «هذه لحظة حاسمة فى التاريخ ربما لا تحدث ثانية أن ترفع صلاة كالتى رفعت من خلال الإرسالية، بعدها قال جراهام لهم إنه عندما كان فى سيدنى -

استراليا عام ١٩٧٩ طلب منه الأسقف أن يعظ من يوحنا ٣ :١٦ «وهو الإنجيل باختصار» أو أنها «خلاصة الإنجيل». وفى بريستول وعظ جراهام هذه العظة مرتين، مرة فى الليلة الأولى وأخرى فى الليلة الخامسة. وفى الليلة الخامسة وكانت ليلة ممطرة وباردة، ومع هذا احتشد جمع غفير مثل كل المناسبات السابقة، وكنت أنا آتى كل ليلة فى أتوبيس الكنيسة مع المبشرين المتحمسين أمثال نيك برهام ١٨ سنة، وجامع التبرعات كريستوفر بركيلى، أوديك نيك ذو الـ ٨٥ ربيعاً وعند كل منهم قصص يحكوها للمتقدمين للأمام طلباً للخلاص، وجاء أيضاً غير مؤمنين غير متأكدين أنهم سيسمعون، وفي الليلة الخامسة كنت قد سافرت مع مدرب للطلبة من كلية للتعليم بالقرب من پات، وبعض الطلبة كانوا قد تجددوا ، وكانت كارين سكرتيرة الكلية للإرسالية تأمل أن يتجاوب الكثيرون مع رسالة الإنجيل فى هذه الليلة. افتتح جراهام كلمته ببعض النكات عن المطر المتساقط، وتحدث عن بعض الأخبار عن زوجته التى كانت فى مستشفى فى الولايات المتحدة، وبعدها دخل فى الموضوع مباشرة وقال «يسوع قال إنك يمكنك أن تولد من فوق، إن سباق التسلح يتفاقم الآن أكثر مما كان، لذلك فإذا لم تأت الولادة الروحية ربما تحدث حرب عالمية ثالثة، ولكن جراهام يرجع إلى الموضوع الرئيسى ويروى عن أستاذ فى كنيسة الروم الكاثوليك من بولندا تقابل

مع امراة سوداء فى أتوبيس، وأدرك أنه بحاجة إلى أن يولد، أصبحت الحياة غير مأمونة على الإطلاق، الناس إما ارتفعوا لفوق أو انخفضوا لتحت، مع العقاقير والمخدرات مع الاكتئاب واليأس، لفوق مع الله يقول جراهام أنا أطلب منكم أن ترتفعوا لفوق، غالباً ما ننظر إلى مكان خطأ لإجابة أسئلتنا، ولكن «تعالى لكلمة الله» تجد الإجابة. يمضى جراهام فى القول «الأشرار يمكنهم أن يروا حاجتهم للولادة ثانية لكن نيقوديموس كان «قائد دينى» معلم الناموس، وهو يبحث عن الكمال الذى لم يجده، وعلم يسوع أن مظهره الكاذب لا يكفى وعلم أيضاً ما هو داخل الإنسان، نحن جميعاً أيها الأحياء ولدنا بالخطية، أخطأنا ضد الله وضد أنفسنا ونحتاج أن نضع شيئاً ما فى قلبنا» حيث تسكن الخطية. الكتاب المقدس يتحدث عن كلمتين تعبران عن الخطية الأولى، هى التعدى ١ يو ٣:٤، والثانية هى الإثم. يقول جراهام إنه عندما كان صغيراً لم يكن يحب الذهاب للكنيسة ولكن والديه جعلاه يذهب، وقبل أن يغادر الكنيسة مباشرة، ولد ثانية، فجأة تمتع بالكنيسة أكثر من أى وقت مضى. هناك الكثير عن الميلاد الثانى لا يمكننا فهمه كما أن جراهام نفسه لا يفهم فى الكمبيوتر، هل يستطيع أحدنا أن يختبر مقدار محبة أمه له فى المعمل؟ ويسوع يتحدث عن كوننا «مولودين لعائلة الله»، وهؤلاء السامعون يمكنهم أن يولدوا

روحيـاً ثانية، الآن فـى هذه اللحظة، ويمضى جراهام قـائلاً ، لا يمكنك أن ترث الميلاد الثانى ولا يمكنك الحصول عليه بالأعمال، لا يمكنك شراؤه، فـأن كل أعـمـال برنا شـريرة ولا يمكن أن الميـلاد الثـانـى يحـاكى ويـقلد صناعيـاً ـ كلا ـ إن بولس يشرح للكورنثيين أن تصبح فوق هو أن تنتقل من الموت إلى الحيـاة، الميلاد الثانى يغير القلب ويحدد المصير. مصيرنا كـيف يحـدث هذا أولاً، يجب أن نقـبل كلمـة الله، ومن خـلال الوعظ البسـيط وبأقناع الروح القدس الذى يقنع الخاطئ بخطيته ، وكـما يقـول جراهام أنا لا أستطيع أن أقول الحياة المسيحية بأية طريقة، ولكن الروح القدس يأتى ليحيا داخل المؤمن الذى يؤمن بالله وبيسوع المصلوب أنه مات لأجلك، وأن السامعين يحتاجون إلى التوبة عن خطاياهم، ويقبلون يسـوع المسيـح بالإيمـان ويشـتـاقون لخدمتـه وتبعيتـه حتى لو كـان هذا شيئاً مكلفاً.

وفى كل الليـالى تقريباً كـانت الدعوة للتقدم للأمام متشابهة يبدأها بجملته المشهورة «سأطلب منكم أن تتركوا مقاعدكم، وأن تدعوا المسيح يأتى إلى قلوبكم فى هذا اليـوم، قـال ذات ليـلة «قم تعـالى الآن، ربما تكون الوحيـد من منطقـتك ولكنك أتيت»، وبعـد فـتـرة سكوت قليلة يضـيف، يمكنك أن تأتى بصديق لك إلى المسيح اليـوم، إنه من المهم أن تتقدم للأمام. أنت لم تأت حتى الآن ـ الله مازال يتحدث إليك»، وبعدها

قال جراهام للحاضرين كيف كان متردداً عندما تقدم للأمام وكيف كان هذا فى آخر عدد من آخر ترنيمة فى هذا الاجتماع، وهو يتعجب قائلاً ماذا كان يحدث إذا لم ترنم آخر ترنيمة؟ أخيراً، يتقدم عدة آلاف للأمام فى كل ليلة، يفعلون هذا بسكون تام، ومن مميزات جراهام أنه حساس للمكان الذى فيه، ويفعل ما يلائم البعد الذى يخدم فيه، فى أمريكا يرنم الكورس ترنيمة «كما أنا» بصوت طبيعى أثنا الدعوة، ولكن فى بريطانيا ينظر إليها على أنها تلاعب بالعاطفة لذلك بدا جراهام مشتاقاً للتخلص منها، بينما كانت رسالته لا تتغير فأن وسائلها تتغير، فالذين يتقدمون للأمام الآن يتقدمون بسكون تام فى تأمل وخشوع.

ودائما ما يذكر جراهام المتقدمين بتغير أسلوب الحياة بعد التجديد، ويعد القرار الذى اتخذوه يخبرهم بأن يقرأوا الكتاب المقدس وأن ينضموا إلى كنيسة تؤمن بالتعليم الكتابى، ويكرزوا لأصدقائهم بالإنجيل، بعدها يأتى دور المبشرين مع هؤلاء سواء العامة منهم أو المتخصصين، مثلما يحدث مع الأطفال، مع هؤلاء الذين لديهم مشاكل خاصة مثل تناول العقاقير، مشاكل الزواج، أو هؤلاء الذين من خلفيات إسلامية أو خلفيات أخرى حينئذ يكتب المشيرون أسماء وعناوين طالبى الخلاص، بعد أن يشرحوا لهم أهمية قرارهم هذا ، وهناك أربعة أنواع من التجاوب هى الخلاص - التأكيد - إعادة التكريس أو مشاكل أخرى، ويحتفظ

المشيرون بنسخة من الأسماء حتى يكونوا على اتصال مع المتقدمين، بينما تؤخذ نسخة أخرى إلى حجرة المتابعة التى يديرها فى بريستول المبشر المحلى المعروف روجر كليفرز، هؤلاء الطالبون يحددون اسم كنيسة معينة يفضلون الانضمام إليها، ويتم إخبار الراعى بهم، وأيضاً هؤلاء الذين يطلبون الانضمام إلى كنيسة طائفية أخرى ترسل طلباتهم بحسب رغباتهم (وكان هذا موضع جدل حيث تعطى أسماء الذين يرغبون الانضمام إلى كنيسة كاثوليكية إلى الأسقف الكاثوليكى، حتى يضمهم فى مجموعات تغذية روحية، وكما أشار كليفرز أن المتابعة فى إرسالية إنجلترا كانت تنفذ بطريقة معقولة أكثر من المعتاد بالنسبة لحملات جراهام التبشيرية، وكما رأينا سابقاً كانت الميزة الخاصة هى مجموعات التغذية الروحية، فالخدام غالباً لا يقومون بمتابعة طالبى الخلاص بطريقة فعالة كما ينبغى، لذلك قررت إرسالية انجلترا استخدام نظام ذو دلالة مزدوجة بأن ترسل كل الطالبين إلى الكنائس للانضمام لمجموعات التغذية الروحية بها بالإضافة إلى أن ترسل نفس الأسماء إلى قادة مجموعات التغذية، هذا بالإضافة إلى رعاة الكنائس.

ولكن الذين لم يحددوا كنيسة معينة كان يتم إرسال أسمائهم إلى لجنة الخدام المحليين المختصة، وكان القس شنتون من جبل الزيتون يخدم فى اللجنة التى ببريستول فتم تنويع الطالبين بالعناوين والرقم البريدى،

وطلب من الكنائس المشتركة فى المنطقة البريدية أن ترشح لجنة معينة واختاروا الكنيسة المناسبة للطالب ليس على أساس طائفى، وبالطبع فإن الخدام يستطيعون التحكم فى النظام البريدى إذا ما عرفوا الكنيسة المناسبة للشخص أو المجاورة له أو لمنطقته، وكان التجاوب فى بريستول منقطع النظير، وحسب ما جاء على لسان روجر بالمس أن الطالبين جاءوا من خلفيات متنوعة، كان أحدهم ٢٠ سنة طالباً فى أكسفورد وكان قد تلقى دراسة فى مدرسة الكتاب المقدس، ولكنه عندما سمع جراهام أدرك حاجته للخلاص، وآخر كان فى الثمانين من عمره وكان مواظباً على الكنيسة لمدة ستين سنة، وفى الاجتماع أدرك «ما فعله المسيح على الصليب لأجله»، أنا الآن حر وأعرف أننى سأذهب إلى السماء. اثنان من الطلبة اكتشفا المخلص الذى كانا ينشدونه، وبالنسبة للعديد من الذين تقدموا للأمام لم يكن قرارهم فجائياً بل تتويجاً لعمليات كثيرة، من الاتصال مع الأصدقاء المسيحيين الذين كانوا يصلون لأجلهم وكان الذين قد تقدموا للأمام فى أحد الاجتماعات يشكلون ٤ فى المائة من الحاضرين ولكن وصل العدد فى بريستول إلى ٨ في المائة ، وكمثال ضمن الذين حضروا الليلة التى رنم فيها كليف ريتشارد في ١٤ مايو (عددهم ٣٢ ألفاً) تقدم ٢,٦٤٢ للأمام، وهذا لا يعنى كما يتصور البعض أن هذا هو عدد المتجددين، فى هذا اليوم. كما يوضح تحليل

فريق جراهام فقد كان من المتقدمين ٥٥ فى المائة يطلبون الخلاص، منهم ٩٥٦ من الإناث و٤٨٨ من الذكور، وأيضاً من المقتدمين للأمام ١٥ فى المائة، يطلبون تأكيد الخلاص، و١٧ فى المائة يطلبون تكريس حياتهم للمسيح، و١٤ فى المائة أبدوا أسباباً أخرى للتقدم للأمام، وكان ثلثا المجموع الإجمالى من الإناث، وكان معدل أعمار المتقدمين للأمام تحت الـ ٢٥ سنة، ومن بين مجموع المتقدمين ٢,٦٤٢ كان ٣٣١ فرداً تحت الـ ١٢ سنة و ١,١٠٨ عمرهم ما بين ١٢ إلى ١٨ سنة وعدد ٣٠٤ فى عمر ما بين ١٩ إلى ٢٥ سنة، ووجدت خلال التحدث مع الطالبين الصغار أن ليس كلهم متأكدين مما فعلوه، ولكن بعد أن ينضموا إلى مجموعات التغذية الروحية سيثبت تماماً مدى التأثير الحقيقى الذى حدث فى اشتون جيت.

علاوة على ذلك فأن احصائيات منظمة جراهام الكرازية الرائعة، ذكرت أن الطالبين الذين أتوا بواسطة أصدقاء لهم من الكنائس المحلية هم غالباً الذين يستمرون.

وأن الذين يتم تغذيتهم روحياً يتم الصلاة معهم ولأجلهم، كما كان يحدث فى أيام العهد الجديد فى مناطقهم ومناطق عملهم هم الذين يمكن أن يتم إدراجهم فى الاحصائيات، وكان الكثير منهم لم يتجدد فى

الاستاد، ولكنهم تجددوا فى منازل أصدقائهم المسيحيين بعدها بساعات أو أيام أو حتى أسابيع، ربما لن تظهر أسماؤهم فى بطاقات المشيرين أو فى فهارس الكمبيوتر ولكنها حتماً قد كتبت فى سفر حياة الخروف.

الرجل والوسيلة :

وبالرغم من أن جراهام وحملاته الكرازية هو ما يحتاجه المسيحيون وبالرغم من أن هذا شيء مشرف للغاية وتم بطريقة كتابية سليمة وليست مجرد أن شخصاً له سمعة طيبة وأمانة واستقامة عالية هو الذى عمل العمل كله، فإن الله هو الذى عمل. يشير الذين ينتقدون الكراز ة الجماهيرية. إلى أنه واضح من الكتاب المقدس أنه ليس ثمة كرازة تمت فى زمن العهد الجديد بمعزل عن الكنيسة، فالكرازة كانت تتم بواسطة مسيحيين محليين يشاركون الأخبار السارة مع أناس آخرين يعيشون معهم بصفة منتظمة ولهم اتصال يومى بهم، ولم تكن الكرازة محلية فقط ولكنها بنيت على أساس أسلوب الحياة الفردية، وأن الكرازة بطريقة الاجتماع الجماهيرى الكبير هى كرازة غريبة على العهد الجديد، ولذلك فهى حسب وجهة نظره خطأ تام وأن أى شئ غير كتابى ينبغى أن ترفض إذا أرادت الكنيسة أن تكون وفية للكتاب المقدس،

وهم يصفون رحلات بولس التبشيرية بأنها مؤسسة على الكنيسة وهو مفوض من الكنيسة وكان يقضى وقتاً فى تأسيس الكنيسة وهو أبعد ما يكون عن الاندفاع فى مكان ما لمدة أسبوع، فهو ربما يبقى فى مكان ما لشهور أو حتى لسنين عديدة، وبعد أن يغادر المكان يبقى على اتصال بمن بشرهم.

ويجادلون أن هذه الوسائل التى يستخدمها جراهام خطأ، أكبر دليل على خطئها أنها لم تذكر فى الكتاب المقدس وإن كانت صالحة لكان الله كتبها فى الكتاب المقدس، بالإضافة إلى أن كنائس كثيرة قاومت استخدام جراهام للآلات الموسيقية فى الترانيم، وكان أحد اعتراضاتهم على الحملات الكرازية أنها تستخدم الآلات الموسيقية الحديثة مثل الجيتار، مع العلم بأن الأرغن أيضاً لم يذكر فى الكتاب المقدس فهل هذا معناه أن الأرغن غير كتابى وخطأ؟ ربما يكون الصمت أبلغ دلالة.

والدفاع عن جراهام وحملاته الكرازية ربما يكون سهلاً فهو حينما يقوم بالكرازة الجماهيرية إلا أنه يضع العملية برمتها فى يد الكنيسة المحلية، وفى حين كان المبشرون المحليون يهاجمون رعاة الكنائس كان جراهام على النقيض يصر على العمل من خلالهم، وهو يصر على أنه لن يأتى إلى منطقتهم إذا لم يتلق دعوة منهم.

والحملات الكرازية كما رسم لها جراهام هي بالتالى منظمة معاونة للكنيسة وليست منافسة لها أو بديلاً عنها ، وكما قال هو شخصياً لورلاندو إن أحد الأسباب التى جاءت بالكرازة الجماهيرية هو أن الكنائس فشلت فى إتمام واجبها الكتابى، فشلت فى التبشير بالإنجيل، إنه من الطبيعى أن المسيحيين عليهم حمل أن يفتشوا على الخروف الضال حتى يجدونه. ولكن كما أشار جراهام أنه عندما تضطلع الكنيسة بمهمتها وواجبها فى أن تكون عاملة وفعالة لأجل المسيح فإن المؤسسات المعاونة للكنيسة كمؤسسة سوف تتوقف حيث لا حاجة لها. والحملات الكرازية يمكن أن تبين للكنائس المحلية ماذا يمكن أن تعمل، والمثال الذى اقتبسناه فى هذا الفصل عن كنيسة جبل الزيتون خير شاهد، فقد كانت النسبة الأكبر من الخدام من كنائس مشابهة فى الحجم والرسالة الواضحة التى تلقوها من جراهام ومن لويس دروموند ومن مشاهير الوعاظ وچوزيف الدريش عن أسلوب الكرازة أعدتهم ليروا أن الله يمكن أن يعمل من خلالهم أيضاً، وأن للكنائس تفويض إلهى واضح لتنفذه من الراعى إلى أصغر عضو بها ، والكنيسة المحلية كما هى من قبل مركز استراتيجية الله وخطته.

وكان يقال إن جراهام استضاف الليبراليين (المتحررين، على منبره وعاملهم معاملة الضيوف المكرمين مع العلم بأن أراؤهم أبعد ما تكون

عن الإيمان الإنجيلى وإنجيلهم يختلف تماماً عن الإنجيل الذى يبشر به جراهام وفريقه، فما معنى وجودهم إذاً وهم الذين عانى الناس منهم وذاقوا الأمرّين من كنائسهم المتحررة، وكانت هذه المشكلة تتفاقم كلما زادت شهرة جراهام، وبالنسبة لجراهام وفريقه أنه عندما تطلب كنيسة متحررة الاشتراك في الحملة الكرازية فأن هذا معناه أنه من الممكن أن تتأثر بالإنجيل الحقيقى، فهؤلاء يمكن أن يستمعوا للحق عن طريق الحضور للكنيسة ويمكن أن نربحهم للمسيح، وهذه الآراء رائعة وممتعة إلا أنها من وجهة نظرى - تجاوزت النقطة الأساسية وهى إذا كان المتحررون يشتركون فأن الإنجيليين يشعرون أن هذا يخلق نوعاً من الارتباك ولا يأتى إلا بالمشاكل.

إن جوهر الرسالة الإنجيلية وهو ما تناوله جراهام نفسه، أنه يوجد حق واحد وهو رسالة الكتاب المقدس الحقيقية لأيامنا هذه، لذلك ينبغى على المسيحيين أن ينتبهوا جيداً لأن هذا ما يميزهم عن غيرهم من الذين يكرزون بأنجيل المساومة أو بالنسخة المخففة للإنجيل.

وبعدها تأتى الحملات الكرازية ويأتى غير المؤمنين المحليين الذين هم المستهدفين للتجديد ويرون الإنجيليين والمتحررين يعملون معاً جنباً إلى جنب، كما لو كان ليس هناك اختلاف فى عقيدة الخلاص التى يعلنها

الطرفان، حينئذ فى اجتماعات الحملة يرى غير المؤمنين القادة الإنجيليين يجلسون بجانب المتحررين كما كان في حملة هارنجى عام ١٩٥٤ وهم المعروفين بمقاومتهم للموقف الإنجيلى، يقول فريق جراهام أن المتحررين هم الذين يساومون عن طريق الظهور علانية مع الإنجيليين، ولكن الآخرين يشعرون أن المتحررين والإنجيليين يتعاونون معاً وعلانية فأن هذا سيخلق فقط الارتباك وتشتيت الأذهان بالنسبة لغير المؤمنين والمؤمنين الجدد وبالتالى فمن الأفضل تجنبهم تماماً.

والموضوع فعلاً صعب، فليس من السهل أن نتجنب هؤلاء المتحررين أو نرفض التعاون معهم، والحقيقة أن العديد من المتحررين غير قادرين على ملء كنائسهم لذلك فهم يشتركون فى حملات كرازية حتى يكسبوا مؤمنين جدداً، مع أن جراهام يؤكد دائماً أن المؤمنين الجدد ينبغى أن يذهبوا إلى كنائس تؤمن بالكتاب المقدس، وهو على حق فى هذا، ويتمنى الكثيرون من الإنجيليين الذين يحبونه ويحبون رسالته أنه يستطيع تطبيق نفس هذه القاعدة على هؤلاء الذين يشاركونه فى حملاته الكرازية، بدلاً من أن يعطى غيره ذخيرته، أو أن يتهم بالاشتراك مع الليبراليين. ويمكن أن يغير جراهام من سياسته فيكون بذلك قد قدم رداً مقنعاً وسريعاً على هذا الادعاء، وهذا بالطبع سيلقى ترحيباً بالغاً من الذين يشاركون إنجيله.

نحو القرار:

حسب ما جاء على لسان چون بوللو كان جراهام في حملاته الكرازية بعيداً عن اتخاذ قرارات حتى إن الكلمات التى يستخدمها هى نفسها التى يستخدمها من عام لآخر، ويرى الكثيرون أن جراهام يستخدم نفس الطرق في الترانيم والموسيقي بدون تغيير ويستخدم ظواهر معروفة جيداً بأنها تمثل ضغطاً على الإرادة البشرية، وتعتمد على وسائل من صنع البشر، بدلاً من الاعتماد الكلى على الله وعلى قوة الروح القدس غير المحدودة، والدعوة للتقدم للأمام هى اختراع القرن التاسع عشر (اشتهرت بواسطة المبشر المعروف فنى) وهى غير معروفة في العهد الجديد.

وآخرون أكثر تعاطفاً مع جراهام ولكن لديهم اعتراضاً آخر هو أن جراهام ممسوح من الله لأجل مهمة يقوم بها عبر السنين، وأن جراهام يعمل بقوة الروح القدس، وأن ما تم إنجازه لن يكون موجوداً لو أن تنظيماً بشرياً هو الذى قام به ، ولكنهم يتساءلون إذا كان جراهام لديه رؤية من الروح القدس مع اتكال كامل عن الله وعلى قوة الصلاة المستجابة، إذاً فلماذا يستخدم الطرق والوسائل التى تعتبر بالنسبة لهم نكهة الضغط البشرى؟ بالرغم من أن حوالى من ٨٠ فى المائة من المجددين جاءوا عن طريق أصدقائهم المسيحيين، وهذا معناه أن

الوسائل البشرية التى تستخدم لإغراء الناس على المجئ مثل - جماعات الروك وشهادات النجوم (سوبر ستار) وما إليه، هى بالتأكيد، لا تحتاج إليه.

بالإضافة إلى أن المؤمنين قد صلوا لأجل أصدقائهم، فليس المهم عدد المتقدمين للأمام طالبين الخلاص في هذه الليلة، فأن الأصدقاء المسيحيين سوف لا يستمرون فى الصلاة من أجلهم فقط ولكن أيضاً يداومون حتى إن رسالة جراهام لا تنسى.

يشير بعض أعضاء فريق جراهام مثل روجر بالمس إلى أنه من المفيد لأناس كثيرين أن يحصلوا على لحظات معينة حتى يصبحوا مسيحيين مؤمنين، وهذا بلاشك صحيح. ولكن إذا كان جراهام حقاً ممسوحاً من الروح القدس فلماذا يحتاج إلى الإجراءات التمهيدية حتى قبل الدعوة للتقدم للأمام أو بكلمات أخرى فأن العدد الذى حضر سيحضر وأن الذين يتقدمون للأمام سيتقدمون للأمام بدون هذه الوسائل، لأن الله هو الذى بارك كلمته.

والحقيقة أن الموسيقى والشهادات وما إليه لا وجود لها فى زمن الكنيسة الأولى ولكن هذا لا يعد دليلاً على خطئها، وهنا يشعر الكثيرون أن الاتكال على الوعظ بالرسالة وشهادة المؤمنين والاتكال

الكامل على عمل الروح القدس - وهى وسائل العهد الجديد - مازالت سارية المفعول فى أيامنا هذه، وإذا أراد جراهام الاتكال عليها وحدها فإن الله الذى بارك هذه الوسائل أيام الرسل قادر أن يفعل نفس الشئ فى أيامنا هذه. وربما من الواجب أن نذكر ما قدمه مارتن لويد جونز فى كلمة مارنجى، فقد كان جونز غير راضٍ عن العديد من وسائل جراهام (التى شعر أنها تشكل ضغطاً على الإرادة)، وكان غير راضٍ أيضاً عن وجود الليبراليين على منبر جراهام، ولكن ما فعله جونز أن صلى بانتظام كل يوم أحد أن الكثيرين يولدون من خلال إعلان جراهام الأمين للإنجيل، ورحبَ بكل المتجددين حديثاً فى كنيسة، بينما هو لم يكن مشتركاً، ولكنه كان سعيداً جداً بالتحدث مع جراهام بصفة خاصة فى الدراسة فى كنيسة ويستمنتر وعندما شعر جراهام بالمرض اصطحبه إلى طبيب صديق له.

وفوق هذا لم يكن يطلب من أحد التقدم للأمام عندما كان يعظ كل يوم أحد مساءً، ولكنه كان يشهد تغييراً وتجديداً يحدث كل أسبوع، وهذا أظهر أن الناس لديهم الحق فى النقد، وأن الذين ينتقدونه هم الذين يشاركونه غيرته ورغبته فى أن يرى امتداد ملكوت الله، يتحدث جراهام اليوم بحرارة عن دكتور لويد جونز بالرغم من اختلافاتهم، ومن المخجل أن نقّاد جراهام يجعلون السيئات تذهب الحسنات بسبب الحدة ونقص

المحبة بينهم التى لولاها لتغير الأمر كثيراً.

دعوة للسلام :

اشترك جراهام فى موضوعات شتى منها موضوع الأسلحة النووية، كما قال يوجد «قفزة هائلة فى التكنولوچيا، وهى تنتج قفزة هائلة لقدرتنا على تدمير كوكبنا» مع نهاية الحياة البشرية. وكما قال فى مؤتمر السلام فى موسكو إن كل الجنس البشرى مهدد بالتسلح النووى، وبينما تتداخل القضايا السياسية إلا أن قضية سباق التسلح النووى هى أساساً قضية أخلاقية، وروحية يجب أن تقلقنا جميعاً، فالإنسان لديه تكنولوچيا جديدة، ولكنه لم يتجدد روحياً، ويشعر جراهام إن تجديداً روحياً ينبغى أن يحدث ليواكب التجديد التكنولوچى.

والحياة كما يشير مقدسة، ولكن الإنسان تآمر على الله، وخلق عالم الخطية، لذلك فإن المشكلة تكمن فى قلب الإنسان، الذى يستطيع الله وحده أن يغيره.

إن البغضة التى تدفع الإنسان إلى التدمير هى نتيجة مباشرة للخطية، وجراهام ليس من رافضى حمل السلاح لأسباب دينية ولا هو مؤيد لنزع السلاح من جانب واحد، وهو يوافق على الحق الشرعى فى

الدفاع عن النفس فى عالم ساقط، ولكن الإنتاج الضخم من الأسلحة للتدمير الشامل يهدد بتدمير عطية الحياة المقدسة، لذلك فإن سباق التسلح النووى فى رأيه ليس حسب إرادة الله.

وعند جراهام ثلاثة أنواع من السلام - سلام روحى بين الله والإنسان، سلام شخصى داخل النفس الإنسانية، وسلام فى العلاقات بين الإنسان والإنسان. ولابد أن يسعى المومنون إلى هذا السلام حسبما فعل يسوع المسيح فى الجلجثة.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن ماذا يمكن أن يفعل المسيحيون لأجل السلام؟ كما يقول جراهام «يجب أن نكون واقعيين ولكن يجب أيضاً أن نكون متفائلين»، لله السيادة فى التاريخ، إننا لا نعيش فى عالم متروك للصدفة العمياء فإن الله سوف يتمم إرادته للعالم الذى خلقه، ولابد أن المسيحيين يكونون فى طليعة حركة السلام. وفى خطابه فى موسكو ذكر جراهام عدة اقتراحات عملية، فقد أوضح أنه ليس سياسياً ولا وطنياً فى آرائه، ينبغى أن المسيحيين يدعون كل الأمم والقادة فى عالمنا إلى التوبة فليس هناك أمة ما معفاة من اللوم، وبعدها عليهم أن يدعون كل الأمم والشعوب والقادة إلى الالتزام التام بالسلام والعدالة.

عندئذ يتم نزع السلاح بالتساوى فى كلا الجانبين، وهذا يؤدى إلى

السلام الذى من الممكن أن تتمتع به الأجيال القادمة، بينما يكون هذا السلام نسبي لأن السلام الحقيقى لا يمكن أن يأتى إلا عند استعلان ملكوت الله، كما شعر جراهام في هذا الوقت من خطابه أن ٩٥ فى المائة من الناس يصوتون لصالح السلام.

كان جراهام يطلب أن يتم السلام عملياً وليس أقوالاً، فطلب من القادة أن يبدأوا عملية نزع السلاح بقرار قطع الحرب الكلامية العدائية لتخفيف التوترات، وأيضاً يطالب أن تؤخذ خطوات جديدة مثل التبادل الاقتصادى بين الشعوب واحترام حقوق الإنسان خاصة الحقوق الدينية للمدنيين، كما حددته الأمم المتحدة فى ميثاق حقوق الإنسان (لاحظت مجلة «المسيحية اليوم»، أن الوفد السوفيتى يستمع إلى هذا الجزء من الخطاب باصغاء بدون إبداء أية تغييرات)، وأن يخفض قادة العالم الأسلحة الرئيسية تلك الخطوة التى تقود إلى خطوة أكبر وهى نزع كل الأسلحة النووية والبيوكيميائية ذات التدمير الشامل «وهو ما أطلق عليه جراهام «سولت ١٠»، قال هذا ربما لأنه يعرف أن هذا الهدف مستحيل تحقيقه ولكن من الممكن أن يكون هدفنا النهائى وأردف أنه لابد أن يصلى كل المسيحيين لأجل السلام ويكرسون أنفسهم ليكونوا صانعى السلام على الأرض. وأن القوتين العظميين[٥] تواجهان عداءً

(٥) قبل سقوط اتحاد الجمهوريات السوفيتية.

صفحات الصحف والمجلات وعبر الأثير فى محطات الإذاعة المختلفة، وقد استغل جراهام هذه الفرص جيداً فى التبشير بالإنجيل لهؤلاء الذين يشاهدونه.

وهناك ملاحظة قدمها چون جولد ستون وهى أن بيلى جراهام ظل «شعبياً» وكان سلوك فريق جراهام متحضراً بالرغم من أن جراهام نفسه كان شخصاً ريفياً بسيطاً وربما غير متعلم، ومع هذا فقد كان يتناول الشاى مع الملكة، وأصبحت ريفيته وبساطته واحدة من نقاط القوة التى تحسب له.

كما أن جراهام جعل الإنجيل أكثر ثقة، فى زمن كان الشك فيه هو السيد، وهذا أهم شىء اكتسبه جراهام وهو يفوق أحاديثه فى البيت الأبيض، بالرغم من أنها فرصة أعطته منبراً فريداً يستطيع من خلاله أن يكرز برسالة الأخبار السارة ليسوع المسيح، وقد أقنع الناس بصراحته وإخلاصه وشفافيته حتى إنه كسب الآلاف، وقد جعل الناس من كل الخلفيات والقدرات، من الأساتذة والبسطاء، من النبلاء والحكام، ومن طبقة الفلاحين المزارعين، جعلهم جميعاً يستمعون إلى وعظه بأسلوبه الشيق السهل بحيث أن جعل وعظه مفهوماً لكل هؤلاء، وربما يرجع هذا إلى اللطف والأخلاق والفضائل الطبيعية التى تميز أهالى هذا الجزء

الجنوبى من الولايات المتحدة، وهو الجزء الذى جاء منه جراهام. ومثل هذه المميزات ربما يرفضها المتكلفون من المناطق الحضارية، ولكن بالنسبة للإنجيليين الذين استمعوا إلى جراهام حول العالم كله، كانت هذه ميزات حقيقية يستطيع مستمعوه بها أن يميزونه بها عن غيره، وإن كانت بساطته قادته إلى أن ينخدع بشخص مثل نيكسون وإلى أن يصبح واحداً من القادرين على الوصول إلى ملايين البشر عبر أنحاء العالم الثالث.

وكما سبق أن ذكرنا فى بداية هذا الفصل أن خدمة جراهام جاءت فى وقته بعد عصر الامبريالية (الاستعمار)، وهو العصر الذى يتميز بالشعور العدائى بين الشعوب والولايات المتحدة، وهذا ساعده أن يكون أكثر المبشرين الجماهيريين نجاحاً فى العالم فى هذا القرن، وكان أمريكيون كثيرون قد نجحوا فى منطقتهم، ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً فى أن يخرجوا برسالتهم إلى الخارج، ولكن جراهام كان وبحق ناجحاً فى الخارج ربما أكثر من نجاحه فى الداخل، وتمثلت أعظم النتائج التى حققها فى أنها كانت فى حضارات بلاد مختلفة عن حضارتنا، ومنفصلة تماماً عن الولايات المتحدة، وربما لم تكن صدفة أن اللحظة التى توقف فيها عن التفكير فى أنه أمريكى، اعتبر نفسه منبر العالم كله،ربما تكون هذه اللحظة هى بداية خدمته المتميزة.

لقد كانت لديه الحكمة أن يعمل ما فشل الآخرون فيه وأن يحافظ على الرسالة بدون تحول أو مساومة، بينما كان في نفس الوقت يتكيف مع حضارات ومواقف مختلفة من خلال رحلاته حول العالم، وهو أيضاً أوجد فريقاً مكرساً بمعنى الكلمة، مكوناً من رجال أتقياء وهذا أعطاه استمرارية كبيرة.

وعليه فإن جراهام كان مخلصاً وأميناً للإنجيل، وبالتأكيد أن الله استخدمه وباركه ليجعل الناس يثقون فيه بدون خوف لإعلان الحق، وكما قال ث. ؤ ولسون إن وظيفته هى دليل على سيادة الله الذى يخلص الخطاة، لقد شهدت كنيسة يسوع المسيح نمواً لم يكن له مثيل فى الأربعين سنة الماضية، خصوصاً فى بلاد لم يكن الإنجيل فيها معروفاً أو معترفاً به، كما أن الذين يؤمنون بالله فيها لا يزيدون على عدد أصابع اليد، فى مثل هذا الزمن أصبح جراهام سفيرالله للشعوب، وبالتأكيد فليس وصف آخر أعظم من هذا يمكن أن نصف به إنسان.

منذ إرسالية إنجلترا :

منذ إرسالية إنجلترا استمر بيلى جراهام فى الوعظ بأمانة فى أنحاء العالم المختلفة بصفة دائمة ومتزايدة مستعيناً بالوسائل التكنولوچية

الحديثة، ومن الواضح أن الكبر فى السن تعنى حتماً نقصاً فى العمل، ولكن بالنسبة له كرجل يقترب من الثمانين فإن طاقته وحيويته تعتبر غير عادية، ربما لا يكون مرة أخرى فى مكتب بإنجلترا، حيث أغلق المكتب، وربما لا يكون هناك فريق عمل مخلص طوال الوقت مثل موريس رولاندسون الذى ذهب ليعمل أشياء أخرى. ولكن شكراً لتكنولوچيا الستاليت حيث يستطيع آلاف فى بريطانيا أن يروه دونما حاجة لحضوره شخصياً، تماماً مثلما حدث فى عام ١٩٨٩، حينما كان جراهام قادراً على الوعظ لبريطانيا و ٣٣ قطراً فى أفريقيا، وتم حساب أنه يمكن التحدث إلى ٤٠٠ ألف شخص فى أربعة أماكن فى لندن، ولكن إذا ضربنا هذا العدد فى ٢٥٠ موقعاً فى الجزر البريطانية يصبح هذا عدداً مهولاً.

وبسبب الفوارق الزمنية يستطيع جراهام التحدث إلى حوالى ٨,٥ مليون نسمة من خلال ١٥ ألف موقع تبشيرى، ويستطيع الآلاف رؤيته فى أسابيع من خلال الفيديو لنفس الأحداث. وفى نوفمبر ١٩٩٠ مضي قدماً فى استخدام نفس الوسائل الحديثة فى تقديم الرسالة لحوالى ١٠٠ مليون نسمة فى آسيا، كما علق مؤرخ السيرة الذاتية وليم مارتن «هذا أكبر حشد من الناس تجمع ليسمع الإنجيل - الأخبار السارة ليسوع المسيح» لقد جلبت رحلات بيلى جراهام إلى روسيا أثناء الحرب الباردة

فى الثمانينيات الكثير من النقد له، وفى الواقع إنه الآن قادر على الذهاب إلى عدة بلاد مازالت تحت الشيوعية، ولكن بدون تعقيدات كتلك التى صاحبت رحلته الأولى، أخيراً يستطيع جراهام أن يبشر بالإنجيل بحرية وبدون أي خوف من النظام الحاكم، وبدون أى قيد يفرضونه، ولكنه مازال يكرز فى بلاد حيث الكرازة العلنية مازالت غير مباحة، وكانت رحلته إلى الصين واحدة من تلك التى لها ميزة خاصة، فقد كانت الصين مكان ميلاد زوجته روث، وقد حملت السيدة روث جراهام على عاتقها عبء الوصول إلى الصينيين وفى عام ١٩٨٨ ذهبت مع بيلى إلى هناك إلى خمس مدن و ١٧ يوم رحلات، فقد كان على جراهام أن يذهب إلى هناك فى ١٩٨٧ ، ولكنه سقط وجرح فى طوكيو وهى علامة على أنه حينما تكون طاقته العقلية فى أوجّها تكون قوته الجسمانية فى ضعف، ولسنا بحاجة إلى القول إن جراهام تقابل مع المهمين فى بكين (منهم لى ينج رئيس الوزراء الذى لعب دوراً مهماً فى السنة التالية فى أحداث مذبحة (ميدان تينانمن) وكان جراهام وزوجته قادرين على المشاركة بالرسالة المسيحية بعدة طرق مع عدد معين من الناس.

واستمرت عدة أنشطة رئيسية، فقد كانت أمستردام ٨٦ فى عام ١٩٨٦ فى نفس أهمية أمستردام ٨٣، فقد تم تدريب عدد كبير جداً من

المبشرين، وكان الكثيرون منهم من بلاد فقيرة من العالم الثالث، وتم إعداد مكان آخر للتدريب، وهذه المرة كان هناك مكان دائم هو مركز بيلى جراهام للتدريب بالقرب من اشفيل، ليس بعيداً عن منزل جراهام فى مشهد محاط بسلسلة من التلال الزرقاء (بلوريدج BLUE RIDGE) والفكرة التى كانت وراءه هو أنهم أرادوا أن يكون هناك أساس مستمر للتعليم، لكل حملة كرازية مدرسة كرازية، وفى تجربة تمت فى عام ١٩٩٠ تجمع حوالى ٨٠٠ راعى من مختلف أنحاء الولايات المتحدة، وهذه كانت المرة الثانية التى تمت بمساعدة التكنولوچيا الحديثة بدون أن يحضر جراهام، حتى تمتد رسالة جراهام والمتابعة والتلمذة وأيضاً التدريب وفى الواقع الزمن يجرى، ولم يعد لبعض المؤمنين الأتقياء مكاناً بيننا بعد أن رحلوا، والبعض الآخر كبر فى السن، البعض تقاعد مثل جرادى ولسن، لم يعد موجوداً بيننا، وجراهام ليست لديه خطة لمن يخلفه وبالطبع لا يمكن أن يجد شخصاً يمكن بسهولة أن يحل محله، فقد كان ما عمله جراهام فريداً فى نوعه، وفى الوقت الذى وجد فيه عد كبير من قادة الكنيسة أنفسهم متورطين فى فضائح وفساد خلقى، استمر هو أميناً لم تمسه التوافه أو حتى مقدار ذرة من أعمال الشر، فهو مازال قائداً للعالم، ليس نسبة إلى بلده بل إلى الرسالة التى يحملها، رسالة الإنجيل، والآن وبعد أن أصبح معروفاً للكل أنه كان يعانى لسنين عديدة

من الشلل الرعاش بما يعنى أن خدمته سوف تنتهى تدريجياً، ولكن على الأقل فهو مازال ذلك الشئ النادر الذى أطلق عليه مؤرخ سيرته الذاتية «نبى الكرامة» وهو لقب يناسب العمل الذى قام به وأتمه بأمانة.

تقرأ فى هذا الكتاب

عن خمسة قادة إنجيليين عظماء استند كل منهم
على حق واحد هو الإنجيل، وتبعوا قائداً واحداً
هو يسوع المسيح الذى يقودهم نحو
هدف واحد هو خلاص البشرية.

كما يقدم لك خلفية هؤلاء القادة الكبار وبمن تأثروا،
كما يعرض لأسلوب تفكيرهم،
وكيف تمتعوا بالرؤية العميقة الفاحصة.

إن السيرة الذاتية لهؤلاء القادة مدرسة يتدرب فيها
كل من يريد أن يعمل فى الحقل الكرازى.



١.١.٢١١٢